حياة المسيح ووفاته

من وجهاتها الثلاث :

المسيحية والاسلامية والتاريخية

بقلم

السيد زين العابدين ولي الله ناظر التعليم والتربية :

للجامعة الاحمدية

واستاذ تاريخ الاديان سابقاً في كلية صلاح الدين الايوبي

بيت المقدس

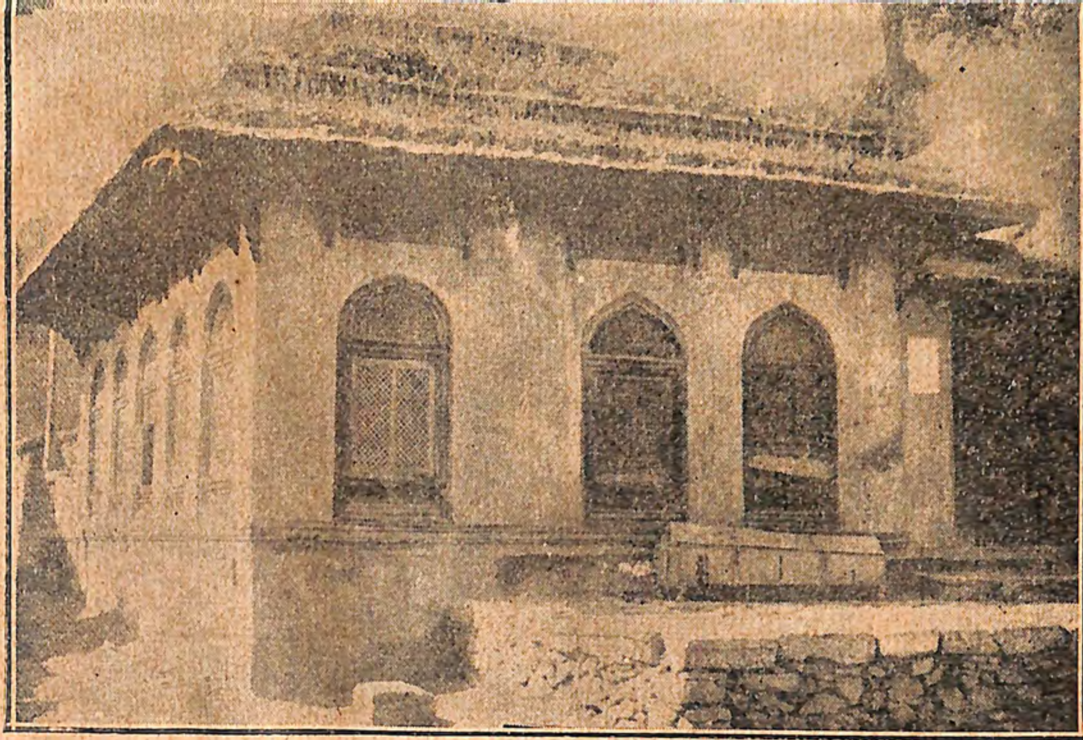
طبعته دار الكتب الاحمدية لنظارة الدعوة والتبليغ

قاديان دار الأمان

بنجاب

(هند)

قادیان



رسم المقام الذي فيه قبر يوزآسف النبي الذي اثبت عنه احمد
المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام انه يسوع عيسى ابن مريم عليه السلام
فليراجع القراء الكرام الفصل الثالث من هذا الكتاب حتى آخره

حياة المسيح ووفاته

من وجهاتها الثلاث :

المسيحية والاسلامية والتاريخية

بقلم

السيد زين العابدين ولي الله ناظر التعليم والتربية :

للجامعة الاحمدية

واستاذ تاريخ الاديان سابقاً في كليّة صلاح الدين الايوبي

بيت المقدس

طبعته دار الكتب الاحمديّة لنظارة الدعوة والتبليغ

قاديان دار الأمان

بنجاب

(هند)

مقدمة الكتاب

النبأ العظيم عن كسر الصليب

لقد كنا نسمع من علمائنا انه سينزل من السماء المسيح بن مريم فيكسر الصليب وكنا نقرأ في بعض شروح الحديث القائل « كيف انتم اذا نزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب » إن المراد من هذا الكسر هو ابطال الديانة المسيحية بالحجج والبراهين وكنا لا نفهم كيف يتم هذا النبأ وكيف يكون ذاك النزول حتى جاء الموعود الحق ونادى البشر المناداة المعهودة واعلن للعالم حكمه العادل في مسئلة حياة المسيح ووفاته ونزوله وكسره الصليب كما اعلن حكمه العادل في مسائل أُخرى غيرها وإن هذا الكتاب ايتها الشبيبة العربية العزيزة ليجمع بين دفتيه تفصيل النبأ العظيم الذي فاه به اصدق الرسل خاتم النبيين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيتلو عليكم بياناً واضحاً في ذلك الحكم العادل الحاسم لجميع الاختلافات الحاصلة بيننا عن المسئلة المذكورة ولكي تدرك ايها القارىء اهمية هذه المسئلة يجب ان تعرف ايضاً ان الديانة المسيحية قائمة على ركن واحد كما بينها بولس وكيل المسيحية بقوله «ان الانسان لا يتبرر باعمال الناموس (اي الشريعة) لان بالناموس معرفة الخطيئة ولأن الناموس ينشيء غضباً اذ حيث ليس ناموس ليس تعدٍ وان الجميع الذين هم من اعمال الناموس هم تحت لعنة ولكن المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لاجلنا لانه مات

من اجل خطايانا حسب الكتب وحررنا من نير عبودية الناموس، لذلك فالبر والنجاة الآن لا بالناموس بل بالايمان بالفداء الذي قدّمه الله كفّارة بدمه لاظهار برّه من اجل الصفح عن الخطايا (رسالة بولس الى اهل غلاطية ٢ . ١٦ و٣ : ١٠ و٥ : ١ ورسالة بولس الى رومية ٣ : ٢٤ و٥ : ١٥)

هذه هي خلاصة ديانة الصليب التي كرّز بها بولس وكيل المسيحية قائلاً « اما من جهتي فحاشا لي ان افتخر الاّ بصليب المسيح ربنا يسوع المسيح (رسالة بولس الى اهل غلاطية ٦ : ١٤) . فاذا هُدم هذا الركن من اساسه وثبت بالبراهين النيرة والحجج الدامغة ان المسيح لم يمت على الصليب وانما نجا منه بالهجرة الى ارض اخرى وعاش بعد ذلك عمراً طويلاً حتى استوفى أجله ومات لا موت قتل بل حتف انفه — فاذا ثبت هذا بطلت الديانة المسيحية من اساسها وكسر صليبها من شأفته كما يعترف به بولس نفسه قائلاً « كيف يقول قوم بينكم ان ليس المسيح قد قام وان لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل ايضاً ايمانكم » (راجع رسالة بولس الاولى ١٥ : ١٢)

فهو هذا البطلان الذي ستقرأ تاريخه مفصلاً مبيناً في هذا الكتاب لكي تعلم عن يقين ان المخبر الصادق صدق في نبواته عن كسر الصليب على يد امام حكم عادل وان صاحب هذا الكسر المعهود هو بالحقيقة صاحب الحكم العادل الموعود نزوله

ألا لا يستعجلن احد فيقول ما معنى هذا الكسر والديانة الصليبية

لا تزال تغطي اكناف العالم باجنحتها وتملأ الاجواء بهديرها ، كلا إنْ هي الاّ سنة لا تتبدل وناموس لا يتغير فلا تعجل عليهم انما نعدّ لهم عداً . كل يجري الى أجل مسمى . ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب . ولقد جئنا الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار . فلا تعجل عليهم انما نعدّ لهم عداً . وان الحجر الصلد الصامد الذي وضعه الله في ملكوته اليوم بيد احمد المسيح الموعود لا بد وان يسحق من سقط هو عليه ويترضض من سقط عليه . ان هي الاّ ايام قلائل لترون من اعاجيب ربنا ولتشهدن باعينكم نبوة سيدنا محمد ماثلة متحققة بين يديكم .

لا ضير ان كان اخواننا وبنو جلدتنا يسوموننا الخسف والعذاب ويرومون لنا كل شرّ وينصبون العداء حيثما كنا — لا ضير ان آذونا وعذبونا وقتلوا منا اخواناً اعزاء لأننا اتبعنا الحق لما جاء ، فان لنا في الماضينْ عبرة وفي الشبيبة الراقية سلوة عظمى اذ قدرت مساعينا في القضاء على خرافات الامم واخذت بيدنا الى ما نحن فيه بقلب رحيب وصدر منشرح . وكم يعجبني اذْ اتصور البون الشاسع بين الجيل الحاضر الذي يزبئر للشر ويكشر عن انيابه ولا يكاد ان يسمع منا بهدوء البال إنْ قلنا أنَّ المسيح ابن مريم مات وإنّه غير نازل من السماء وبين الاجيال القادمة التي سوف تكاد لا تصدق لشدّة الغرابة وجود اناس كانوا يعتقدون ان بشراً صعد الى السماء حياً بجسده العنصري

وبقي هنالك قروناً عديدة ينتظر نزوله الى الارض

لعمري ان لنا في هذا البون الشاسع سلوة لا تستطيعون ان تدركوا مبلغها من نفوسنا لاننا ممهدون الطريق اليه اليوم رغم الاضطهاد الشديد الذي نحن ملاقوه في سبيله . كم يعجبني هذا التصور وكم تأخذني الشفقة على اخواني المسيحيين اذ اراهم يعبدون المسيح في السماء وهو راقد في ارض كشمير رقوداً ابدياً لا قيام بعده الى يوم القيامة وان اخوف ما اخاف على اخواني المسلمين هو وقوعهم في نفس الخطأ التي وقع فيه اليهود من قبلهم اذ زعموا بصعود ايليا في السماء بجسده ثم ظلوا ينتظرون هبوطه منها الى يومنا هذا وقد حرموا بتلك السقطة التي سقطوها اول ذي بدء من ينبوع العرفان مرتين — مرة في زمن المسيح ومرة في زمن سيد الرسل وها هم الجميع اليوم بين يدي الموعود الثالث قد وقفوا وقفة جمود لا يكادون يفقهون حديثاً

ولي كلمة أُوجهها الى بعض المشايخ خاصة — اولئك الذين لما يئسوا من نزول المسيح ابن مريم من السماء وعرفوا ان الآيات البينات تقول بموته قالوا بعدم صحة الحديث القائل « كيف انتم اذا نزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب» ونبذوا التواتر وراءهم ظهرياً بعد هذا الانتظار الطويل وتلك الآمال الكبيرة . اقول لهم هذه الكلمة بالفاظ المسيح الموعود لكي يختاروا في سيرهم قصد السبيل من دون تفريط ولا افراط — شان العاقل اللبيب — يقول حضرته بعد الافاضة في اصول الحديث ومعيار صحته واهميته في تاريخ الاسلام ما تعريبه :

«فواضح جلي بعد هذا التمهيد ان نبأ المسيح الموعود وكسر الصليب الوارد ذكره في الاحاديث ليس مما رواه ائمة الحديث بناء على بضعة روايات ضعيفة شاردة كلا بل ثبت بالتحقيق ان النبأ المذكور اشتهر بين المسلمين شهرة عظيمة منذ اوائل الاسلام واصبح عندهم عقيدة تغلغلت في اعماق قلوبهم وبلغت حد التواتر حيث يصح ان تقول انه بقدر ما كان عدد المسلمين على وجه الارض في ذلك الزمن بقدر ذلك قامت على تواتره وصحته الشهادات لانهم حفظوه عن ظهر القلب مثل بقية العقائد وادلوه الى ائمة الحديث في جملة ما ادلوه . وجل ما فعله الامام البخاري وامثاله من المحدثين الكبار انهم لما وجدوا النبأ يتداوله الملايين من المسلمين فيما بينهم اخذوا يبحثون على طريقهم في البحث عن سند وثيق يؤيد هذا التواتر وقرروا صحته بالاتفاق التام بواسطة الاسانيد الصحيحة المرفوعة المتصلة التي كانت ذخيرتها متوفرة لديهم في كتبهم من قبل . ثم لا يعقل انه اذا كان النبأ المذكور كذباً مختلقاً فما هي الحاجة التي ساقت المسلمين الى اختلاقها والاجماع عليها يا ترى ؟ وزد على ذلك اننا نجد بجانب هذا النبأ انباء اخرى من قبيله وقد تمت هي بأجلى وضوح مثل النبأ القائل « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر الخ » وبان علماء هذه الامة يتخلقون باخلاق اليهود ولا يبقى فيهم شيء من التقوى والتدين والطهارة وان الديانة المسيحية تنتشر في ارجاء العالم وتتم لها الغلبة في كل مكان وتقبض على زمام السياسة في جميع البلدان — اذا اضفنا هذا الى النبإ المذكور اجتمعت لنا الدلائل

القاطعة على صحة الاحاديث لانه مما لا شك فيه ان هذه الانباء تحققت في زمننا هذا وقد اصبح المشايخ اشبه باليهود في اخلاقهم واطوارهم حتى وافعالهم وانتشرت في الارض المسيحية وغلبت وتعاظمت كما كان أنبأ عنها حيث لم يسبق لغلبته هذه من نظير فيما مضى . فما دام تم شق واحد من الانباء المتماثلة في المعنى كالشمس في رابعة النهار فلم يبق محل للريب في صحة الشق الثاني .

«لمن المسلّم عند كل عاقل انه لو كان حديث من قبيل الاحاد ولا يسنده التواتر ولا دخل في التعامل ولكن يشتمل على نبإ من انباء الغيب ثم تم النبأ كله او جزء منه في ميعاده فهذا الحديث لا يبقى في صحته شك ابداً ، مثال ذلك خروج النار من ارض الحجاز المذكور في الصحيحين فانه لا ريب من الآحاد ولكن صدق النبأ طبق الرواية بعد ستمائة سنة حتى لقد شهد الانكليز ايضاً بصدقه وقد تحقق النبأ المذكور بعد ان كانت مضت بضعة قرون منذ تأليف الصحيحين واشاعتهما ، فهل يجدر بنا وقد وقع الامر ان نقول ان الحديث المشار اليه من الاحاد ، ساقط من مرتبة اليقين لا ينبغي ان يقبل و يعتمد عليه؟ كلا بل ان تصور هذا الخاطر لأقبح تصور واشنع حماقة بعدما تحقق برهانه بالواقع المشهود . فعلى هذا القياس تماماً تدبروا في نبإ المسيح الموعود وكسره الصليب وانظروا انه كان وارداً في بعض الاحاديث إشارةً وفي البعض الآخر صراحةً انه يأتي المسيح الموعود في زمن غلبة الصليبية حينما تكون المسيحية مسيطرة على الارض منتشرة في جميع ارجائها—

حينما يقوم القطار مقام المراكب القديمة «فتترك القلاص فلا يسعى عليها»
حين تستعمر الارض وتزرع اكثر بقاعها ويُقبل الناس على الزراع
كثيراً حتى لتغلون قيمة الثيران وتفجّر الارض انهاراً وتكثر اسباب
الرفاهية ورغد العيش ونرى باعيننا ان هذا النبأ قد تم كما ور
وأزهر كوكب الدولة المسيحية وبلغ في الازدهار حده الاقصى حين
اضمحلت امامه سائر الحكومات واصبحت كل الرئاسات كالعدم المحض
وقد رأينا باعيننا مركب القطار وتفجير الانهار وكثرة الزراعة والاستثمار
كل ذلك رأيناه وشهدناه بأم اعيننا ، فكيف نكذّب هذا النبأ وقـ
اشتمل من الغيب على امور تفوق قدرة البشر .

«تُرى من كان يخطر بباله ان الاسلام سوف يضمحل كهذ
الاضمحلال وقد كان سيفه البتار يخطف الكفار كخطف البرق
للابصار وهل يوجد بين البشر احد يستطيع تمزيق حجب الغيب
فيخبر الناس قبل قرون عديدة بظهور مركب جديد يهمل مركب
الصحراء ويقوم مقامه في السير والنقل . ألا ارجعوا البصر وانظر
جيداً أليس هذا النبأ من الانباء العظيمة التي لا يحيط بعلمها الا ا
علاّم الغيوب وانه ليس من اختلاق الانسان الضعيف ومكره قطعاً

«لا يخفى عليكم ان هذه الانباء كلها في سلسلة مرتبطة غاية الارتباط
تشتمل على الترتيب المحكم وعلى المعارف اللطيفة والامور الغيبية مما
يصل شأوها البعيد ادراك الانسان ابداً . مثلاً ذكر حضرته عليـ
الصلاة والسلام اولاً تلك الانباء التي تشير الى زمن عروج الاسلا

ورقيه المزدهر وقال في جملة ما قال عنه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك القيصر فلا قيصر بعده وقال ان الاسلام يترقى رقياً باهراً و ينتشر في العالم و يدخل في كل امة — ثم اخبر ان الامة الاسلامية تقوم عليها اخيراً ساعة يصبح فيها علماءها مثيل اليهود و يفقدون متاع التقوى والتدين كلية ولا يكون دينهم وديدنهم الاَّ المرائي والاحتيال والافتاء بالباطل والزور، متكالبين على شهوات الدنيا وليتبعُنَّ سنن اليهود شبراً بشبر حتى لو انهم كانوا دخلوا جحر ضبّ لدخله هؤلاء كذلك . واخبر ايضاً ان الامة المسيحية تكون يومئذٍ عالية الكعب قوية الشكيمة منتشرة في آفاق العالم كله تغلب الامم جمعاء وانه تخمُد محبة الدين وتتفكك عراه وتجري على الاسلام رياح من السموم عاصفات مجيحات تقذفه في قعر المخاوف والاهوال و يهدد كيانَه الخطب العظيم . حينئذٍ تتوالى المصائب وتنهال الآفات من كل ناحية وصوب و ينزال التقوى من المسلمين وتنحطّ اخلاقهم وتتغير اطوارهم . ثم اخبر في ضمن هذه الانباء عن بعثة المسيح الموعود وقال يكسر الصليب اي يبطل الديانة المسيحية و يتم بيده اضمحلالها — قال (يكسر الصليب) ولم يقل انه يدمّر حكومتها وفي ذلك من الاشارة ما فيه اي ان المسيح الموعود تكون مملكته روحانية ولا تكون هي من الممالك الدنيوية في شيء فيقاتل بقوة بركاته ويدخل ميدان الجهاد بسلاح الخوارق ولا يخرج الاَّ بعد الاجهاز على الديانة الصليبية بانه يفتضح عقائد المسيحية المشؤمة أيما افتضاح بنبراس النور الذي سيتلألأ كالصقيل المهنّد و ينقضّ

على ظلمات الكفر انقضاض الصاعقة و يخطفها خطفاً الى ان تنجلي
الحقيقة و يدرك طلاب الحق أنّ الاله الحي مع الاسلام

«ان جميع هذه الانباء متسلسلة في كتب الاحاديث تتدفق كنهر موّاج متدفق آخذة بعضها عناق بعض حيث ان تكذيب الواحد منها يستلزم تكذيب الآخر — كما وان التسليم بالبعض منها يستلزم تصديق الجميع . فمن يقدر والحالة هذه ان يشك في صحة مثل هذه الانباء سوى المجنون الغبي المخبط الحواس . وهل من عاقل يا ترى يستطيع ان يتصور لطرفة عين ان هذه الانباء التي تتضمن الامور الخارقة العادة المترابطة الحلقات هي من مفتريات البشر ؟ حاشا وكلا إنه لأيم الحق مستحيل ان تُرفض الامور الخارقة المنتظمة الاوصال المحكمة الترتيب لان رفضها يجرّ وراءه انقلاباً عظيماً يتطلب قلب العالم رأساً على عقب» المعرّب من كتابه شهادة القرآن الصحيفة ٩ — ١٢

فيا ايها المشايخ أخاطبكم بهذه الكلمة خاصة وأملي انني اخاطب فيكم اذكياء كرامَ النفوس لا خُشُباً مسنّدة واقول انكم ان استطعتم التصفح في هذا الكتاب بعقل سليم وقلب مستنير لتجدون بين دفتيه تصديق النبأ العظيم ومعنى كسر الصليب . ألا رحمكم الله اعقلوا وتدبروا قليلاً في الآية تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشق الارض وتخرّ الجبال هدّاً ان دعوا للرحمن ولدا في الحديث القائل من رأى منكم الدجال فيلقرأ فواتح سورة الكهف يعصم منه وانظروا ايّ ارتباط

وبين البأس الشديد المذكور في سورة الكهف وبين فتنة الدجال الذي خوّفنا منه المخبر الصادق بقوله يا ايها الناس انها لم تكن فتنة على وجه الارض منذ ذرأ الله ذريّة آدم اعظم من فتنة الدجال وان الله لم يبعث نبيّاً الاّ حذّر امته الدجال .

أترون كيف التطبيق بين هذا الحديث وبين قول الله تكاد السموات يتفطّرن منه الخ فان هذه الآية وفواتح سورة الكهف تستعظم بأس الدعاية المسيحية وتعدّها اكبر واعظم مصيبة في العالم حيث لا يتصوّر اعظم منها البتة ولا يعقل الاّ احد الأمرين اما التخالف بينهما وسقوط احدهما عن نظر الاعتبار واثبات الآخر او التوافق والجمع بينهما وذلك لانه مستحيل ان تكون كل واحدة من تينك الفتنتين مستقلة كل الاستقلال متباينة احداهما عن الاخرى ثم تكون ايضاً في الوقت نفسه اعظم من جميع الفتن التي كانت على وجه الارض منذ خلق الانسان الى يوم القيامة .. فلا مشاحة من القول بالتوفيق (*) بين قول الله وقول الرسول بناءً على حديث القائل من رأى منكم الدجال فليقرأ فواتح سورة الكهف فانها لا تذكر الا بأس الدعوة المسيحية ويقول احمد المسيح الموعود عليه السلام في كتابه (إزالة اوهام) ما ترجمته :

(*) انها هي هذه الوحدة بين فتنة الدجال وبأس الديانة المسيحية التي لاجلها جاء ذكر كسر الصليب وقتل الدجال جنباً لجنب في حديث نزول المسيح الموعود وسمّي الدجال مسيحاً ايضاً لنسبته الى المسيحية ولاجل سياحاته البعيدة وانتشاره في الارض

« بقي عليّ الآن ان اجيب السؤال عن الدجّال الذي قيل عنه في الاحاديث الصحيحة انه ليس امر اكبر فيما بين خلق آدم الى قيام الساعة فأقول انني لا انكر بل أؤمن بامكان بعثة مصلح آخر من بين الامة الاسلامية في مستقبل الزمان ، يكون هو ايضاً ابنَ مريم بالمعنى التمثيلي وبان يخرج وقتئذٍ دجّال آخر يكون مصداق الاحاديث باعتبار ظاهر المعاني . ومع كل هذا فانّ اعتقادي ومذهبي انه لم يُولد قط دجّال مثل الدجّالة المسيحية اي الفئة المبشّرة ولن يُولد كمثلها دجالٌ الى يوم القيامة .

« ولا يخفى على عارفي اللغة العربية أنّ الدجال في اللغة فئة الكذّابين المموّهين الذين يُلبسون الحق بالباطل و يزخرفون القول في اعين الناس و يتوسلون في تضليل الخلق بالتدليس والتدسيس وايضاً الرفقة العظيمة التي تحمل متاعها للتجارة وتنتقل من مكان الى آخر . (راجع لسان العرب) ودعواي بالتحدّي إننا اذا ما استقرأنا اخبار جميع الناس الذين قاموا من وقت لآخر بالتدجيل في العالم وتصفحنا فيها بكل الوسائل المرقومة التي وصلت اليها ايدينا ثم قارننا بين الواحد منهم والآخر بمعيار حديث المسلم القائل « ما بين خلق آدم الى قيامَ الساعة امر اكبر من الدجّال » ، فلن نجد من بينهم — ولا واحداً — من يُضارع المبشرين المسيحيين في امر التدجيل — إنّ هؤلاء هم الذين وضعوا نصب اعينهم من المسيح الموهوم إلهاً مصنوعاً يدّعي الالوهية والخوارق ولا يزال حياً بزعمهم ، ولم يقصّروا في تعميم مزعومهم هذا بشيء من

التحريف والتلبيس والتمويه والتكذيب وما تركوا بلداً الاّ جاسوا خلاله من اجله اللهم الاّ البلدين الحرامين وكأني بالدجّال يطوف حولهما ايضاً كما رآه سيدنا المصطفى في رؤياه .

فهل يوجد من خدعة خادع او ضلّة مضل او غائلة مغتالٍ او من حيلة محتالٍ لم يتوسل بها الدجّالة المسيحية في اضلال الناس عامة . أليس الحق الابلج انهم غطّوا وجه الارض كلها من مشارقها الى مغاربها واحاطوا بها كل الاحاطة بالتدجيل والمكر وأنهم اينما حلّوا وحيثما قاموا دعوتهم جعلوا اهلها اسفل سافلين وانهم الاغنياء المثرون ، تسير معهم خزائن الارض حيثما ساروا وترافقهم الجنّة والجحيم انّى ذهبوا ، يعِدون بالاولى من اعتنق دينهم واخذ إخذهم ويُوعدون بالثانية من خالفهم وفي دارهم من الخبز شيء كثير حتى لكأنه طود عظيم يميد بهم اينما مادوا . فكم من عُبّاد البطون افتتنوا بسبب تراغيفهم البيضاء وجعلوا ينادون :—

ربنا المسيح يا إلهنا السماوي . كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذباً .

« ولعمري انّ كفرهم (ك . ف . ر .) ظاهر اشدّ الظهور كانما هو مكتوب بالحروف على جباههم ، يقراؤه الجميع – القارىء ومن لا يقرأ — فلا توجد علامة واحدة من علامات المسيح الدجّال الاّ وهي فيهم بالمعنى الحقيقي . انهم لكذلك يُحيون الاموات ويُميتون الاحياء بمعنى من المعاني . فليفهم ذلك من له من فهمٍ . ولا ريب أن لهم عيناً واحدة

وهي اليسرى الشاخصة الى الدنيا العاكفة عليها . ولو كانت لهم اليمنى لخافوا الله وكفّوا ولو شيئاً قليلاً عن تأليههم .... والى عمايتهم هذه تشير الآية الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني اولياء إنا اعتدنا جهنّم للكافرين نزلاً . قل هل ننبّئكم بالاخسرين اعمالاً — الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً . (من اواخر سورة الكهف)

«ومن الذي يستطيع ان يقدّر مبلغ الاضرار العظيمة التي جناها على الاسلام هؤلاء الرفقة الدجاجلة ومن يا ترى يقدر ان يتصوّر مقدار ما اثخنوه في الحق والعدل وما جلبوه على العالم من الويل والثبور؟!

«لم يكن لهذه الفتنة التبشيرية من اثر ظاهر قبل القرن الثالث عشر، فما ان انسلخ منتصفه الا وخرج دجّالها (*) من كنيسته بغتة فليست هي الا في الازدياد والانتشار يوماً فيوماً حتى انه من شرّها تنصّر في الهند فقط خمس مائة آلاف بشر — الذين يدعون الانسان الضعيف الهاً — كما اعلنه القسيس هيكر مفتخراً . وإن قرأتم الصفحة

(*) نعني بالدجّال القائمين بالدعاية المسيحية التي جاءنا شرها المستطير من الغرب منذ الحروب الصليبية لذلك لا يضطرب لهذه الكلمة اخواننا المسيحيون من مواطنينا فاننا نحن وهم جميعاً مصابون في ديننا ودنيانا من وراء هذه الدعاية التي تسمّى التبشير — وهي بالعكس وقد اتفق معنا كبار الكتّاب الاوربيين في تسمية التبشير المسيحي باسم الدجّال .

٤ من كتابي «فتح اسلام» عرفتم انهم ای المبشرين المسيحيين
نشروا مجاناً من المؤلفات فقط ٧٠٠٠٠٠٠٠ ما بين كتابٍ ونشرةٍ
في مدة عشر سنوات في اشاعة افكارهم الواهية وترويج مزاعمهم
الباطلة ومن اجل ان يرغب المسلمون عن الاسلام و ينفروا منه . .

فيا قوم ما بالكم تغفلون عما بين ايديكم من
الدجال المخوف والموت المخطور وانتم تشرأبّون
الى المستقبل المظلم تبحثون فيه عن دجال اذا جاء
لا ينفعكم علمكم به اذ ذاك . اما ترون كم يسعون
سعياً حثيثاً في سبيل تقويض اركان الاسلام وتهديم بنيانه ، وكم وكم
من عُدّة اعدّوها في نيل بغيتهم هذه انهم لركبوا شديد الاهوال والمخاوف
وتجشّموا عظيم المخاطر والمهالك وافاضوا كالمياه اموالهم و بذلوا انفسهم
ونفيسهم وما ادّخروا دون مرامهم من قوة الا استنزفوها الى
آخرها . وحتى لقد توسّطوا في الوصول اليه بما ينافي النزاهة والشرافة
كلية و يتندّى منه جبين الانسانية خجلاً وحياءً . . . . كلّ ذلك فعلوه
وليفعلونه في محو الايمان والحق وإعفاء الاسلام وقطع دابر المسلمين
فهل من مأثمةٍ لم يقترفها حُماة التثليث او من مضلّة لم يُوجدها عبدة
الصليب ؟ أَما والله انهم هم الدجّال الموعود خروجه من الكنيسة(١)

(١) حديث تميم الدّاري — المسلم .

وإنّ هؤلاء هم الذين بُعثتُ لقتلهم بحربة صارمة — ألا وهي كسر صليبهم وابطال معتقدهم بحياة المسيح المزعومة .
الا فقد رغت الي اله الدجال بحربتي هذه وضربته ضربة لازب فمات الاله المصنوع وماتوا هم بموته .... الملخّص من الصحيفة ٢٤٤ الى ٢٥٠ . من الطبعة الثانية للكتاب المذكور سنة ١٨٩٣ .

وأما ما قيل عن خروج ياجوج وماجوج في زمن المسيح ومايتعلق بالبحث التاريخي عنهما فلا يمكنني ان أستوفيه مفصّلاً في هذه العجالة ، غير انني أذكر لكم جماع القول الراجح فيهما بالاختصار التام ضارباً الصفح عن ذكر أقوال المؤرّخين المختلفة وآراءهم المتضاربة المتشتتة

١ يقول حزقيال النبي في الاصحاح التاسع والثلاثون «وانت يا ابن آدم تنبأ على جوج رئيس روش ، ما شك ، وتوبال . اردّك واقودك وأصعدك من اقاصي الشمال وآتي بك على جبال اسرائيل واضرب قوسك من يدك اليسرى وأسقط سهامك من يدك اليمنى . فتسقط على جبال اسرائيل انت وكل جيشك والشعوب الذين معك . ابذلك مأكلاً للطيور الكاسرة من كل نوع ولوحوش الحقل . على وجه الحقل تسقط لاني تكلمت . يقول السيد الرب . وارسل ناراً على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين فيعلمون اني انا الرب . الخ الآية ١ — ٧

ألفت نظر القراء الى الاسماء الثلاثة الواردة فيما فوق وهي روش

(روسيا) وماشك (ماسكوا) وتوبال (توبالسك) وكذلك الى الجملة الآتية :

« وأرسل ناراً على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر . »

٢ وفي متحف جلدهال (Guild Hall.) في مدينة لندن تمثالان جسيمان ليأجوج ومأجوج (GoG and MaGoG.) يقول عنهما الانسائيكلوبيديا البريطانية ما معناه « وكان يوجد في لندن تمثالان كالتمثالين الموجودين اليوم من عهد هنري الخامس ملك انكلترا . » راجع فيه الاسمين المذكورين

فبناءً على وجود هذا الاثر التاريخي وما تحكينا عنه الاساطير السكسونية وعلى كثيرٍ من الأدلة الاخرى نستدل على كون ياجوج وماجوج هما رجلان كبيران من آباء الشعبين -- الروس والانكليز سكان الجزائر وما تفرّع منهما من الشعوب الاوروبية . ويحكم احمد المسيح الموعود بالحكم الواحد على « أن هؤلاء الشعوب الروسية والانكليزية هي المراد بقوله تعالى : « حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون اي انهم بفضل قوتهم الموهوبة واستعداداتهم المفطورة يغلبون على جميع ما في الارض كأنهم في سير ارتفائهم وغلبتهم كالسيل الجارف الذي ينحدر من فوق الانجاد الى الوهاد . والى تنازعهم الشديد وتضاربهم العنيف تشير الآية : « وتركنا بعضهم يومئذٍ يموج في بعض ونُفخ في الصور (صور النفير) فجمعنهم جمعاً وعرضنا جهنم يومئذٍ للكافرين عرضاً . الذين كانت أَعينهم في غطاءٍ الخ » الآية

من اواخر سورة الكهف . الملخّص من الصحيفة ٣٥١ — ٢٥٣ من كتاب إزالة اوهام المذكور

وقصارى القول ان ليس ثمّة اختلاف بين ما ينذر به القرآن الحكيم وبين ما تصفه الاحاديث النبويّة ، فالفتنة المسيحية التي تكاد السموات يتفطرن منها الخ وفتنة الدجال الأعور وفتنة ياجوج وماجوج — ليسن الاّ شيئاً واحداً في اعتقادنا وانما سمّيت الفتنةُ المعهودةُ فتنة الدّجّال من أجل أنّ القائمين بها يتوسلون بالتدجيل والتمويه والمكر والحيلة في جميع اعمالهم وفتنةَ ياجوج وماجوج باعتبار قوميتهم وفتنة المسيحية نظراً الى ديانتهم . إنّ القرآن العظيم هو المحور الاوّل لجميع معتقداتنا الاساسية وبميزانه ومعياره نزن ونقتبس ونؤوّل الاحاديث المرويّة فما خالفه ظاهراً وباطناً ، ولا يقبل تأويلاً ما ، نضرب عنه صفحاً . لانّ القرآن العظيم هو المُتقدّم قبل كل شيء ثم الاحاديث المقدّسة بعده .

فيا زمرة المشايخ دعوا النبأ العظيم يتحقق بايدينا ولا تكونوا عثرة في سبيله ولا تحاربوا الله فانه سبحانه يريد ان يقيم في العالم للاسلام آية جديدة من اعظم الآيات الباهرات فان كنتم لا يُضّ من ايديكم شيء فلا أقل ان تنتظروا بصبر جميل ريثما تنقشع السحابة عما وراءها .

أليس من العار المخجل والبقعة السوداء على ثياب الفضيلة التي تتزينون بها بينما نحن ندافع عن بيضة الاسلام بالحق الصراح ونزيل عنه

غواشي الخرافات المتلبدة حوله فتقومون علينا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس . ألا اعتباراً وايتساءً بالمسيحيين الكرام الذين تقول بموت إلههم فيستقبلون افكارنا باسمين منشرحين لها بصدر رحيب واخلاق سمحاء أوليس من العجيب يا ترى ان علماء اوروبا المسيحيين يرون من بواعث الغبطة والافتخار في التماسهم من صاحب السيادة امير الجامعة الأحمدية المعظم ان يلقي عليهم خطاباً في الاسلام فيلبي حضرته دعوتهم و يعبر اجواز المياه المتلاطمة في ايام الصيف و يتكبد مشقة السفر البعيد و يقصد ارض المسيحية لاعلاء كلمة الاسلام في ربوعها فيستقبله وفود العلماء المسيحيين تتهلل وجوههم لقدومه الميمون وهم يعلمون اننا ننظر الى القائمين بالدعاية المسيحية منهم نظرنا الى الدجال المعهود . واما في ارض الاسلام حين مروره بها تقوم الغوغاء قيامتها وترفع عقيرتها ! انه لعمري عجب العجائب وعبرة من انقلاب الدهر لا بد ان أسجلها في مقدمة هذا الكتاب واقول ان الذي كان شرّف هذه البلاد بقدمه المباركة العامَ المنصرم لهو في عظمته وعلوّ شأنه على مقام دونه جميع المقامات التي يتبجح بها ولي الفخر كله ان اقول لستُ اهلاً لأفك سيور حذائه . ان نحن الاّ صنيعة احسانه ونتيجة تربيته . ولقد افاض علينا من غيداق معارفه ما استطعنا به ان نبرز لكم هذا الكتاب واني أكرّسه باسمه إنْ قبل فذاك منّته .

ويجب عليّ ان أُسجل هنا كلمة الشكر للشبيبة العربية النبيلة فان حضرته لم يفارقها الاّ بذكرى جميل وما حفظ منها الاّ خلقاً كريماً وشمائل سمحاء

زين العابدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

إن الاعتقاد بحياة المسيح الجسدية وصعوده الى السماء نشأ بادىء ذي بدء في غضون الحوادث المؤلمة التي ألمّت به عندما ثارت ثوائر اليهود خلاف دعوته ودبّروا مكيدة قتله ومعظم المكوّنات للاعتقاد المذكور لم يكن لها اذ ذاك في الخارج من حقيقة وانما برض بارضها فيما بعد في توهمات الناس وتخيّلاتهم . ولئن أجلنا النظر في نصوص الروايات الانجيلية وما يحكيه التاريخ القديم عن حادثة الصليب — النظر المجرّد من غاشية الزوائد الخيالية ما وجدنا فيها شيئاً يساير الاعتقاد الرائج عن صعوده بل بالعكس عثرنا فيه على جميع ما ينقضه كل النقض . وكذلك شان الامر في الفرقان الحميد فاننا لو وضعنا حواشيه جانباً واستنطقنا الآيات البيّنات الواردة في المسيح عليه السلام علمنا منها غير ما نعلم من التفاسير وقبل ان آتي على التفاصيل الجمّة المعارف والمكتشفات الحديثة ارى من المناسب ان اورد ههنا اوّلاً رواية الاناجيل الاربعة في واقعة الصليب كما هي لنعرف منها مباني الاعتقاد الاول ومن ثمّ سنبحث في نشوءه وتنوعه وشيوعه بين الجمهور الاسلامي وما توفيقي الاّ بالله العليم .



الفصل الاول

هواجس اليهود ومؤامرتهم ضد المسيح عليه السلام

وقبل عيد الفطير الذي يقال له الفصح بايام اجتمع رؤساء الكهنة
والكتبة في دار رئيس الكهنة الذي يدعى قيافا وتشاوروا فيما بينهم
كيف يتخلصون من يسوع المدّعى وقالوا ماذا نصنع فان هذا الانسان
يعمل آيات كثيرة ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ١١ :
ويأخذون موضعنا وامّتنا فقال لهم واحد منهم وهو قيافا المذكور انتم ٥٢ —
لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون انه خير لنا من ان يموت انسان واحد ٢٦ :
عن الشعب ولا تهلك الامة كلها . فمن ذلك اليوم اجمعوا على ان ٥ —
يقتلوه وأجّلوا قتله الى ما بعد العيد لخوفهم من الشعب لئلاّ يكون ١٤ :
بينهم شغب . وقد كانوا من قبل يراقبون حركاته ويتسمعون لكلماته ٢ —
وشياً به لدى الحكومة واغراءً بها عليه فلم ينجحوا في ذلك واخيراً ٢٢ :
اتفقوا على الايقاع به غيلة كانت او جهرة واسرّوا هذه المؤامرة ٣ —
فيما بينهم بكل حرص .

اطلاع المسيح عليه السلام على نية اليهود واختفاؤه منهم

١١ :
فلم يكن يسوع ايضاً يمشي بين اليهود علانية . بل مضى من ٥٥ —
هناك الى الكورة القريبة من البرية الى مدينة يقال لها افرايم وهي طيبة
بني سالم على نحو ١٦ ميلاً شمالي اورشليم (بيت المقدس) ومكث هناك
مع تلاميذه

اعلان اليهود بجائزة للمخبر عنه

وكان فصح اليهود قريباً فصعد كثيرون من الكور الى اورشليم قبل الفصح ليطهروا انفسهم فكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم وهم واقفون في الهيكل ماذا تظنون هل هو يأتي الى العيد وكان ايضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد اصدروا امراً أنه ان عرف احد اين هو فليدل عليه ليمسكوه وله منهم جزاء

يوحنا ١١ — ٥٣

ارتداد واحد من تلاميذه وتغيره عليه ومساومته مع اليهود

يوحنا ١٢ — ١ لوقا ٤ — ٣ مرقس ١٠ — ١٠ متى ٢٦ — ١٤

ثم قبل الفصح بستة ايام اتى يسوع الى بيت عنيا (وهي تسمى اليوم العازرية على نحو ميلين شرقي اورشليم في سفح جبل الزيتون الشرقي) حيث كان لعازر الميت الذي اقامه من الاموات فصنعوا له هناك عشاء وكانت مرثا تخدم فأخذت مريم منًّا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها فامتلأ البيت من رائحة الطيب فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا الاسخريوطي لماذا لم يُبَع هذا الطيب بثلثمائة دينار ويعطَ للفقراء . لم يقل هذا لانه كان يبالي بالفقراء بل لانه كان سارقاً وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يلقى فيه فقال يسوع اتركوها — انها ليوم تكفيني قد حفظته لان الفقراء معكم في كل حين .

حينئذٍ ذهب يهوذا الاسخريوطي الى رؤساء الكهنة وقال لهم ماذا تريدون ان تعطوني وانا اسلمه اليكم ولما سمعوا فرحوا ووعدوه ان يعطوه فضة فجعلوا ثلاثين من الفضة فوعدهم ومن ذلك الحين اخذ

يطلب فرصة موافقة ليسلمه اليهم خلواً من الجمع ·

دخول المسيح عليه السلام في بيت المقدس مستخفياً بالليل واكله الفصح
في بيت احد من اشياعه المتكتمين

١٤ : وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي ان يذبح فيه الفصح · حينئذ
١٦ — قال له تلاميذه اين تريد ان نمضي ونعدّ لك لتأكل الفصح فارسل
٢٢ : الاثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا الى المدينة فيلاقيكما انسان حامل
١٣ —
٢٠ : جرة ماء · اتّبعا وحيثما يدخل فقولا لرب البيت انّ المعلّم يقول اين
٢٠ — المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذى فهو يريكما عليّة كبيرة
مفروشة معدّة — هناك اعدّا لنا · فخرج تلميذاه واتيا الى المدينة
ووجدا كما قال لهما فاعدّا الفصح ولما كان العشاء جاء مع الاثني عشر ·

اطلاعه على نية يهوذا الاسخريوطي ومواطئته مع اليهود

١٣ : اما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينقل
٣ — من هذا العالم الى الآب فحين كان العشاء وفيما هم متكئون يأكلون
٢٢ : قال يسوع انّ واحداً منكم سيسلمني · فكان التلاميذ ينظرون
٢٣ —
١٤ : بعضهم الى بعض وهم محتارون في من قال عنه · وكان متكئاً في
٢١ — حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه فاومأ اليه سمعان
٢٦ : بطرس ان يسأل من عسى ان يكون الذي قال عنه فاتكأ ذاك على
٢٥ —
صدر يسوع وقال له يا سيد من هو · اجاب يسوع هو ذاك الذي
اغمس انا اللقمة واعطيه · فغمس اللقمة واعطاها يهوذ الاسخريوطي —
وقال له يسوع توما انت تعمله فاعمله باكثر سرعة — واما هذا فلم

يفهم احد من المتكئين لماذا كلمه . لان قوماً — اذ كان الصندوق مع يهوذا — ظنوا انّ يسوع قال اشترِ ما تحتاج اليه للعيد او ان يعطي شيئاً للفقراء

مخاوف المسيح عليه السلام وهواجسه

كان المسيح عليه السلام يوجس على نفسه خوفاً من غيله اليهود منذ زمن طويل قبل ان يزمع الكهنة والكتبة على الفتك به وذلك كما يظهر جلياً من اقواله وامثاله المتفرقة ولا سيما من تمثيله بقصة صاحب الكرم المذكور في الاناجيل . ثم لما ان تحقق لديه عزمهم الاكيد اختفى عن الأعين ولم يدخل المدينة لاكل الفصح الاَّ سرقاً بالليل — ويُرى مما ذُكر فيما فوق انه اطلع على اتفاقهم السرّي مع احد من التلامذة إمّا سِماعاً في البيت الذي أُعدَّ له فيه الفصح او وحياً من الله وغالب الامر انه عرف ذلك من صاحب البيت الذي هيأ له الفصح سراً فقد كان من اشياعه المتكتمين له علائق ظاهرة مع اليهود فلا يبعد انه اسرّ اليه مواطأة يهوذا الاسخريوطي مع اعداءه وما يُتناجى به فيما بينهم — ومما يبعث على هذا الظن انه لم يذكره — حتى ولا بالاشارة قبل ذلك الحين — وكذلك من الممكن الغالب انه كان قد عرف اجمالاً الحوادث المستقبلة ايضاً بطريق الرؤيا والمكاشفة او الوحي — ثم تحقق ذلك بشهادة اهل البيت، من ههنا اشتدّ خوفه وقلقه واخذ يخاطب حواريه بما يلي :

لوقا :

خطاب الحزن والتوديع والوصية والانباء عن سلامته ونجاته

١ : يا اولادي انا معكم زماناً قليلاً بعد — ستطلبونني ولما قلت لليهود
٢٥ حيث اذهب انا لا تقدرون انتم ان تأتوا — اقول لكم انتم الآن
وصية جديدة انا اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً — كما احببتكم انا
تحبون انتم ايضاً بعضكم بعضاً — بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي
ان كان لكم حبٌّ بعضاً لبعض — لا تضطرب قلوبكم — انتم
١ : توءمنون بالله فآمنوا بي — في بيت ابي منازل كثيرة والاَّ فاني قد
٥ قلت لكم . انا امضي لأُعدَّ لكم مكاناً وان امضيت واعددت لكم
مكاناً آتي ايضاً وآخذكم اليَّ حتى حيث اكون انا تكونون انتم
ايضاً وتعلمون حيث انا اذهب وتعلمون الطريق .....

١٤ : ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وانا اطلب من الآب فيعطيكم
معزّياً آخر ليمكث معكم الى الابد روح الحق الذي لا يستطيع العالم ان يقبله
لانه لا يراه ولا يعرفه واما انتم فتعرفونه لانه ماكث معكم ويكون
١ : فيكم — لا اترككم يتامى — اني آتي اليكم — بعد قليل لا يراني العالم
٢١ ايضاً واما انتم فترونني اني انا حي فانتم ستحيون — في ذلك اليوم تعلمون
١٤ : اني انا في ابي وانتم فيَّ وانا فيكم — سلاماً اترك لكم — سلامي اعطيكم
٣١ ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا — لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب — سمعتم
اني قلت لكم انا اذهب ثم آتي اليكم — لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون
لاني قلت امضي الى الآب لان ابي اعظم مني وقلت لكم الآن قبل
ان يكون حتى متى كان تؤمنون لا اتكلم ايضاً معكم كثيراً لانَّ

رئيس هذا العالم يأْتي وليس له فيَّ شيء - ولكن ليفهم العالم اني احب
الآب وكما اوصاني الآب هكذا افعل — قوموا ننطلق من ههنا —
يوحنا فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعض ما هو هذا الذي يقوله لنا بعد قليل
١٧ لا تبصرونني ثم بعد قليل ايضاً ترونني ولأَني ذاهب الى الآب - فقالوا
ما هو هذا القليل الذي يقوله عنه — لسنا نعلم بماذا يتكلم . فعلم يسوع
انهم كانوا يريدون ان يسأَلوه فقال لهم أَعن هذا تتساءلون فيما بينكم
لاني قلت بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل ايضاً ترونني- الحق الحق
اقول لكم انكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح — انتم ستحزنون
ولكنَّ حزنكم يتحول الى فرح المرأَة وهي تلد — تحزن لان ساعتها
قد جاءَت ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدَّة لسبب الفرح
لانه قد ولد انسان في العالم فانتم كذلك عندكم الآن حزن ولكني
سأَراكم ايضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع احد فرحكم منكم وفي ذلك اليوم
لا تسأَلونني شيئاً

تأَهّبه للسفر وحده خفية — ودعاءه للنجاة ومحاولته للفرار

يوحنا فذاك (اي يهوذا الاسخريوطي) لما اخذ اللقمة (بعد تناول عشاء
٣٠ الفصح) خرج للوقت وكان ليلاً فلما خرج قال يسوع الان تمجَّد ابن
الانسان وتمجَّد الله فيه — فان الله سيمجده في ذاته ويمجده سريعاً -
يا اولادي انا معكم زماناً قليلاً بعد - ستطلبونني وكما قلت لليهود حيث
اذهب انا لا تقدرون انتم ان تاتوا . . . . .

يوحنا
٣٦ قال له سمعان بطرس ياسيد الى اين تذهب- اجابه يسوع حيث

اذهب لا تقدر ان تتبعني ولكنك ستتبعني اخيراً – قال له بطرس ١
يا سيد لماذا لا اقدر ان اتبعك الان واني اضع نفسي عنك – اجابه
يسوع اتضع نفسك عني الحق الحق اقول لك لا يصيح الديك حتى
تنكرني ثلاث مرات .

لا تضطرب قلوبكم – انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي ، في بيت ابي
منازل كثيرة والا فاني كنت قد قلت لكم انا امضي لأعدَّ مكاناً – ١
وان مضيت واعددت لكم مكاناً آتي ايضاً وآخذكم اليَّ حتى حيث
اكون انا تكونون انتم ايضاً . وتعلمون حيث انا ذاهب وتعلمون
الطريق – قال له يا سيد لسنا نعلم اين تذهب فكيف نقدر ان نعرف ١٣ :
الطريق . قال له يسوع انا هو الطريق والحق والحياة ..... ٣٨ –
« ثم قلب وجه الكلام وشرع يوصيهم ..... لا اترككم ١ –١٤
يتامى . اني آتي اليكم . بعد قليل لا يراني العالم ايضاً واما انتم
فترونني الخ ..... سلاماً اترك لكم سلامي اعطيكم ...... الى
آخر القول قوموا ننطلق من ههنا .

وفي الانجيل متى ومرقس كما يأتي :

حينئذٍ قال لهم يسوع كلكم تشكّون فيَّ في هذه الليلة لانه متى
مكتوب اني اضرب الراعي فتتبدَّد خراف الرعية ولكن بعد قيامي ٢١ –
اسبقكم الى الجليل . فاجاب بطرس وقال له وان شك فيك الجميع فانا مرقس
لا اشك ابداً . قال له يسوع الحق اقول لك انك في هذه الليلة قبل ٢٧
ان يصيح ديك تنكرني ثلاث مرّات . قال له بطرس ولو اضطررت

ان اموت معك لا انكرك · هكذا قال ايضاً جميع التلاميذ ·

وقال الربّ سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم ليغربلكم كالحنطة ولكني طلبت من اجلك لكي لا يفنى ايمانك · وانت متى رجعت ثبّت اخوتك · فقال له يارب اني مستعد ان امضي معك حتى الى السجن والى الموت · فقال اقول لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل ان تنكر ثلاث مرات انك تعرفني ·

ثم قال لهم حين ارسلتكم بلا كيس ولا مذود ولا احذية هل اعوزكم شيء · فقالوا لا · فقال لهم لكن الان من له كيس فليأخذه ومذود كذلك · ومن ليس له فليبع ثوبه ويشترِ سيفا · لاني اقول
لوقا : — لكم انه ينبغي ان يتمّ فيّ ايضاً هذا المكتوب واحصى مع اثمة · لان
٣١ — ما هو من جهتي له انقضاء · فقالوا يارب هوذا هنا سيفان · فقال لهم
متى ٢٦: يكفي وخرج ومضى كالعادة الى جبل الزيتون · وجاء معهم الى ضيعة يقال لها جيثماني (*) فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى امضى واصلي هناك · ثم اخذ معه بطرس وابنى زَبدي وابتدأ يحزن ويكتئب وقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت · امكثوا ههنا واسهروا معي · ثم تقدّم قليلاً وانفصل عنهم نحو رمية حجر وخرّ على الارض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة ان امكن ، وقال يا ابا الآب كل شيء مستطاع لك فأَجز عني هذا الكأس ولكن ليس كما اريد انا بل كما

(*) حاشية : آثاره الآن في وادى قدرون ما بين بيت المقدس وجبل الزيتون حيث توجد القبور كان فيه بستان : لوقا ٢٣ — ٥٣ يوحنا ١٨ — ١و٢

تريد انت . وظهر له ملاك من السماء يقوّيه واذا كان في جهاد كان يصلي باشدّ لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض . ثم قام من الصلاة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن فقال لهم انتم نيام قوموا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة . اما الروح فنشيط واما الجسد فضعيف . ومضى ايضاً وصلى قائلاً ذلك الكلام بعينه . ثم رجع ووجدهم نياماً اذ كانت اعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا - يكفي — قد اتت الساعة . هوذا ابن الانسان يسلّم الى ايدي الخطاة قوموا لنذهب – هو الذي يسلمني قد اقترب

افشاء الدرّ والتعقيب والاحاطة وعدم تمكنه من الفرار بعد عشاء الفصح

قال يسوع هذا « عند عشاء الفصح » وخرج مع تلاميذه الى عبر الوادي قدرون حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه وكان يهوذا مسلّمه يعرف الموضع . لأنّ يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه فاخذ يهوذا الجند وخدّاماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وبسيوف وعصيّ . فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون ـ اجابوه يسوع الناصريّ قال لهم يسوع انا هو وكان يهوذا مسلّمه ايضاً واقفاً معهم فلما قال لهم اني انا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض « يوحنا ١٨ : ٤ـ٨ » فسألهم ايضاً من تطلبون . اجابوه يسوع الناصريّ . اجاب يسوع قد قلت لكم اني انا هو ..... « يوحنا : ١٨ : ١ . ٨ » والذي اسلمه

اعطاهم علامة قائلاً الذي أُقبّله هو هو امسكوه ــ فللوقت تقدّم الى يسوع وقال السلام يا سيّدي وقبّله وقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت . حينئذ تقدموا والقوا الايادي على يسوع وامسكوه واذا واحد من الذي مع يسوع (سمعان بطرس) مدّ يده واستلّ سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه ــ فقال يسوع لبطرس رُدَّ سيفك الى مكانه لانّ كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون . اجعل سيفك في الغمد ــ الكأس التي اعطاني الآب الا اشربها ــ ثم قال لرؤساء الكهنة وقوّاد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه كانه على لصّ خرجتم بسيوف وعصيّ ــ اذ كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمدّوا عليّ الايادي ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة ــ واما هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الانبياء ــ حينئذٍ تركه التلاميذ كلهم وهربوا (الاّ شاباً تبعه لابساً ازاراً على عريه فامسكه الشبان فترك الازار وهرب منهم عرياناً) لوقا ــ مرقس ــ متى

ثم ان الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع واوثقوه ومضوا به الى حنّان اولاً لانه كان حما قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة وكان قيافا هو الذي اشار على اليهود انه خير ان يموت انسان واحد عن الشعب ــ وكان سمعان بطرس قد تبعه من بعيد الي داخل دار رئيس الكهنة . ولما اضرموا « الخدام » ناراً في وسط الدار وجلسوا معاً جلس بطرس بينهم ليستدفئ عند النار لانه كان برد . فرأته جارية جالساً عند النار فتفرّست فيه

وقالت وهذا كان معه فانكر قائلاً لست ادري ولا افهم ما تقولين
و بعد قليل رآه آخر وقال وانت منهم فقال بطرس يا انسان لست انا
ولما مضى نحو ساعة واحدة اكَّد آخر قائلاً بالحق ان هذا ايضاً كان
معه لانه جليليٌ ايضاً فقال بطرس يا انسان لست اعرف ما تقول وفي
الحال بينما هو يتكلم صاح الديك فتذكر بطرس كلام يسوع الذي
قال له انك قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات فخرج خارجاً
و بكى بكاءً مراً «متى ـ مرقس ـ لوقا ـ يوحنا»

معاملة اليهود القاسية للمسيح عليه السلام قبل محاكمته

سأَل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه · اجابه يسوع
أَما كلَّمت العالم علانية انا علَّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل
حيث يجتمع اليهود دائماً · وفي الخفاء لم اتكلم بشيء ـ لماذا تسالني انا ـ
اسأَل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ـ هوذا هولآءِ يعرفون ماذا قلت
انا · ولما قال هو لطم يسوع واحد من الخدّام كان واقفاً قال أَهكذا
تجاوب رئيس الكهنة · اجابه يسوع ان كنتُ قد تكلمت رديئاً
فاشهد على الردي وان حسناً فلماذا تضربني وكان حنَّان قد
ارسله موثقاً الى قيافا رئيس الكهنة ـ (وسمعان بطرس كان واقفاً
٢ : ٦٢ يصطلي) والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزؤن به
س ١٤ وهم يجلدونه وغطّوه وكانوا يضربون وجهه ويلكمونه ويبصقون عليه
ويسأَلونه قائلين تنبأْ من هو الذي ضربك واشياء أُخر كثيرة كانوا
يقولون عليه مجدّفين ·

مشيخة اليهود والمحاكمة الابتدائية واتّهامه

ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة واصعدوه الى جمعهم والمجمع كله يطلبون شهادة زورٍ على يسوع لكي يقتلوه فلم يجدوه ..... واخيراً تقدم شاهدا زور وقالا هذا قال اني اقدر ان انقض هيكل الله وفي ثلاثة ايام ابنيه فقام رئيس الكهنة وقال له استحلفك الله الحي ان تقول لنا هل انت مسيح الله فقل لنا فقال لهم ان قلت لكم لا تصدقوني وان سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني، منذ الان يكون ابن الانسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء فقال الجميع أفأنت ابن الله فقال لهم انتم تقولون اني انا انا هو (يعني نعم) فمزّق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً قد جدّف ما حاجتنا بعدُ الى شهودٍ ها قد سمعتم تجديفه ماذا ترون فاجابوا وقالوا انه مستوجب الموت، حينئذٍ بصقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين تنبأ لنا ايها المسيح من ضربك (متى · مرقس · لوقا)

متى
مرقس
لوقا

دار الولاية ومحاكمته ورغبة الولاة في انقاذه من الصليب

يوحنا
لوقا
مرقس
متى

ثم جاءوا بيسوع من عند القيافا الى دار الولاية وكان صبح ولم يدخلوا هم الى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح فخرج بيلاطس اليهم وقال اية شكاية تقدّمون على هـذا الانسان اجابوه قائلين اننا وجدنا هذا يفسد الامة ويمنع ان يعطي جزية لقيصر قائلاً انه هو مسيح ملك · ولو لم يكن فاعل شر لما كنا سلّمناه اليك فقال لهم بيلاطس خذوه انتم واحكموا عليه حسب ناموسكم فقال له اليهود

لا يجوز لنا ان نقتل احداً ·

ثم دخل بيلاطس ايضاً الى دار الولاية ودعا يسوع وقال له انت
ملك اليهود · اجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قال لك
عنّي — اجابه بيلاطس ألعلّي انا يهودي · امتك ورؤساء الكهنة
سلّموك اليّ · ماذا فعلت · اجاب يسوع مملكتي ليست من هذا
العالم · لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدّامي يجاهدون لكي
لا أُسلَّم الى اليهود ولكن الآن ليست مملكتي من هنا · فقال له
بيلاطس أفأنت اذاً ملكٌ · اجاب يسوع انت تقول اني ملك (يعني
نعم) لهذا قد وُلدت انا ولهذا قد اتيت العالم لأشهد للحق، كل من
هو من الحق يسمع صوتي · قال له بيلاطس ما هو الحق · فلما قال
هذا خرج ايضاً الى اليهود قال لهم انا لست أجد فيه علّة واحدة ولكم
عادة ان اطلق لكم في الفصح أفتريدون انتم ان اطلق لكم ملك اليهود
فصرخوا ايضاً جميعهم قائلين ليس هذا بل باراباس وكان باراباس
لصاً · (يوحنا) وكانوا يردون قائلين انه يهيج الشعب وهو يعلم في
كل اليهودية مبتدئاً من الجليل الي هنا · فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل
سأل هل الرجل جليلي وحين علم انه من سلطنة هيرودوس ارسله الى
هيرودس اذ كان هو ايضاً تلك الايام في اورشليم ·

واما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جداً لانه كان يريد من ٢٣ : ٨
زمان طويل ان يراه لسماعه عنه اشياء كثيرة وترجّى ان يرى آية ١٠
تصنع · منه وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء ووقف رؤساء

الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد · فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ بـه والبسه لباساً لامعاً وردّه الى بيلاطس فصار بيلاطس وهيرودوس صديقين مع بعضهما في ذلك اليوم لانهما كانا من قبل في عداوة بينهما

فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء وللشعب وقال لهم قـد قدّمتم اليَّ هذا الانسان كمن يفسد الشعب وها انا قد فحصت قدَّامكم ولم اجد في هذا الانسان علّة مما تشتكون به عليه ولا هيرودوس ايضاً لأني ارسلتكم اليه وها لا شيء يستحق الموت صنع منه · فانا أُؤدّبه واطلقه · وكان مضطراً ان يطلق لهم كل عيد واحداً · فصرخوا بجملتهم قائلين خذ هذا واطلق لنا باراباس وذاك كان قد طُرح في السجن لاجل فتنة حدثت في المدينة وقتلٍ · فناداهم ايضاً بيلاطس وهو يريد ان يطلق يسوع فصرخوا قائلين اصلبه · فقال لهم ثالثة
لوقا ٢٣ فأيّ شرّ عمل هذا · اني لم اجد فيـه علّة للموت · فانا اؤدبه
— ٢٥ واطلقه · فكانوا يلجّون باصوات عظيمة طالبين ان يصلب فقويت اصواتهم واصوات رؤساء الكهنة فحكم بيلاطس ان تكون طلبتهم · فاطلق لهم الذي طرح في السجن لاجل فتنة وقتل · الذي طلبوه واسلم يسوع لمشيئتهم

شفاعة امرأة بيلاطس

واذ كان جالساً على كرسي الولاية ارسلت اليه امرأته قائلة
متى ٢٧- اياك وذلك البارّ لأني تألّمت اليوم كثيراً في حلم من اجله ولكنّ

رؤساء الكهنة والشيوخ حرّضوا الجموع على ان يطلبوا باراباس
ويهلكوا يسوع ..... فلما رأى بيلاطس انه لا ينفع شيئاً بل بالحري
يحدث شغب اخذ ماءً وغسل يديه قدّام الجمع قائلاً اني بريءٌ من دم
هذا البارّ . ابصروا انتم . فاجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى
اولادنا . حينئذٍ اطلق لهم باراباس واما يسوع فجلده واسلمهُ ليصلب

فيما بين الساعة الثالثة والساعة السادسة مساءً

فمضى به العسكر الى داخل الدار التي هي دار الولاة وجمعوا كل
الكتبة و (عرّوه) والبسوه ارجواناً (رداءً قرمزياً) وضفروا اكليلاً
من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه وابتدأُوا يسلّمون
عليه قائلين السلام يا ملك اليهود وكانوا يضربونــه على رأسه بقصبة
ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على رُكَبهم وبعد ما استهزأُوا
به نزعوا عنه الارجوان والبسوه ثيابه ثم خرجوا بــه ليصلبوه (وهو
حامل صليبه) فسخّروا رجلاً مجتازاً كان آتياً من الحقل وهو سمعان
القيرواني ابو الكسندَرُس وروفُسَ ليحمل صليبه وجاءوا به الى موضع ١٥ :
جُلجثَة الذي موضع جمجمة (حيث كنيسة القيامة قائمة اليوم كما ٢٢
يُزعم) واعطوه خمراً ممزوجة بمرّ ليشرب (خلاً ممزوجاً بمرارة) ٢٧ :
ولما ذاق لم يرد ان يشرب فلم يقبل . ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين ٣٣ :
عليها ماذا يأْخذ كل واحد وكانت الساعة الثالثة فصلبوه وكان عنوان
علّته مكتوباً ملك اليهود وصلبوا معه لصّين واحداً عن يمينه ١ : ١
وآخر عن يساره . فتمّ الكتاب القائل وأُحصي مع اثمة وكان

المجتازون يجدّفون عليه وهم يهزُّون رؤوسهم قائلين آهِ يا ناقض الهيكل
وبانيه في ثلاثة ايام · خلّص نفسك وانزل عن الصليب · وكذلك
رؤساءُ الكهنة وهم مستهزؤن فيما بينهم مع الكتبة قالوا خلّص آخرين
واما نفسه فما يقدر ان يخلصها · لينزل الان المسيح ملك اسرائيل عن
الصليب لنرى ونؤمن واللذان صُلبا معه كان يعيّران

ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الارض كلها الى لوقا ٣
الساعة التاسعة ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً — ٧
ايلي ايلي لما سبقتني اي الهي الهي لماذا تركتني · فقوم من الواقفين مرقس — ٧
هناك لما سمعوا قالوا انه ينادي ايليا وللوقت ركض واحد منهم واخذ متى ٧
اسفنجة وملأَها خلاً وجعلها على قصبة وسقاه واما الباقون فقالوا اترك — ٥٠
لنرى هل يأْتي ايليا يخلصه ونادى يسوع بصوت عظيما وقال يا ابتاه
في يديك استودع روحي ولما قال هذا نكَّس رأْسه واسلم الروح

استيلاء الخوف والدهشة على شهود المنظر الفظيع

ولما قال هذا اسلم الروح فلما رأَى قائد المئة ما كان مجَّد الله قائلاً
بالحقيقة كان هذا الانسان باراً وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا لوقا ٣
المنظر لما ابصروا ما كان رجعوا وهم يقرعون صدورهم وكان جميع — ٤٩
معارفه ونساء كنَّ قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك

مطالبة اليهود بكسر العظام وخيبتهم في مطالبتهم هذه

ثم اذ كان استعداد فلكي لا تبقى الاجساد على الصليب في يوحنا
السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيماً · سأَل اليهود بيلاطس ان ٣٠ —

تكسر سيقانهم ويُرفعوا فاتى العسكر وكسروا ساقي الاول والآخر
المصلوب معاً واما يسوع فلما جاؤا اليه لم يكسروا ساقيه لانهم رأوه
قد مات

خروج الدم ورمق الحياة

١٩ لكنَّ واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء
٣٨ — والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم انه يقول الحق لتؤمنوا
انتم . لان هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه وايضاً
يقول كتاب آخر سينظرون الى الذي طعنوه

تعجّب بيلاطس من وقوع الموت سريعاً

١٥ ولما كان المساء اذ كان الاستعداد اي ما قبل السبت جاء يوسف
الذي من الرامة « وكان مشيراً ورجلاً صالحاً باراً وهذا لم يكن موافقاً
لرأيهم وعملهم . (لوقا) وهو تلميذ يسوع ولكن خفية بسبب الخوف
من اليهود (يوحنا) مشير شريف وكان هو ايضاً منتظراً ملكوت الله
فتجاسر ودخل الى بيلاطس وطلب جسد يسوع . فتعجب بيلاطس
انه مات كذا سريعاً

اهتمامه وتحقيقه

١٥ فدعا قائد المائة وسأله هل له زمان قد مات ولما عرف من قائد
٤٤ — المائة وهب الجسد ليوسف

تكفينه ووضعه في قبر جديد

وجاء نيقوديموس الذي اتى اولاً الى يسوع ليلاً وهو حامل

مزيج مرّ وعود نحو مئة منا فاخذا جسد يسوع ولفاه باكفان مع الاطياب كما لليهود عادة ان يكفنوا وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه احد قط فهناك وضعا يسوع بسبب استعداد اليهود لان القبر كان قريباً — (يوحنا ١٩:٣٩ — ٤٢)

مخاف اليهود ومطالبتهم الثانية ورفضها ايضاً من قِبَل بيلاطس

وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون الى بيلاطس قائلين يا سيّد قد تذكَّرنا ان ذلك المضلّ قال وهو حيٌّ اني بعد ثلاثة ايام اقوم فمُر بضبط القبر الى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب انه قد قام من الاموات فتكون الضلالة الاخيرة أشرّ من الاولى فقال لهم بيلاطس عندكم حرّاس اذهبوا واضبطوا القبر بالحرّاس (ولكن بعد فوات الوقت — وبعد خلو القبر منه وذلك كما يذكر متى في الاصحاح ٢٨ : ١١ — ١٥)

سعة القبر وقيامه منه حياً وذهابه الى الجليل

وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم ام يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنَّه باكراً جداً في الاسبوع أتين الى القبر اذ طلعت الشمس وكنَّ يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر من باب القبر فتطلعن ورأين ان الحجر قد دُحرج لانه كان عظيماً جداً ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلَّة بيضاء فاندهشن فقال لهن لا تندهشن . انتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب قد

مرقس ١٦ — ١

لوقا ٢٤ — ٢

قام — ليس هو ههنا هوذا الموضع الذي وضعوه فيه لكن اذهبن وقلن
لتلاميذه ولبطرس انه يسبقكم الى الجليل هناك ترونه كما قال لكم ·
فخرجن سريعاً وهربن من القبر لانَّ الرعدة والحيرة اخذتاهنَّ ولم يقلن
لأحد شيئاً لانهن كن خائفات · (مرقس ١٦ : ١ — ٨)

وفي لوقا ٢٤ : ١ — ١٢ فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع · وفيما هن محتارات في ذلك اذا رجلان وقفا بهنَّ بثياب برّاقة واذ كن خائفات ومنكّسات وجوههن الى الارض قالا لهنّ لماذا تطلبن الحيّ بين الاموات — ليس هو ههنا ولكنه قام، اذكرن كيف كلمكنَّ وهو بعد في الجليل قائلاً انه ينبغي ان يسلَّم ابن الانسان في ايدي اناس خطاة ويصلب وفي اليوم الثالث يقوم فتذكَّرن كلامه ورجعن واخبرن الاحد عشر وجميع الباقين بهذا كله ·

وفي يوحنا ٢٠ : ١ — ١٨ — انَّ مريم المجدلية ركضت وجاءت
الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت
١:٢٠ لها اخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم اين وضعوه فخرج بطرس والتلميذ
الآخر واتيا الى القبر · · · · فدخلا القبر ورأيا وآمنا — لانهم لم يكونوا
بعد يعرفون الكتاب انه ينبغي ان يقوم من الاموات · فمضى التلميذان
الى موضعهما

اما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي وفيما هي تبكي انحنت الى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند

الراس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً ، فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين قالت لهما انهم اخذوا سيّدي ولست اعلم اين وضعوه ولما قالت هذا التفتت الى الوراء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم انه يسوع ..... قال لها يسوع لا تلمسيني لاني لم اصعد بعد الى ابي ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني لم اصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم ...

وفي متى ٢٨ : ٧ واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه انه قد قام من الاموات ها هو يسبقكم الى الجليل هناك ترونه . ها انا قد قلت لكما . فخرجتا سريعاً من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه اذ يسوع لاقاهما ..... فقال لهما يسوع لا تخافا — اذهبا قولا لاخوتي ان يذهبوا الى الجليل وهناك يرونني متى

ملاقاته مع تلاميذه خفية

وبعد ما قام باكراً في اول الاسبوع ظهر اوّلاً لمريم المجدلية التي كان قد اخرج منها سبعة شياطين . فذهبت هذه واخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون . فلما سمع اولئك انه حيّ وقد نظرته لم يصدّقوا مرقس

وبعد ذلك ظهر بهيئة أُخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين الى البرية وذهب هاذان واخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين — (مرقس ١٦ : ٩ — ١٢) وفيما هما يتكلمان (اي الاثنين من التلامذة) ويتحاوران اقترب اليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما ولكن امسكت اعينهما عن معرفته فقال لهما ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وانتما ماشيان

عابسين . فاجاب احدهما الذي اسمه كليوباس وقال له هل انت متغرّب وحدك في اورشليم ولم تعلم الامور التي حدثت فيها في هذه الايام فقال لهما ما هي فقال المختصة بيسوع الناصريّ الذي كان انساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول امام الله وجميع الشعب ، كيف اسلمه رؤساء الكهنة وحكّامنا لقضاء الموت وصلبوه ونحن كنا نرجو انه هو المزمع ان يفدي اسرائيل ومع هذا كله اليوم له ثلاثة ايام منذ حدث ذلك - بل بعض النساء منا حيّرتنا اذ كنّ باكراً عند القبر ولما لم يجدنَ جسده اتين قائلات انهنّ رأين منظر ملائكة قالوا انه حيّ - ومضى قوم من الذين معنا الى القبر فوجدوا هكذا . . . . فقال لهما ايها الغبيّان والبطيئا القلوب في الايمان بجميع ما تكلم به الانبياء أما كان ينبغي ان المسيح يتألم بهذا و يدخل الى مجده . . ثم اقتربوا الى القرية التي كانا منطلقين اليها وهو تظاهر كأنه منطلق ابعد . فالزماه قائلين امكث معنا لان نحو المساء قد مال النهار فدخل ليمكث معهما - فلما اتكأ اخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما - فانفتحت اعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما . فقال بعضهما لبعض ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا اذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب فقاما في تلك الساعة ورجعا الى اورشليم ووجدا الاحد عشر مجتمعين هم والذين معهم . . . .

ملاقاته الثالثة وازالة الشكوك

٣٦ : وفيما هم يتكلمون بهذا « وكانت عشية ذلك اليوم وهو اول
٢٠ الاسبوع وكانت الابواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين بسبب

الخوف من اليهود جاء يسوع ووقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم
سلام لكم . فجزعوا وخافوا وظنوا انهم نظروا روحاً . فقال لهم مابالكم
مضطربين ولماذا تخطر افكار في قلوبكم . انظروا يديَّ ورجليَّ .
اني انا هو جسّوني وانظروا فان الروح ليس له لحم وعظام كما ترون
لي . وحين قال هذا اراهم يديه ورجليه . وبينما هم غير مصدقين من الفرح
ومتعجبون قال لهم اعندكم ههنا طعام فناولوه جزءاً من سمك مشويّ
وشيئاً من شهد عسل . فأخذ وأكل قدامهم وقال لهم هذا هو الكلام
الذي كلمتكم به وانا بعد معكم انه لا بد ان يتم جميع ما هو مكتوب عني
في ناموس موسى والانبياء والمزامير . لوقا ٢٤ : ١٢ — ٥٢

ختام الرواية حسب كل من الاناجيل الاربعة

الف: ١٦— واما الاحد عشر تلميذاً فانطلقوا الى الجبل حيث امرهم يسوع
ولما رأوه سجدوا له لكن بعضهم شكّوا . فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً :
دُفع اليَّ كل سلطان في السماء والارض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم
وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع
ما اوصيتكم به وها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر آمين

ب : ١٦ — ٩ اخيراً ظهر للاحد عشر وهم متكئون ووبّخ عدم ايمانهم وقساوة
قلوبهم لانهم لم يصدّقوا الذين نظروه قد قام . قال لهم اذهبوا الى العالم
اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص ومن لم
يؤمن يُدَن . وهذه الآيات تتبع المؤمنين . يخرجون الشياطين باسمي
ويتكلمون به بألسنة جديدة . يحملون حيّات وان شربوا شيئاً مميتاً

لا يضرُّهم و يضعون ايديهم على المرضى فيبرأون ٠

ثم انّ الربّ بعد ما كلمهم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الله
واما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والربّ يعمل معهم ويثبّت
الكلام بالآيات التابعة ٠

واخرجهم خارجاً الى بيت عنيا (قرية العازرية) ورفع يديه ٢٤ : ١
وباركهم وفيما هو يباركهم انفرد عنهم واصعد الى السماء فسجدوا له ٥١
ورجعوا الى اورشليم بفرح عظيم وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون
ويباركون الله ٠ آمين

هذه مرّة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الاموات ٠ حنا ٠
فبعد ما تغدّوا قال يسوع لسمعان بُطرس يا سمعان بن يونا أتحبّني اكثر ١٦
من هؤلاء قال له نعم يارب انك تعلم كل شيء اني احبك قال له
ارعَ خرافي ٠٠٠٠٠٠ قال له ثالثة يا سمعان بن يونا تحبني فحزن بطرس
لانه قال له أتحبني فقال له يارب انت تعلم كل شيء وانت تعرف اني
احبّك ٠ قال له يسوع ارعَ غنمي ٠ الحق الحق اقول لك لما كنت
اكثر حداثة انت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء ولكن متى شِخت
فانك تمدّ يديك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء ٠ قال هذا
مشيراً الى أيّة ميتة كان مزمعاً ان يمجد الله بها ٠ ولما قال هذا قال له
اتبعني فالتفت بطرس ونظر التلميذ الذي كان يسوع يحبه يتبعه وهو
ايضاً الذي اتكأ على صدره وقت العشاء وقال يا سيد من هو الذي
يسلمك فلما رأى بطرس هذا قال ليسوع يارب وهذا ماله ٠ قال له

يسوع ان كنت اشاء أن يبقى حتى اجيء فماذا لك : اتبعني انت فذاع هذا القول بين الاخوة انّ ذلك التلميذ لا يموت ولكن لم يقل له يسوع انه لا يموت بل ان كنت اشاء ان يبقى فماذا لك ·

هذا هو التلميذ الذي يشهد هذا وكتب هذا ونعلم ان شهادته حق · واشياء أُخر كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست أَظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين

الانتقاد

يُرى مما لخصته ههنا من الروايات الانجيلية المتفق عليها اجمالاً في بعض الامور وتفصيلاً في البعض الآخر انه بينما الاناجيل الاربعة متحدة الكلمة في الواقعات المتعلقة بصلب المسيح عليه السلام وقيامه من الاموات بعد ثلاثة ايام فهي غير متفقة في صعوده الى السماء · لا بد ان يكون القارىء قد لاحظ فيما قرأ من ختام الرواية المذكورة حسب كل انجيل ان متى ويوحنا كلاهما ساكت كل السكوت عن صعوده في السماء الا ان واحداً منهما وهو يوحنا يلمح بسفره الى مكان مجهول مصحوباً بالتلميذ الذي كان يحبه ولا اظن ان المكان المجهول هو بقعة من السماء فانه لا احد من النصارى يعتقد بصعود التلميذ نحو السماء ولا ورد في سفر من اسفارهم ان ذلك التلميذ رجع من منتصف الطريق بعد تشييعه اياه الى القبة الزرقاء واخبر التلاميذ بجلوسه على يمين الله بناءً على شهادته رأي العين، ان سكوت كلى الانجيلين عن الصعود المزعوم وتلميح احدهما الى السفر المجهول لهو امر حريّ بالنظر

واريد من القرّاء الكرام ان يحفظوه في ذاكرتهم لبينما أنتهي من اقتفاء هذا السفر بواسطة الآثار التاريخية ·

وقبل ان نستفيض في البحث يجدر بنا ان ننظر في اقوال الانجيلين الآخرين ايضاً علّنا نقتبس منهما وميض النور نهتدي به الى سواء السبيل · في مذهبي وملّتي لا يجوز ان يتشدّد العاقل في تعصبه بقدر ان يرفض التحقيق في طيّات الاوراق بسبب لانها تشتمل على بعض من المعتقدات غير الملائمة لذوقه ومذهبه · فما يدريه انه لا يجد فيه منشوده

يقول لوقا : فيما يباركهم انفرد عنهم واصعد الى السماء · ان الصعود حالة الانفراد او الانفراد لاجل الصعود لأمر غريب في بابه يتطلّب التأمل في نوعية التلازم الضروري بينهما فانه لا يُفهم أية حاجة دعت الى الانفراد عند الصعود وأية ضرورة قضت بالصعود بعد مقاساته الأمرّين من العذاب الأليم على خشبة الصليب وبعد قيامه من الموتى · فان كان ذلك تخلصاً من اليهود فالتخلص كان بالامكان بالتنائي والهجرة عن ارض اليهودية وان كان ذلك لإراءة آية منه ، كان الأولى بهذه الآية ان تقع على مرآىء من الناس من اليهود والنصارى اجمعين وكان بالطبع مغائراً لمقتضاها حدوثها خفية عن أعين الناس بل وعن اعين تلاميذه ايضاً في وقت كان الاعداء فرحين لفوزهم الكاذب وكان الاصدقاء مكمدي القلوب منكّسي الرؤوس من لعنة الصليب · ولعلّ الله اراد حرمان اليهود المكذّبين من نعمة الايمان فلم يُرِد ان يروا آية الصعود العجيبة ! ولكن ما باله انه تعالى

حرم اتباعه عليه السلام من مشاهدة الآية تبعث بشاشة الايمان من همودها وتكون بلسماً للقلوب المجروحة ، فانه كما علمتم من رواية متى ويوحنا انهما لم يكونا يعرفان شيئاً عن صعوده المذكور . لا سماعاً ولا بطريق آخر . ان سكوتهما عن هذه الواقعة الجليلة الشان في تاريخ حياة المسيح عليه السلام ووقوعها من وراء الحجاب المسدل في زمن عصيب جداً كان من مقتضاه ان تحدث على رؤوس الاشهاد — كل ذلك مما يدلك ايها القارىء اللبيب ان في الامر شيئاً مستتراً لم يُرد افشاؤه تعمّداً وما عسى ان يكون ذلك الامر المستتر يا هل ترى سوى انه كان سفرَ مهاجرٍ معذَّب في سبيل الله في ارض حيث للثعالب أوجرة ولطيور السماء اوكار واما ابن الانسان فليس له اين يُسند اليه رأسه (متى ٨ : ٢٠) كان سفر راعٍ معذّب في مخالب الوحوش الضارية العطشاء لدمه المزيئرّة لاغتياله والاجهاز عليه — بين خراف عجّزكنّ قبل ثلاثة ايام تبدّدن شذر مذر في وقت كان الاحرى والاقرب الى روح الوفاء والمفاداة ان يلتففن حوله ويأبين تسليمه الاّ بعد مجزرتهنّ بين قدميه المباركتين . على ان قلوبنا تتقطع حزناً وأسفاً اذ تقرأ ان واحداً من هؤلاء الخراف خانه خيانة لؤم مخجل واسلمه الى الذئاب بثمن بخس دراهم معدودة . فلا يستغرب القارىء ان قلت ان المسيح عليه السلام كان يريد ان يسافر هذه المرّة الى بلاد نائية مستخفياً كل الاستخفاء حتى ومن تلاميذه ايضاً بما كان قد جرّب من روح التضحية التي ابدوه قبلاً وبما ذاقه من ألم الموت الزؤام من جراء

الخذلان الذي لاقاه منهم عند ما احاط به اليهود من جميع الاطراف .
فلما ان قد انقطعت عنهم الاخبار ولم يعثروا منه على اثر حملو غيابه ذاك على تعليلات شتى ومن بقايا تلك التعليلات ما رواه لوقا ومرقس من انه أُصعد الى السماء . ولو فرضنا صحة روايتها رغم الدلائل التي ادلاها ج . ر . د وميلو العالم المسيحي اللاهوتي في تفسيره المشهور تأييداً لرأي القائلين بان الجملة أُصعد الى السماء انما أُلحقت بالرواية فيما بعد ولم يذكرها لوقا البتة وذلك لان الالفاظ المذكورة مفقودة في النسخ القديمة وهاكم ما يقول المفسر المذكور : The words « and carried up into Heaven » are a latter interpolation, for a few ancient authorities omit these words. وتعريبه : ان الالفاظ « واصعد الى السماء » من الحواشي المتاخرة وذلك لان البعض الثقاة الأَقدمين يحذفون هذه الالفاظ . (راجع تفسير المشار اليه عند شرح الآية المذكورة) فلو فرضنا صحة الرواية خلاف منطوق الأَدلة المدلاة في التفسير المذكور لقلنا ان الصعود انما استعمل ههنا بمعنى دخول الابرار المعصومين في ملكوت السموات او انه استعمل محمولاً على كلماته التي فاه بها من وقت لآخر قبل واقعة الصليب وبعدها قائلاً اني اذهب الى ابي . اني ماضٍ الى ابي . لا تلمسيني لاني لم اصعد بعد الى ابي ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني اصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم . »
ومن الظاهر ان التلاميذ او الذين جاؤا من بعدهم لما وجدوا ان اخباره منقطعة كل الانقطاع بعد الوداع الاخير . جعلوا ختام الرواية

قوله انه ماضٍ الى ابيه وانه صاعد اليه وقالوا انـه صعد الى السماء من دون ان يفسروا لـكلامه مراده الحقيقي طبقاً للمحاورة الدارجة في عصره عند استعمال مثل هذه الكلمات تعبيراً عن الموت وأظن انهم لم يكونوا في حاجة الى تفسير المصطلح المتعارف بينهم وما كان ليخطر ببالهم انه سيأتي من بعدهم أناس يؤوّلون الالفاظ بغير المعنى المتبادر الى الذهن من جراء البعد والتباين الواقع بين احوالهم واحوال اولئك ومن الاختلاف الحاصل في اساليب التعبير المختصّ بكل عصر وقوم لذلك فانهم — بقطع النظر الى محتملات المستقبل — ختموا الروايـة على حسب تصوراتهم المألوفة و بطريق التعبير الشائع بينهم غير عارفين او مكترثين في ذلك بمظنّات الخلف المتغير اعتقاداً وتصوّراً . ومن يتفكّر قليلاً في قوله لم اصعد بعـد الى ابي ويستفهم معناه بالنظر الى حادثة الموت الصليبي وقيامه منه يرى أنه لم يقصد به الاّ الموت .

هذا اذا فرضنا أن رواية لوقا ومرقس لا تختلف عن رواية متى و يوحنا في المعنى واما اذا أعرنا انتقاد المفسرين المسيحيين لروايتهما نظر الاعتبار ولاحظنا متانـة الأدلة التي يطعنون بها في صحتها و يبطلون مأخذها من رأسه : قلنا بلا أدنى ريب ان خاتمة الرواية سقيمة غاية السقم وأنّ الالفاظ المذكورة انما أُدغمت فيها من بعد . يقول ج . ر . د وميلو في تفسيره المشار اليه :

Internal evidence points definitely to the conclusion that the last twelve verses are not by St: Mark. For (1) the true conclusion certainly contained a Galilean appearance (M. XVI. 7; and XIV: 28), and this does not. (2) The style is that of a bare

catalogue of facts and quite unlike St. Mark's usual wealth of graphic detail. (3) The section contains numerous words and expressions never used by St. Mark. (4) Mark XVI : 9 makes an abrupt fresh start and is not continuous with the preceding narrative. (5) Mary Magdalane is spoken of (XVI : 9.) as if she had not been mentioned before, although she has just been alluded to twice (XV : 47; XVI : 1.).

يعني ان الشهادة الداخلية تدل حتماً على ان الاثنتي عشرة جملة الاخيرة ليست من القديس مرقس · وذلك لان (١) خاتمة النسخة الاصلية كانت بلا ريب تشتمل على ما يتعلق بظهوره في الجليل (راجع مرقس ١٦ : ١٧ : و١٤ : ٢٨ (حيث يقول «ولكن بعد قيامي اسبقكم الى الجليل : وقل لتلاميذه ولبطرس انه يسبقكم الى الجليل ») ولكن هذا (الكتاب الموجود) لا يذكر منه شيئاً · (٢) وان اسلوب التعبير (في الجزء الاخير) هو كسردٍ لقائمة الوقائع مجملٍ (مجردٍ من التفصيل) مخالفاً كل المخالفة لسعة القديس مرقس المعتادة (ولبسطه المعروف) في تصوير الواقع مفصّلاً مدقّقاً · (٣) ولان الجزء الاخير يحتوي كثيراً من الكلمات والعبارات التي لم يستعملها القديس مرقس قط (٤) وان الفقرة التاسعة من الاصحاح السادس العشر (اي الاخير) تبتدئ (بالحادثة المذكورة) وهلة من جديد (مع انها قد مرّ ذكرها في الجزء السابق مفصّلاً) وهي غير مسلسلة بالقصة المتقدمة الذكر (فان الثمانية الفقرات الاولى تذكر مفصّلاً كيف اشترت مريم المجدلية حنوطاً وذهبت الى القبر باكراً ثم عرفت بقيام المسيح عليه السلام · ومع هذا

فالآية التاسعة تبتدىء كما يلي : (وبعد ما قام باكراً في اول الاسبوع ظهر أوّلاً لمريم المجدلية التي كان قد اخرج منها سبعة شياطين) وهذا الابتداء المنقطع وهذا التعريف المهمل كلاهما يعني عدم التسلسل الذي اراده المفسّر المذكور في انتقاده (٥) ولأن مريم المجدلية ذُكرت في الفقرة التاسعة كأنها لم تُذكر هي من قبل (كما تدلّ عليه الجملة : مريم المجدلية التي كان قد اخرج منها سبعة شياطين) والحال انها قد اشير اليها مرتين في الفقرة السابعة والاربعين من الاصحاح الخامس عشر وفي الفقرة الاولى من الاصحاح السادس عشر

بناءً على هذه الشهادات الداخلية يقضي المفسر المذكور بالحكم الجازم على ان الآيات الاخيرة من الانجيل مرقس دخيلة، ما كانت في النسخ القديمة، كما ان الالفاظ «أُصعد الى السماء» في لوقا هي حشو زائد على الاصل ويرجح في رأيه قول متى ويوحنا على غيرهما باعتبار الصحة ثم يقصّ علينا المفسر المذكور ان كيف حصلت هذه التحريفات في الانجيل مرقس ومما يقول في هذا الباب بما ان الانجيل مرقس كان اول رواية مستندة مفصّلة في حياة المسيح عليه السلام متمايزة عن مواعظه ، لذلك فهي عند اول ظهورها (فيما بين ٥٥ — ٦٠ ب٠م) انتشرت انتشاراً كبيراً — اولاً في الغرب وبعدئذٍ في الشرق — وكانت خاتمة الرواية اذ ذاك الحوادث المتعلقة بظهوره في الجليل يعني الحوادث التي توجد الآن في الانجيل متى فقط (٢٨ — ١٦) ثم ظهر الانجيل الاول (اي انجيل متى) والانجيل الثالث اي (انجيل لوقا) من

بعد مرقس وسبقا الانجيل مرقس في شهرتهما وانتشارهما بما تلقى من الناس حسن القبول ومزيد الاستحسان لاحتواءه مواعظه بالبيان الجاذب وكانا فوق ذلك يتضمنان موضوعه كله ، لذلك فقد اهمل انجيل مرقس كل الاهمال وانقطع صيته وانتشاره بسببهما كل الانقطاع ثم لما انقضى العصر الرسولي واريد جمع الآثار الصحيحة المروية عن الحواريين والرسل واصحابهم (وذلك في رومية غالباً) افتقدت نسخة الانجيل الثاني المهمل (اي انجيل مرقس) ولم يهتدوا اليه بسهولة . ان النسخة التي وجدت بالفعل والتي منها تكافرت النسخ بالنقل فيما بعد كانت الورقة الاخيرة منها مفقودة . لذلك رأوا من الضروري تذييل الانجيل بذيل مناسب وهو هذا الملحق الاخير الذي موضوع البحث والانتقاد وزد على ذلك انه اكتشف حديثاً اي سنة ١٨٩١ ب . م . طومار آرميني ينسب صريحاً الملحق المذكور الى ارسطون وهذا الارسطون هو غالباً نفس ارسطين الذي يذكره بابيس في كتابه كونه واحداً من تلاميذ المسيح عليه السلام كان في سنة ١٣٠ وها كم فيما يلي نص المنقول :

The Gospel of St. Mark, being the first exstensive and authoritative account of our Lord's life, as distinguished from His discourses, attained at its first publication (A. D. 55 - 60) a considerable circulation first in the west and afterwards in the east. At the time it concluded with an account of the Galilean appearance, which is now only to be fouud in St. Mathew (XXVIII. 16). The subsequent publication of the first and third Gospels, which incorporated practically its whole

subjectmatter, and were far more iuteresting as containing discourses, practically drove it out of circulation. When at the close of the Apostolic age an attempt was made (probably in Rome) to collect the authentic memorials of the Apostles and their companions, a copy of the neglected second Gospel, was not easily found. The one that was actually discovered and was used to multiply copies, had lost its last leaf, and so a fitting termination (the present appendix) was added by another hand. A recently discovered Armenian M. S. (1891) definitely ascribes the appendix to Ariston , i. e. probably Aristion, a disciple of the Lord mentioned by Papias (A.D. 130 .)

يُرى مما ذكر فيما فوق ان خاتمة الرواية القائلة بصعود المسيح كما هي موجودة اليوم في انجيل مرقس لم تكن في اصل الكتاب وانما أُدمجت فيه من بعد تكميلاً لما كان ينقصها من التتمة . ولا يبعد ان لوقا عندما نقل الرواية ذكر صعوده ايضاً اعتماداً على خاتمة مرقس الملحقة الاّ انه تصرَّف في نقله بعض التصرف اذ يقول « فيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد الى السماء » فاخباره بوقوع الصعود حالة الانفراد يُضعف روايته غاية الضعف كما يُضعف رواية مرقس قوله « جلس عن يمين الله » اذ لا يُتصوّر ان مرقس ايضاً ذهب الى السماء حيث رآه بأُم عينيه جالساً عن يمين الله فاخبر الناس بجلوسه عن يمين الله بناءً على شهادة الرؤية ولا اظن ان مرقس او لوقا تزوّر من عند نفسه قولاً من دون ان يكون له مستند استند اليه في روايته المذكورة بانشراح الصدر ولستُ من المتحاملين على نيّات الابرار اذ

لا اعلم باليقين هل اراد الحقيقة دون المجاز او المجاز دون الحقيقة بصعوده الى السماء وجلوسه عن يمين الله الاَّ انني اظن الظن الغالب انهما لم يختلقا شيئاً من تلقاء نفسيهما ولم يتعمَّدا الزور فيما ادلياه الينا من خاتمة حياة سيدنا المسيح عليه السلام وانما اتيا القول على وجهه طلباً لايفاء تاريخه حقه من احوال نشأته الى ما جريات صلبه . فلما لم يعثرا على اثر منه بعد واقعة الصليب ووجدا في كلامه عبارات مختلفة تنبئ عن ذهابه الى ربه وجلوسه معه لذلك اختارا ايسر الطريق في تكميل الرواية وقالا « صعد الى السماء وجلس عن يمين الله » من دون ان يعيّنا لنا المراد المقصود من التعبير المذكور واظن انهما لم يشعرا بحاجة الى التوضيح والتعيين فان المتتبع للتاريخ القديم يجد شيئاً كثيراً من مثل هذه العبارات الدالَّة على الموت وان وجودها في التاريخ القديم شهادة على انها كانت من محاورات ذلك العهد العتيق الرائجة بين الناس عموم الرواج ولا نزال نحن الشرقيين نستعمل كمثل هذه الجمل المجازية تعبيراً عن الموت . نقول مثلاً ما معناه لحق بالله ورفعك الله دعاءً على المخاطب ورفعه الله دلالة على الموت وان هذه الجمل الاَّ من بقايا تلك المحاورات القديمة ورثناها فيما ورثناه من آبائنا الاقدمين . فلا يستغرب ان كيف ذهب على لوقا ومرقس تعيين المراد ولكن الغرابة كل الغرابة ان كيف حمل الخلف تلك العبارة على الحقيقة دون المجاز وظنوا ان المسيح عليه السلام هو بجسده العنصري وعجره وبجره في السماء الرابعة جالساً عن يمين الله دون سواه من الانبياء العظام الذين لم يكونوا اقل كرامة منه

في شيء ! ان الخلف الذي طرأ على معتقده هذا التغيير هو ذلك الجيل الفاسد المشرك الذي اعتقد بالثالوث وزعم ان المسيح احد الاقانيم الثلاثة التي تكوّن الوحدانية اللاهوتية فان الامم التي تربت في ظهرانيها المسيحية ثم تكيَّفت بما هي عليه اليوم كانت أُمماً مشركة واعني بها الامم الرومانية والامم الاغريقية وكانت تعتقد كسائر المشركين بالخرافات وكان من معتقداتهم (*) الخرافية ان قدّيسيهم وابطالهم بعد مفارقتهم الحياة الدنيا يصعدون الى السماء حيث يشتركون مع الله في ادارة الكون ويتصرفون في ملكوت السموات والارض ولم يمنعهم الانجيل والتورات من ان يتصوّروا بامكان الصعود اذ وجدوا في الواحد اشارات كثيرة الى ذهاب المسيح عليه السلام الى الاب الذي في السماء ووجدوا في الآخر «ان ايليا صعد في العاصفة الى السماء وسار اخنوخ مع الله ولم يوجد لان الله اخذه» الملوك الثاني ٣ — ١٣ والتكوين ٥ : ٢٤

فلا غرو ان تبادلت المسيحية والمشركون الرومانيون من المعتقدات ما كانت تتشابه في الصورة كما قد وقع فعلاً في بعض الطقوس الدينية

(*) حاشية : راجع الصحيفة ٢٥٥ من الكتاب Strauss' Life of Jesus (حياة المسيح لستراس) حيث يشير الى الاعتقاد الشائع في صعود موسى وصعود ابطال الرومانيين والاغريق الخ . وليراجع القراء الكرام ايضاً الفصل الثالث من الكتاب البراهين الجليّة في الوحدة الالهية لمؤلفه امين يوسف عرموني يرون منه ان عقيدة الثالوث مستعارٌ من الامم المشركة كما اشرت اليه فيما فوق وكذلك راجع كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية للسيد طاهر التنير

والاعياد والعوائد وفي الاعتقاد بألوهيّة المسيح عليه السلام وصعوده في السماء ولكي يكون القراء الكرام على بصيرة تامة مما اقول ارجوهم ان يراجعوا الموضوع في الكتاب المسمّى Religious Systems of the world (الصحيفة ٢٤٢ — ٢٥٩) سيجدون هنالك من تاريخ تكوّن المسيحية حقائق ثابتة لا يمكن لأحد ان يرفضها البتة . ومما يؤيد استنتاجنا المذكور هو اكتشاف رقيم العهد العتيق يُرى من مطالعته ان الصعود المزعوم لم يكن له من حقيقة وقبل ان نستشهد به يجدر بنا ان نكشف عن حقيقة الموت الصليبي قليلاً لان للشهادة التاريخية مع مسئلتي الموت والصعود علاقة متينة اذا ثبت بها بطلان الواحدة بطلت الثانية تلواً من تلقاءها وها انا استخلص من الحوادث التي سردتها فيما مضى نقلاً عن الاناجيل الاربعة القرائن والأدلة الآتية التي كلها تقرّر بالحكم الواحد ان المسيح عليه السلام لم يمت على الصليب بل نجا من الموت الملعون خلاف المزعوم الشائع

(١) إنباء المسيح عليه السلام عن نجاته

الف : حينئذٍ اجاب قوم من الكتبة والفريسين قائلين يا معلم نريد ان نرى منك آية فاجاب وقال لهم جيل شرّير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية الاّ آية يونان النبي لانه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة ايام وثلاث ليال . متى ١٢ : ٣٩ — ٤١

وفي الغد بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون الى

بيلاطس قائلين : يا سيّد قد تذكّرنا انّ هذا المضلّ قال وهو حيّ اني بعد ثلاثة ايام اقوم فمر بضبط القبر الى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليسرقوه ويقولوا للشعب انه قام من الاموات (متى ٢٧ : ٦٢) حينئذٍ قال لهم يسوع كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة لانه مكتوب اني اضرب الراعي فتبدّد خراف الرعية ولكن بعد قيامي اسبقكم الى الجليل (متى ٢٦ : ٣١) وفي لوقا ١٤ : ٢٧ بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل ايضاً ترونني لاني ذاهب الى الآب . فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعض ما هو هذا الذي يقوله لنا بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل ايضاً ترونني ولاني ذاهب الى الاب . فقالوا ما هو هذا القليل الذي يقول عنه . لسنا نعلم بماذا يتكلم .... فقال لهم أعن هذا تتساءلون فيما بينكم لاني قلت بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل ايضاً ترونني . الحق الحق اقول لكم انكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح . انتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحوّل الى فرح المرأة وهي تلد، تحزن لأنّ ساعتها قد جاءت ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة بسبب الفرح لانه قد ولد انسان في العالم فانتم كذلك عندكم الان حزن ولكني سأراكم ايضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع احد فرحكم منكم . (يوحنا ١٦ : ١٥— ٢٣)

(٢) تضرّعه وابتهاله لاجل النجاة واجابة الدعاء بالبُشرى

الف

قال لهم صلّوا لكي لا تدخلوا في تجربة وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً يا ابتاه ان شئت ان تجيز عني هذه

الكأس ولكن لتكن لا ارادتي بل ارادتك وظهر له ملاك من السماء يقوّيه واذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض (لوقا ٢٢ : ٤١ ومتى ٢٦ : ٣٧) وفي مرقس ١٤ : ٣٦ نفسي حزينة جداً حتى الموت امكثوا هنا واسهروا ثم تقدمُ قليلاً وخرَّ على الارض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة ان امكن قال يا ابا الآب كل شيء مستطاع لك فأجز عني هذه الكأس .

اذ قدّم بصراخ شديدة دموع طلبات وتضرعات للقادر ان يخلصه من الموت وسُمع له من اجل تقواه (العبرانيين ٥ : ٧) ويظهر مشيئة الله في انقاذه من الموت الملعون من انه انذر سبحانه تعالى امرأة بيلاطس في حلم فشفعت له بالحاح وانه امال قلوب الحكام اليه فرغَّب بيلاطس اليهود عن قصدهم واعلن لهم براءته من كل تهمة حتى انه لما لم يستطع ردعهم عن عزمهم احال امره الى محكمة هيرودس زاعماً انه من رعيته وانه اجدر ان يحكم في امره وأوعز اليه مما كسبه صداقته وحاول بيلاطس ان يصرفهم عنه مرة بعد أخرى وبطرق مختلفة قائلاً لهم : قد قدَّمتم اليَّ هذا الانسان كمن يُفسد الشعب وها انا قد فحصت قدَّامكم ولم أجد في هذا الانسان علَّة مما تشتكون به عليه ولا هيرودُس ايضاً لاني ارسلتكم اليه وها لا شيء يستحق الموت صُنع منه فانا اودّبه واطلقه (لوقا ٢٣ : ٨ — ١٦) . ويُرى رغبته الشديدة في استنقاذه انه اختار الوقت لاعلان الحكم النهائي بعد الظهر من يوم الجمعة في الساعة السادسة المطابقة للساعة الثانية الزوالية تقريباً

وذلك لان اليهود كانوا يطلقون تقريباً في كل عيد (اي عيد السبت) أسيراً واحداً كما انهم كانوا يرون الحرام ان تبقى الاجساد على الصليب في السبت (يوحنا ١٩ : ٢١) وكان السبت عندهم يبتدىء من بعد العصر من يوم الجمعة . لذلك دعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب في ذلك اليوم المخصوص وتقدّم اليهم ثلاث مرّات ان يطلق لهم المسيح عليه السلام لبرأته ومن اجل العيد غير انهم أبوا الاَّ ان يُقتل صلباً (لوقا : ٢٣ : ٢٠ — ٢٤) فلما رأى بيلاطس انه لا ينفع شيء وبالحري يحدث شغب اخذ ماءً وغسل يديه قدام الجمع قائلاً اني بريء من دم هذا البار . ابصروا انتم واسلمه ليُصلب (متى ٢٧ : ٢٤) — كل ذلك يدلّ دلالة واضحة على ان مشيئة الله المنعكسة في عباده الذين كانوا وُكّلوا اذ ذاك بتدبير الامور كانت مزمعة على انقاذه من مخالب الموت الفظيع واذا قضى الله امراً كان مفعولاً . لذلك اذا استقرأنا الحوادث التالية بامعان واستشفنا من خلالها ما وراءها من اسرار التدبير المحكم عرفنا ان الله انفذ ما اراد وانقذ من احبّ وهاكم فيما يلي التدابير المتخذة لانجاز امنية الحاكم بيلاطس

(١) اختيار الحاكم الساعة السادسة مساءً من يوم الجمعة لاعلان الحكم وتسليمه اياهم ليصلب (يوحنا ١٩ : ١٣) و(٢) تأخيره اعلان الحكم بالصلب وتسليمه الى اليهود الى ما بعد الساعة السادسة زوالاً (يوحنا ١٩ : ١٦) ولم يكن ذلك منه الاّ توخياً لنجاته لعلمه ان الوقت القصير لا يكفي للموت بالصليب وان السبت يكون قد حلّ قبل

ان يقضي المسيح نحبه وانّ اليهود لا يرضون ان تبيت جثته طبقاً للنهي الصريح المذكور في سفر التثنية ٢١ : ٢٢ و (٣) تدسيسه. فمن كانوا وكّلوا بصلبه نفراً من اتباعه المتكتمين و (٤) سقيه الخمر الممزوج بلبانٍ مرّة بعد اخرى وكانوا لا يسقونه الاّ من كانوا يريدون الرأفة به والتخفيف من شدة ألمه (*) — مرقس ١٥ : ٣٥ · متى ٢٧ : ٣٤— ٤٩ لوقا ٢٣ : ٣٦ ويوحنا ١٩ : ٢٨ و (٥) ابقاءه على الصليب زمناً قصيراً جداً لا يتجاوز اربع ساعات قطعاً — راجع لذلك يوحنا ١٩ : ٢٨ ولوقا ٢٣ : ٤٤ · ومتى ٢٧ : ٣٥ · ثمّ ان تسمير اليدين والرجلين فقط لا يقضي على الانسان في المدة المذكورة · و (٦) امتناع العسكر عن كسر عظامه مع علمهم انه لم يمت لخروج الدم والماء من جنبه، يقول يوحنا (ثم اذ كان استعداد فلكي لا تبقى الاجساد على الصليب في السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيماً سأل اليهود بيلاطس ان تكسر سيقانهم ويرفعوا فأتى العسكر وكسروا ساقي الاول والآخر المصلوب معه واما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه لانهم رأوه قد مات · لكنّ واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء · والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم انه يقول الحق لتؤمنوا انتم · لان هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه وايضاً يقول كتاب آخر سينظرون الى الذي طعنوه — ١٩ : ٣٨

(*) راجع الصحيفة ١٦٦ من الكتاب jesus of Nazareth by E, lodd

و(٧) ان هذه الرواية) عدا دلالتها على التدبير المخفي الذي اتخذه الحاكم لانقاذه كذلك تدلّ على ان المسيح لم يمت على الصليب في الحقيقة وهذا هو نفس الاستنباط الذي ذهب اليه الراوي وصرّح به بقوله (لان هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه وايضاً يقول كتاب آخر سينظرون الى الذي طعنوه) . والقرائن التي تؤيد الاستنباط المذكور هي اولاً ان المسيح لم يبقَ على الصليب الاّ مدة قصيرة جداً لا تتجاوز ثلاث ساعات كما يُرى من التوفيق بين رواية يوحنا ١٩ :١٤ ورواية لوقا ٢٣ :٤٤ ورواية متى ٢٧: ٤٥ وهذه المدة لا تكفي للقضاء على الانسان بواسطة الصليب على الطريق المذكور لانّ الموت بتسمير اليدين والرجلين لا يتم في ساعة او ساعتين بل يقتضي ساعات طوالاً وآلاماً منهكة فلولا ذلك لما احتيج الى كسر عظام المصلوبين للاجهاز عليهم قبل حلول السبت ولذلك السبب نفسه استغرب بيلاطس خبر موته . وثانياً ان قيامه بعد ثلاثة ايام حياً يمشي بشاربا بالليل — يأكل ويشرب مع تلاميذه ويريهم جراحه ويؤكد لهم انه هو المسيح نفسه لا غير — كل هذه دلائل واضحة على نجاته من الموت الصليبي لا تترك اقل شائبة من الريب لمن يريد ان يكون على بيّنة من امره ولعل من قارىء يستبعد قيام المقبور حياً بعد ان كان لبث في وحشة القبر المظلمة المكربة ثلاثة ايام بلياليها بلا اكل ولا شرب ، فليعلم القارىء ان القبور في تلك الايام القديمة لم تكن كقبورنا الضيّقة اللحود التي لا نكاد نتقلّب فيها ذات اليمين او

ذات الشمال، كلاّ بل كانت حجرات واسعة تتصرّف فيها الموتى على رحب وسعة متى ارادوا وانَّى رغبوا وكان المرقد الذي احتوى جسد المسيح عليه السلام مخدعاً كبيراً منحوتاً في الصخر وكان كما تخبرنا الاناجيل واسعاً جداً حيث دخل فيه سمعان بطرس ليرى فيه الاكفان الخالية ودخل ايضاً التلميذ الآخر الذي جاء اوّلاً الى القبر ورأى فآمن لانهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب انه ينبغي ان يقوم من الاموات (يوحنا ٢٠ : ٦) وفي رواية مرقس ان مريم المجدلية ومريم ام يعقوب وسالومة جميعهن دخلن القبر معاً ورأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء فاندهشن فقال لهن لا تندهشن، انتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب . قد قام . ليس ههنا . هوذا الموضع الذي وضعوه فيه . لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس انه يسبقكم الى الجليل . هناك ترونه كما قال لكم (١٦ : ٤) . ثم ان آثار القبر المشار اليه لا تزال محفوظة ان لم تكن هي ذاتها وعينها فهي لا ريب على غرارها في بيت المقدس وقد دخلت انا فيه ولمست سقفه وحيطانه . وهو حجرة صغيرة . لذلك لا يستغربن القارىء ان كيف قام المقبور من الاموات بعد ثلاثة ايام — قام ذلك المقبور المغشّى عليه حياً لانه لم يمكث على الصليب الاّ ساعة من الزمن غير كافية للقتل ولانه بعد نزوله من الصليب عولج بأحسن طريق معروف اذ ذاك واستحضرت له الادوية الناجعة كما يروي لنا يوحنا قائلاً : وجاء ايضاً نيقوديموس الذي اتى اوّلاً الى يسوع ليلاً وهو حامل مزيج مُرّ وعود نحو مئة منا (١٩ :

٣٩) وهذا المر كان مركّباً من اللبان والخمر ولذي كان يستعمل كعلاج مخدّر مسكّن (*) ثم ان شهرة مرهم عيسى غير خافية في عالَم الطب القديم ولا يزال هذا المرهم يستعمل في مداوة الجروح والقروح ويقول القرابادين القادري في الباب امراض الجلد «مرهم حواريين كه مسمى است مرهم سليخا ومرهم رُسُل ونيز آنرا مريم عيسى نامند ... كه حواريين جهت عيسى عليه السلام تركيب كرده» ومعناه ان مرهم الحواريين واسمه مرهم سليخا ومرهم الرسل ايضاً صنعه الحواريون لاجل عيسى عليه السلام

وربّ قائل يقول لحسن اعتقاده ان الذي قام من بين الاموات لم يكن الاّ روح المسيح المتجسم المنتقل من مكان الى مكان المتشخص بين يدي تلاميذه من وقت لآخر . فنقول له مع كل احترام لاعتقاده الديني انه لو صح ما زعمت لما احتاجت هذه الروح النورانية عند القيام الى ان يدحرج لها الحجر عن باب القبر فتخرج منه ولا اضطرت للتنقل من مكان الى آخر متنكرة مستخفية عن اعين اليهود ولا ابطل لوقا هذا الزعم بقوله الصريح : وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلامٌ لكم فجزعوا وخافوا وظنوا انهم نظروا روحاً فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر افكار

(*) راجع الصحيفة ١٦٦ من الكتاب (Jesus of Nazareth and Jewish History by Edward Clodd) اي يسوع الناصري وتاريخ اليهود ادوارد كلود

في قلوبكم . انظروا يدي ورجليَّ المسمَّرة المجروحة اني انا هو جسُّوني وانظروا فان الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي وحين قال هذا أَراهم يديه ورجليه وبينما هم غير مصدّقين من الفرح ومتعجبون قال لهم أَعندكم ههنا طعام . فناولوه جزءاً من سمك مشويّ وشيئاً من شهد عسل فاخذ وأَكل قدامهم . وقال لهم هذا الكلام الذي كلمتكم به وانا بعد معكم انه لا بدّ ان يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والانبياء والمزامير . لوقا ٢٤ : ٣٦

فالظاهر من النصوص المذكورة انه ما كان هذا المسيح القائم من الموتى روحاً فانه قد اكل وشرب وسار الى الجليل خائفاً مترقباً يتجسس الاخبار ويتلمّس المكامن ، كما كان قصدها اولاً من قبل وقوعه في ايدي اليهود واخبر به تلاميذه بقوله اسبقكم الى الجليل الاّ انه مع الاسف لم يستطع التفلّت منهم في المراة الاولى . ثم لو كان عليه الصلاة والسلام يرجو الصعود الى السماء بالفعل لما تكبد هذه الكافة وتعمّد هذا التستر والاخفاء في سبيل ذلك ولكان ترك حجة بالغة لدى اتباعه جدعاً لانوف الاعداء لو كان حضرته ارتفع الى السماء على مرأى من ملأ بني اسرائيل ولكنه لم يفعل ذلك مخافة ان يقع في ايديهم مرة ثانية ويسبب اعادة الحوادث المنكرة المؤلمة واختار كل التكتم في حله وترحاله وهذه الامور كلها ادلة وقرائن مما يرشدك ايها القارئ اللبيب الى نتيجة واحدة أَلا وهي ان المسيح عليه السلام وكّل الله له اصدقاء مخلصين من بين الحكام واتباعه لم يدّخروا

وسعا في انقاذه من الموت الصليبي بكل وسيلة ممكنة وحيلة ناجحة وقد نجحوا الى ذلك بالفعل والحمد لله انه عزيز حكيم فعّال لما يريد

هذه هي حقيقة الامر في موت المسيح عليه السلام وصعوده المزعومين جئنا بها على وجهها بناءً على مستندات الاناجيل الاربعة وقد كان فريق من النصارى الأقدمين يعتقدون بهذا الاعتقاد في صلبه . كان شيلر ميخر والمحققون القدماء يرون ان المسيح لم يمت على الصليب وانما كان امسى في حالة شبيهة بالموت ولما أفاق وخرج من القبر تنقّل مع حواريه مدة من الزمان ثم سافر الى مكان منعزل ومات هناك موتاً طبيعياً راجع الصحيفة ٤٥٥ — ٤٥٦ من الكتاب Modern Vote and Christian Bailiff . ويفسر كفر ورر قول يوحنا ٢٠ : ١٧ حكايةً عن المسيح لم اصعد بعد الى ابي بانه لم يمت وذلك لان الصعود الى السماء يعني الموت لا غير . ويقول رتبن المؤرخ الشهير في كتابه Life of Jesus ان موته على الصليب مظنة لكثير من الشكوك والشبهات وانه لا يُتصوّر البتة ان يموت الانسان بواسطة الصليب في بضع ساعات ويسرد المؤرخ المذكور عدة من الحوادث استشهاداً على رجوع المصلوب الى حياته الاولى بالمعالجة والمداواة — راجع الصحيفة ٢٦٩ منه

هذا واني سأذكر مثل هذه الشهادات فيما بعد في الجزء التاريخي من الموضوع .

***

الفصل الثاني

لنبحث الآن في آيات القرآن المجيد وجهة نظره في حياة المسيح وصعوده تاركين جانباً روايات المفسرين التي كما سأبينه مأخوذة من مصادر غير موثوقة بها وذلك لكي لا نلبس الحق بالباطل ولكي يستطيع القراء ان يستنتجوا لانفسهم حكماً صراحاً غير متاثرين من آراء وخيالات بعيدة عن الامر الواقع · يقول الله تعالى عزَّ وجل في القرآن المجيد حيث يذكر بعثة المسيح ومعاندة اليهود له ومحاولتهم للبطش به وتسليته الله له عند الاحاطة به « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . اذ قال الله يا عيسى اني متوفّيك ورافعك اليَّ ومطهّرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثمَّ اليَّ مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون» (العمران ٣١:٥٣) . الظاهر من مفهوم الآية انه لما نوى اليهود السوء به ودبروا لاهلاكه المكيدة طمّنه الله بقوله اني متوفيك ورافعك اليّ اي اني مميتك حتف انفك يعني موتاً طبيعياً ورافعك اليَّ بعد الموت كرفع عباد الله المكرمين وقوله سبحانه وتعالى هذا يتضمن التصريح بان اليهود لن يتمكنوا من القضاء عليه بطريق غير طبيعي وان الله يخيّبهم في مكرهم وانّ المسيح عليه السلام يستوفي اجله المقدور · والقارىء اذا راجع اقوال الاناجيل كمثل « ان ابن الانسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه ولكن ويلٌ لذلك الرجل الذي به يُسلّم ابن الانسان » و « ظهر له ملاك من السماء

يقوّيه» و « ثم بعد قليل تبصرونني » علمَ باليقين ان المسيح عليه السلام كان تلقّى البشارة بنجاته من ايدي اليهود وكان يعلم من الله انه يموت موته الطبيعي ولا غير

فسرتُ « متوفيك » بمترادفه « مميتك » حتف انفك لانه هو المعنى بحرفه الذي ذهب اليه ابن عباس ونقله البخاري في كتاب التفسير وهو نفس المعنى الذي يذهب اليه جميع رجال اللغات بدون استثناء ولا سيما اذا كان الله تعالى فاعل التوفي والعبد مفعوله ولم تكن هناك قرينة صارفة عن معناه الوضعي ولا يتوهمن احد مما يلي « متوفيك » القول « رافعك اليّ » انما ريد به الرفع الجسماني فانه لا يُتصوّر أن يكون المراد الصعود الجسماني بعد التوفي اي بعد مفارقة الروح الجسمَ ولأنّ الجسم الميت لا فائدة من صعوده الى السماء ولان الروح هي التي ينبغي ان تُرفع الى الله دون الجسم الذي فارقته لاجل الرجوع الى ربها والاّ فان كان المقصود رفع الجسم والروح كليهما لما احتيج الى التفريق بينهما بالقول اني متوفيك ورافعك اليّ ولكان يجب ان يُكتفى بالقول « اني رافعك اليّ » دون القول « اني متوفيك » لان المقصود وهو الصعود المزعوم يتم به وحده . ان تقديم الله تعالى فعل التوفي قبل الرفع في قوله ليزيل الابهام عن وجهه المعنى المراد ويُفهمنا بكل جلاء انه سبحانه تعالى يريد بالرفع المذكور الرفع الروحاني الذي يتشرّف به عباده المكرمون بعد وفاتهم دون رفع الجسد العنصري وظاهر من سياق الكلام وسباقه ان اليهود انما كانوا يقصدون من

صلبه تكذيب رسالته وابطال كرامته النبوية وفقاً للمعيار المذكور في كتابهم المقدس حيث يقول : واذا كان على انسان خطيّة حقها الموت فقتل وعلّقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم لان المعلق ملعون من الله . (تثنية ٢١ : ٢٢) وراجع ايضاً حزقيال ١٣ : ٩ — ١٦ وهو هذا الغرض الباطل السيء الذي اراد تعالى ان يخيّب اليهود فيه رغم الحيل التي اتخذوها توصلاً اليهِ فبشر المسيح عليهِ السلام انهم لن ينجحوا في بغيتهم وانهُ يموت موته الطبيعي و ينال عند الله الرفعة والكرامة وانه يطهره و يبرئه من التهم الخبيثة التي الصقوها به و يجعل اعداءه اذلاء مهانين ابد الآبدين . هذا هو المفهوم الصريح الذي تتضمنه الآية المذكورة وهو الذي ذهب اليه ثقات المفسرين كالامام الرازي والبيضاوي وصاحب روح المعاني وغيرهم فانهم جميعهم فسّروا الرفع بمعنى التكريم والتعظيم . يقول الامام الرازي رحمه الله تحت الآية المذكورة « وقد دللنا في المواضع الكثيرة من هذا الكتاب بالدلائل القاطعة على انه يمتنع كونه تعالى في المكان فوجب حمل اللفظ على التأويل و يؤوّل الامام الجليل قوله تعالى اني متوفيك ورافعك اليّ بقوله اني متمم عمرك فحينئذٍ اتوفاك ولا اتركهم حتى يقتلوك بل انا رافعك الى سمائي ومقربك بملائكتي واصونك عن ان يتمكنوا من قتلك وهذا تأويل حسن . . . . . و يقول ان المراد بقوله رافعك اليّ رافعك الى محل كرامتي . . . . . وجعل ذلك رفعا اليه للتفخيم والتعظيم » ثم يستدل حضرته على صحة التأويل

المذكور بالآيات الكريمة وبالحديث المروي عن ابن عباس في متوفيك بمعنى مميتك —

ولا أخالك ايها القارىء الكريم الاَّ ذاكراً دعاء المسلمين في صلواتهم اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني وعافني وارفعني والحديث القائل من تواضع لله رفعه الله الى السماء السابعة وقول الله تعالى رفعناه مكاناً علياً (٩ : ٥٨) وقوله يرفعه الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات (٥٨ : ١١) وقوله سبحانه تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي (الفجر : ٢٧) وقوله جلَّ شانه ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر (القمر : ٥٥) وقوله تعالى ولا تحسبنَ الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون (العمران ١٦٩) وقوله عز وجل ولو شئنا لرفعناه بها ولكن اخلد الى الارض (الاعراف ١٧٥) كل هذه الايات تدلك على حقيقة الرفع والوصال الرباني الذي يتشرَّف به المقربون بعد مفارقتهم الحياة الدنيا وهكذا قد فسَّر كبار المفسرين قوله تعالى ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا الخ . ولو انك تجردت من سوابق المعتقد قليلاً وفكَّرت في ترتيب الآية المذكورة ملياً لعرفت انه لو كان المرادُ بالرفع صعود المسيح بجسده العنصري وحصول موته من بعد نزوله لكان قال له اني رافعك اليّ ومطهرك ..... ثم متوفيك او لو كان معنى متوفيك قابضك لاستغنى عن رافعك فان احدى الكلمتين المذكورتين حشو

معنى ١

زائد ليس الاً وذلك لان المقصود — ان كان الاخبار عن وقوع الموت الطبيعي فقط — فهو ظاهر من متوفيك وان كان الاخبار عن رجوعه الى الله — فهو ظاهر من رافعك وان كان كليهما اي الموت والوصال الرباني قلنا انه ظاهر من فحوى الآية وانه تؤيده الآيات البيّنات ويذهب اليه كبار المفسرين وان كان المراد الخلط والابهام والالباس ففسّروا المتوفي بما شئتم وقولوا كما يقول الملاونة (اي المشائخ) بعدم الترتيب في آي القرآن الحكيم واقترحوا ما شئتم من تقديم رافعك او تأخيره قبل « متوفيك » او بعد « الذين كفروا » فالامر هيّن على الذين لا يخشون الله في مزاعمهم الباطلة ولا يحجمون عن التحريف والتصرّف في آياته البيّنات المعاني والمطالب تجانفاً لاهوائهم وتعصباً لخيالاتهم ·

وخلاصة القول ان الله تعالى يخبرنا في الآية المذكورة عن خمسة امور سبقت للمسيح كالبشارات الموعودة عندما استشعر الخوف والخطر على سلامته وحياته ألا وهي اوّلاً خيبة اليهود في مكرهم وخلاصه من ايديهم وثانياً موته الطبيعي وثالثاً رفعه رفعاً روحانياً خلاف مزعوم اليهود اذ كانوا يريدون بصلبه ان يثبتوا انه مات ملعوناً ورابعاً برائته من التهم والقرف وخامساً غلبة اتباعه على اعدائه · ولكي تعلموا عن يقين انها هي المراد الصحيح من الآية الفت نظركم الى الآيات التي تقص الامور المذكورة بصيغة الماضي بتعبير مختلف في اللفظ متحد في المعنى

(١) يقول سبحانه وتعالى حكايةً لخطابه للمسيح عليه السلام اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ····· اذ كففت بني اسرائيل عنك

اذ جئتهم بالبيّنات(٥: ١١٠) ويقول سبحانه وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ومعنى الكفّ والايواء واضح غاية الوضوح لا يحتاج الى تفسير وظاهر من الآيتين ان الله تعالى قد أتمّ فعلاً ما وعد به المسيح من ابطال مكيدة اليهود وانقاذه منهم ·

(٢) وكذلك يخبرنا سبحانه وتعالى بوقوع موته الطبيعي بصيغة الماضي بقوله: اذ قالَ اللهُ يعيسي ابنَ مريم أأنتَ قلتَ للناس اتخذوني وأمي الهين من دون اللهِ قال سبحانكَ ما يكونُ لي ان اقولَ ما ليس لي بحق ان كنتُ قلتهُ فقد علمتهُ · تعلمُ ما في نفسي ولا اعلمُ ما في نفسكَ انكَ انت علاّم الغيوبُ ما قلتُ لهم الاّ ما امرتني به انِ اعبدُوا الله ربي وربكم وكنت عليهمْ شهيداً ما دمتُ فيهم فلما توفّيتني كنتَ انتَ الرقيبَ عليهم وانت على كلِّ شيء شهيدُ (٥ : ١١٦) انّ الآية — بقطع النظر عن ان الاستجواب يكون يوم القيامة او في وقت آخر اذ يكون المسيح قد دخل عداد المتوفين — تقرّر امراً واحداً وهو ان ارتداد النصارى عن تعليم المسيح وضلالهم عن طريقه المثلى لا يحصل الاّ بعد وفاته عليه السلام وان حضرته لم يعلمهم الاّ التوحيد الخالص وانه بريء مما يعزى اليه من التأليه والشرك وانه لا يعلم قطعاً بعد وفاته ما آل اليه امرهم في معتقداتهم ·

فبناءً على مدلول هذه الآية لا بد من التسليم بوقوع موت المسيح في الزمن الماضي وذلك قبل ضلال اتباعه عن طريق الهدى فان الجملتين « ما دمت فيهم » و « فلما توفيتني » متحاذيتان لفظاً ومعناً تدلان على ان

حضرته ما دام فيهم كان رقيباً مسئولاً عن اعتقاداتهم وانــه يعلم انهم كانوا موحدين يعبدون الله وحده ولكنه لما توفاه الله تعالى انقطع عنه مسئولية الرقابة كلها فلا يعلم ماذا حدث بعده . ان اعتراف حضرتــه بجهالته لضلال المسيحية لدليل على انه لم يعد الى هذه الدنيا بعــد الوفاة المذكورة مهما كانت ماهيتها ولا َعلم شيئاً عن تصرفات الايدي التي عبثت بتعليمه والتحريف الذي وقع في شريعته عند غيابه اذ لا يُتصور البتة ان ينزل حضرته ثانية حين ادلهام الضلال المسيحي ويرى عبّاد الصليب قـد غطّوا الارض بصلبانهم وكنائسهم وقسّانهم ودسائسهم ويسمــع الاجراس ترنّ بجلجلة الاناشيد وتملأ الاجواء كلهــا برنين التسابيح باسمه والوهيته ثم بعد هذا كله يمثل بين يدي مالك الدينونة ويقول انه لا يدري شيئاً عما حدث هنالك بعد وفاته! كلاّ لا يُتصور ان يجترأ حضرته على مثل هذا الجواب بعد مشاهدة ضلال المسيحيين وبعد اصلاحه هذا الضلال المخيّم المدلهم في آخريات الايام اذ ينزل حضرته خصيصاً لقمع فتنتهم ولاستئصال شأفة الفساد من بينهم . ان الجواب الصحيح في هذه الحالة ينبغي ان يكون ما قلت لهم الاّ مــا امرتني به وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم وانما ضلّوا بعد ارتفاعي الى حظيرة القدس عند جنابك العليّ ما علمت بضلالهم هــذا الاّ حين النزلة الثانية فتبادرت الى اصلاح اودهم ولم ادّخر في ذلك وسعاً . انك شهيد على ما اقول وانت عليم بذات الصدور . غير انه لم يقل هــذا واجاب بما يؤذن ان حضرته لم يزل غافلاً عن انحراف النصارى عن

طريق الصواب منذ توفي الى ساعة الخطاب المذكور وانه لم تسنح له فيما بين الزمنين المذكورين فرصة ما لاصلاح عقيدتهم وان كلمة التوفي الواردة في قوله لم يقصد بها الاّ الموت الطبيعي الذي سبق ذكره في قوله تعالى يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ والدليل عليه — علاوة ما بيّناه من قرينة التعبير المندمجة في سياق الكلام — هو ان سيد الرسل عليه الصلاة وسلام كذلك استشهد بقول المسيح واراد بالتوفي موته ونصّ الحديث المأثور كما يلي : « يؤخذ برجال من اصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول اصيحابي فيقال انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد . (راجع في البخاري باب ما جعل الله من بحيرة في كتاب التفسير منه) هذا واماّ اخباره تعالى لوقوع رفعه الروحاني بعد موته الطبيعي الموعود فقد ذكره بكلمة الماضي ايضاً في قوله بل رفعه الله

واما الامران الباقيان اي تطهيره وتبرئته من التهم وجعل اعداءه اذلاّء مرغمين تحت اخامص اتباعه فقد ذكرهما الله تعالى في آيات متعددة منها قوله وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً .... واعتدنا للكفرين معذاباً أليماً (٤ : ١٥٦ — ١٦١) وقوله ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين (٦٦ : ١٢) وقوله وجعلنا ابن مريم وامه آية واوينهما الى ربوة ذات قرار ومعين . (٢٣ : ٥٠) وقوله :

وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وايّدناه بروح القدس (البقر ٨٧ :٢٥٣) وقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباوًا بغضب من الله الخ (١٠—٦١) . ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا الاَّ بحبل من الله وحبل من الناس وباوًا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة (عمران : ١١١)

ليس المسيح عليه السلام وحده أُختلف في موته واعتقد برجوعه الى الحياة الدنيا بل انَّ خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ايضاً ممن ظن الناس انهم من تلك الطبقة من البشر التي لا تصيبها سهام الموت ولا تنال منها ايدي الحدثان . انه هو هذا الظن الذي جعل عمر رضي الله عنه يهب على قدميه ويقول والله ما مات رسول الله صلى عليه وسلم . لا اسمع احداً يقول مات رسول الله صلى عليه وسلم الا ضربت بسيفي هذا » فقال له ابو بكر رضي الله عنه على رسلك ايها الحالف فجلس عمر فحمد الله ابو بكر واثنى عليهِ وقال : « الا من كان يعبد محمَّدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت » وقال انك ميت وانهم ميتون (الآية) وقال ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فنشج الناس يبكون وقال عمر فوالله لكأني لم أتلُ هذه الآيات قط . » راجعوا نص العبارة في الصحيفة ٣٧٣ من الجزء الثاني من المواهب اللدنية وجاءَ في الصحيفة ٣٧٤ منه انهُ لما مات صلى الله عليهِ وسلم طاشت العقول . . . . . وكان ابو بكر الصديق اثبتهم جأشاً وعيناه تهملان

وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد فدخل على النبي صلي الله عليه وسلم واكبّ عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال : طبت حياً وميتاً وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء » ان هذه الواقعة مع ما استشهد به الصديق رضي الله عنه من الآية الكريمة ما محمدٌ الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم لتدلّ دلالة واضحة على مفهوم الكلمة « خلت » بمعنى الموت المطلق كما تدل على اجماع الصحابة رضى على موت جميع الانبياء بفضل قوة استدلاله المستنبط من الآية المذكورة ولا اذهب بك ايها القارىء العزيز بعيداً وراء تاريخ الاجيال المتقادم عهده المتراكم الشكوك حياله لتستيقن بان المراد من الآية المذكورة هو نفي الوهم بان الرسالةوالنبوة قد تحول بين الانسان وبين الموت وانما ادلك على قرينة صارمة حاسمة للشبهة موجودة في نفس الآية لا تترك ليقينك مغمز الريب مطلقاً اذا نظرت فيه بامعان ألا وهي الجملة أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم فانها — كما ترى — تتضمن استدلالاً منطقياً مرتبطاً كل الارتباط بالقياس الصحيح المنطوي في مقدمة الآية ما محمد الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل الخ وظاهر ان هذا الاستطراد المنطقي يبطل بتاتاً ان لو جاز ان يكون معنى الكلمة خلت فيما ههنا المضيّ او الغياب المطلق عن وجه الارض بالموت او الصعود او التوارى أو بأيّ طريق آخر لان خلو الانبياء بمعنى المضي المطلق لا يستلزم موت محمد او قتله وانما يستلزم مضيّ سيد الرسل كمثل مضي غيره بالموت او بطريق آخر من طرق

المرور لذلك فلن يستقيم معنى «أفات مات او قتل انقلبتم على أعقابكم» إلاّ اذا قدّرنا معنى خلت بالموت وجعلنا كالقاعدة المطّردة ان الرسل أيضاً يموتون موتاً طبيعياً أو غير طبيعي كموت القتل أو الصليب ولا ندع احداً منهم ان يشذّ من هذا القضاء المبرم البتة — ثم قلنا بما أن محمّداً لم يكن الاّ رسولاً كغيره من الرسل لذلك افان مات (حتف انفه) او قتل (بطريق غير طبيعي) انقلبتم على اعقابكم . فانظروا رعاكم الله كيف يستقيم ويعتدل الكلام في منطقهِ ويفصح عن مفهومهِ بالتقدير المذكور ويؤذن بالرحيل لكل بشرٍ مهما كان في علو المعراج الروحاني ويُثبت ان الرسل جميعهم في عداد الموتى قبل سيد البشر محمد صلى الله عليه (*) وسلم لذلك فان مات هو فلا غرابة في موته . انه هو هذا الاستدلال اللطيف الذي ذهب اليه ذهن ابي بكر الصديق رضي الله عنه واعلن بموت الرسل طرّاً في ذلك اليوم المكروب وأجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم اجمعون

وان كنت معهداً لا تزال تشك في هذا الاجماع وترى ان المسيح عليه السلام من شذوذ الفطرة تلك في الايات الآتية لمندوحة عما يختلج في صدرك من الريب «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان متّ فهُمُ الخالدونَ (الانبياء ٢٤) ومعنى الآية كما يفسرها ابن جرير رحمه الله في الصحيفة ١٦ من الجزء ١٧ من تفسيره يقوله وما

(*) راجع نفس المعنى (اي خلت بمعنى ما قلت) في تفسير الخازن والمظهري وجامع البيان وسراج المنير والقنوي علي البيضاوي

خلدنا احداً من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فتخلد فيها ولا بدّ لك من ان تموت كما مات من قبلك رسلنا افان مت فهم الخالدون ايـ المشركون . فهذه الآية تنفي الخلود والدوام عن جميع البشر الذين كانوا قبل خاتم النبيّين والذين يأتون من بعده ولا ارى عاقلاً ينكر ان الزعم ان المسيح عليه السلام لا يزال حياً بجسده العنصري منذ ١٩٢٤ سنة هو عين الاعتقاد بخلوده بالنظر الى اطول العمر الذي قدّر للانسان وباعتبار اعظم القوى التي وهب اياها تحملاً لدورة الحدثان وذلك لان الذي بقي حياً عائشاً كل هذه المدة الطويلة في هذا القفص العظمى بين اللحم والدم على غير هذه الارض مستغنياً عن جميع اللوازم الحيوية هو لا محالة يستطيع ان يعيش ابد الآبدين واحرى ان يعدّ من زمرة الخالدين بمعنى الخلود المنفيّ عنه في الآية «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون» — ومن الآيات البيّنات التي تنزل المسيح من أفق الحياة المزعومة وتجعله مع جميع الرسل على مستوى واحد من حيث الحياة والموت قوله تعالى : وما المسيح ابن مريم الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صدّيقة كانا يأكلان الطعام . انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنّى يؤفكون (٤ — ٧٥) ان الجملة (كانا يأكلان الطعام) تدل حتماً على ان حياتهما الجسدية التي تحتاج الى طعام انقطعت بدليل الآية . وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين . ومنها فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون : (الاعراف : ٢٤)

*

ومن الآيات المتشابهات التي تحسم النزاع في موت المسيح بشرط **ان** نرجعها الى ام الكتاب ونستفهم مرادها تبعاً للنصوص البيّنات وطبقاً لشهادة الواقعات الصحيحة هي قوله تعالى : وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الاّ اتباع الظن وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً (٤ : ١٧٥) . ان الاشتباه المعنوي في الآية المذكورة لينشأُ من جمل ثلاث وضمائر ستة لم يتعين مرجعها في ظاهر الكلام . لذلك ينبغي ان اجلوها قبل الاستدلال بها على موت المسيح . اذ قد تُوهم الجملةُ الاولى وهي ما قتلوه وما صلبوه أن المسيح لم يمت لان اليهود ما قتلوه ولا صلبوه . ان هذا الاستنتاج غير منطقي لان النفي عن القتل والصلب لا ينفي عن الموت مطلقاً وانما يقرّر عدم وقوع القتل والصلب فقط لا غير . فلو كان القتل والصلب هما السببين الوحيدين للموت لَصحَّ ان يستنتج من نفيهما عدم وقوع الموت ، غير ان الامر ليس كذلك وللموت اسباباً شتّى منها القتل والصلب والخنق والغرق والتسمم والامراض الفتاكة فاذا نفينا احد هذه الاسباب وقلنا مثلاً انه لم يغرَق فلان فانما ننفي عنه وقوع الموت بالغرق ولا نعني انه اذا نجا من الغرق لن يموت بعد ذلك بواسطة من وسائط الحتف الطبيعية . ولقد اخطأَ كثير من المفسرين ان استنبطوا من الجملة وما قتلوه وما

صلبوه ان المسيح لم يمت مع ان الجملة انما تنفي موته بالقتل والصلب فقط ولا غير ·

والجملة الثانية التي توهّمت المفسرين هي بل رفعه الله اليه · لا اقصد ان الكلمات رفعه الله اليه مبهمة في معناها او انها ناقصة في مبناها بحيث ان القارئ لا محالة يغلط في ادراك المراد منها كلاّ · ان الآية لواضحة كل الوضوح ان لو رجعناها الى ام الكتاب والى المحاورات اللغوية المستعملة في الكتب المقدسة وفي غيرها — ذكرت لكم فيما سبق ان الله تعالى بشّر المسيح عليه السلام حين اراد اليهود قتله بقوله ياعيسى اني متوفيك ورافعك اليّ الخ اي اني مميتك حتف انفك ورافعك الي مقام الكرامة الابدية لا تصل اليك ايدي الأئمة الفجّار · فبناءً عليه اخبر سبحانه تعالى بصيغة الفعل الماضي انه رفعه الرفع الموعود كما قد اخبر سبحانه عن وقوع موته بصيغة الفعل الماضي في قوله فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم · إنَّ الرفع المبشّر به لم يكن ليقع قبل التوفي المذكور في الآية كما يدلُّ عليه سياق القول وسباقه · ولئن قلنا ان الترتيب غير مقصود في الآية فكان هذا القول بمثابة الاعتراف منا بان الآية كلها من اولها الى آخرها مختلّة النسق ناقصة البلاغة وبان الله سبحانه وتعالى يرمي الكلام على عواهنه — الامر الذي يجلُّ عنه قلم انسان له ادنى المام بفن الكتابة وذلك لانه لو فرضنا ان الواو ليست للترتيب ينبغي ان يكون متوفيك اما بعد رافعك بتقدير اني منزلك ثانياً ومتوفيك او بعد مطهرك

بتقدير ان الغلبة لاتباعه لم تحصل بعد اوان نجعل متوفيك الى
لما بعد يوم القيامة بتقدير انه يموت بعد يوم القيامة وكذلك لا غنى له
بالنسبة لترتيب لآية الكريمة فضلاً عن تحريفها وتأويلها تبعاً لهوي
النفس . ثم اسألك ايها القارىء اي القولين افصح وابلغ في ابلاغ
المعنى اذا فرضنا ان الامر الواقع هو رفعه بجسده العنصري ثم وفاته—
هل القول يا عيسى اني رافعك ومتوفيك ام القول اني متوفيك ورافعك
فان كان الواقع كما يزعمون فلماذا أخّر لفظة رافعك الذي لو قدّمه
لكان افصح للمراد ومطابقاً للزعم ولما وقع مثل هذا الابهام
والاشكال . ان المشائخ لعمري بمثل هذا التأويل الركيك ينسبون
نقصاً للكتاب الكريم في التعبير فضلاً عما يرتكبون خطيئة التحريف .
كلا ان القرآن فيه النظام الأبلغ والترتيب المحكم إلا اننا نتبع اهواءنا
ونفرغ تخيلاتنا في قالب الآيات فنفهم منها غير ما يراد ونفسر
بعكس ما يعني . ألا راعكم الله أليست الاية بل رفعه الله اليه ناطقة
بمعناها المقصود واضحة في مبناها بالنظر الى الاية يا عيسى اني متوفيك
ورافعك الي . أليس من يقرأ عن المسيح عليه السلام انه رفعه الله
اليه يعلم باليقين انه سبحانه وتعالى توفاه ايضاً وانه لم يرفعه الا رفعا
روحانياً الذي يتشرّف به الانبياء والصالحون على السواء ويجب ان
يعلم ذلك باليقين لانه يقرأ بجانب هاتين الايتين الايات البيّنات فلما
توفيتني كنت انت الرقيب عليهم .... وما المسيح ابن مريم الا
رسول قد خلت من قبله الرسل الخ وما محمد الا رسول قد خلت من

قبله الرسل الخ و يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات الخ ورفعناه مكاناً علياً . من يريد العزة فلله العزة جميعاً اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ويا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الخ وما اشبهها من الايات التي توضح المقصود من الرفع المستعمل في الكتب المقدسة والتي تؤذن هذا الانسان بالرحيل أياً كان هو ومهما بلغ من المكانة العلياء في التنزه والتقدُّس .

ان النظر الذي لا يستوعب جميع الوجهات عند التأمل ولا ينفذ الى بُعد الغور و يتصور تصوراً ناكباً عن الحقائق الراهنة لحريٌّ به ان يخطى الصواب دائماً ابداً وان لا يبصر الاّ شبحاً معكوساً ملتبساً . كم كان ظاهراً مفهوم الاية وما قتلوه وما صلبوه ومفهوم الاية بل رفعه الله اليه الا انه استبهم هذا المفهوم الظاهر على مدارك اولئك الذين نسوا ان عدم وقوع القتل والصلب في واقعة لا يستلزم عدم وقوع الموت الطبيعي الى الابد كما نسوا ان الرفع الوارد ههنا هو عين الرفع المذكور في الاية يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليَّ وانه لم يُستعمل الا بمعناه المتعارف في عرف الروحانيين .

هذا والجملة الثالثة التي يجب ان يُستجلى غموضها الحاصل بسبب الخطأ السابق هي (ولكن شبّه لهم) . فلما زعموا ان المسيح عليه السلام لم يمت وانه رُفع الى السماء حياً بجسده العنصري اخذوا يفسرون « شُبّه لهم » بما يوافق المزعوم وارجعوا الضمير المستتر فيه الى المسيح

عليه السلام وجعلوه اولاً المشبَّه به ثم اعتمدوا في المشبَّه على شكله وهيئته وزيه انه هو المقتول والمصلوب . فانظر كم زادوا وكم تصرَّفوا في الآية بزعمهم اولاً انه لم يمت وثانياً صعد الى السماء وثالثاً لا يزال حياً بجسده العنصري ورابعاً القى شبهه على رجل آخر وخامساً قُتل هذا الشبيه وصلب مكانه . تلك مفتريات خمسة كاملة كنا في الاستغناء عنها لو كنا لزمنا الطريق المستقيم في تفسير الآية على وجهها من دون الاستمداد بالحدس والتخيل . ان الكلمة « شبّه » ليست بغريبة المأخذ ولا مستعجمة المعنى في العربية حتى نحتاج الى اعمال المخيلة وصوغ الحكايات المستطرفة دعماً للتفسير الموهوم بل لانها متداولة بمعناه اللغوي فيما بين المحادثات العامة والمحاورات الدارجة يعرفها ويفهمها كل ناطق بالضاد . خذوا اي قاموس شئتم تجدوا فيه معنى الجملة « شبّه عليه الامر » التبس عليه الامر والفرق بين شُبه عليه وشبه له انما ينحصر في ان المؤخر الذكر معناه تلبيس الامر عمداً وارادة دون الاول . فبناءً عليه كان معنى الآية « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبه لهم » لُبس لهم امر القتل والصلب اي جعل ملتبساً على عمدٍ استنقاذاً له من الموت، فالضمير المستتر في شبه لهم راجع الى المصدر المعنوي المقدّر في « وما قتلوه وما صلبوه الخ » والى هذا القتل والصلب المزعومين يرجع الضمائر الثلاث الاول في قوله تعالى وان الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علم الا اتباع

الظنّ وما قتلوه يقيناً ، كما يرجع اليه (*) الضمير الاول في قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً . اي ان الذين اختلفوا في قتله لفي شك منه مالهم به من علم الخ وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بصلبه قبل موته اي قبل موتهم كما هو الامر الواقع فكل يهودي وكل نصراني يعتقد بموته على الصليب اعتقاد ايمان — هذا راجياً النجاة بواسطة كفّارته وفديته وذلك ظناً منه بان عدم الاعتقاد بصلبه نوع من الكفر . فتلكم هي شهادة الواقعة على استقامة المعنى الذي ذهبنا اليه . ألا ان يستقيم المعنى ابداً بغير هذا التأويل ، لان القول بان جميع اهل الكتاب سوف يؤمنون بالمسيح عليه السلام عند بعثته الثانية ليس بادئ السخافة فقط بل وانه مردود منقوض بالفرقان الحميد اذ يؤذن عن بني آدم عامة بقوله لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك (١١ : ١١٩) وعن اهل الكتاب خاصة بقوله وأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة (٦ : ١٥) فمستحيل والحالة هذه ان تتفق كلمتهم وان يؤمن الجميع ايمان امة واحدة . لذلك ليس المراد من (وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ايمانهم بالمسيح عليه السلام عند نزوله من السماء وانما المراد به هو الايمان المشهود له بمعتقداتهم المختلفة في قتل المسيح وصلبه . وهل من احد يشك في ان كلتي

(*) الحاشية : ارجعت الضمير في موته الى اهل الكتاب استناداً على قراءة ابي ابن كعب . راجع تفسير الكشاف والدر المنثور الجزء الثاني

الامتين المسيحية واليهودية قد جعلت صلب المسيح من الامور التي لا يكمل الايمان الاّ بالاعتقاد فيها — ؟ لذلك فهذا الايمان الغريب المبنيّ على الظنون الباطلة — الذي اراد الله تعالى التعريض به والتنقيص منه — ليس الا — ان سخافة الايمان بصلبه بادية ظاهرة من كونه لم يُبن على اليقين و بانه قد رافقه الالتباس والشك منذوقعت حادثة الصليب كما تشهد له الروايات المذكورة في الاناجيل والواقعات التاريخية التي سآتي بها مفصلاً فيما بعد . لذلك فالآيـة « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه ومـا صلبوه ولكن شبه لهم » الخ عوضاً عن ان تثبت حياة المسيح وصعوده الى السماء هي كما تخبر عن عدم حصول القتل والصلب كذلك تخبر عن وفاته اخبار يقين، اذ الخبر بصيغة الفعل الماضي بل رفعهُ الله اليه يستلزم لا محالة وقوع الوفاة ايضاً قبل الرفع . وههنا نكتة جديرة بالذكر وهي ان الله تعالى صرّح برفعه اليه دون وفاته كما كذب خبر قتل اليهود له بصراحة وذلك لان قول اليهود بانهم قتلوا المسيح ابن مريم رسول الله انما يعني الطعن في تقدّسه والغض عن مقامه الكريم لان الصادق عندهم لا يموت على الصليب ولان المصلوب ملعون فكان قولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله بمثابة شهادة على تكذيبه وابطال رسالته . لذلك لم يذكر الله تعالى عمداً امر وفاته وانما اكتفى بقوله بل رفعـه الله اليـه تنويهاً له كما كان اقتضاء السياق والسباق وتلك هي غاية في البلاغة اختصّ بها الفرقان الحميد من بين سائر الاسفار المقدسة .

وخلاصة القول ان الله دحض زعم اليهود بانهم قتلوا رسول الله اولاً بالنفي عن قتله قائلاً وما قتلوه وما صلبوه وثانياً بالاشارة الى الامر الواقع بقوله ولكن شبّه لهم اي لبّس لهم القتل والصلب ثم أيّد سبحانه وتعالى دحضه هذا اولاً بالاختلاف الحاصل فيما بينهم عن واقعة الصلب وبالشك الذي خالج قلوبهم اي اليهود والنصارى والرومان جميعهم عن وقوع الموت المستعجل وعن غيابه من القبر وثانياً بنتيجة جميع الحوادث التي جرت اذ ذاك وهي وما قتلوه يقيناً . وان خاتمة الآية (اي ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) ختام فصل — يدل دلالة واضحة على انه لم يكن ليعود الى الحياة الدنيا وانه يوم القيامة يشهد خلافهم بكونهم كاذبون فيما يزعمون في قتله وصلبه ورجوعهِ الى الحياة الدنيا . فلو كان رجوعه ممكناً لما قال تعالى ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً بل لقال وقبل يوم القيامة يكون عليهم شهيداً

ولقائل ان يسأل ما دام المسيح عليه السلام بقي معلّقاً مسمّراً على الصليب بضع ساعات يعالج مضض الآلام وحشرجة الموت الزؤام ، فما معنى قوله تعالى وما صلبوه ؟ اقول في الجواب ان الانكار هنا هو النفي عن وقوع فعل الصلب اي النفي عن حصول الموت بواسطته ولا غير وهذا ظاهر لا محل هناك للريب البتة لان من ينجو من الموت على خشبة المشنقة بسبب من الاسباب لا يصدق عليه فعل الشنق اي لا يقال هو مشنوق . كذلك الامر هنا . ولا يتوهمن احدٌ من تقديم « ما قتلوه » على « ما صلبوه » بانه لو كان الامر كما نقول اي

لو كان المراد من « وما صلبوه » النفي عن وقوع القتل بواسطة الصليب لكان تأخير (وما قتلوه) أولى وأوفى بالمراد اذ يفهم حينئذ بالسهولة ان القول وما صلبوه يعني « وما قتلوه » على الصليب ، فانه لوهم ناشىء من الجهل بتاريخ حياة المسيح وما جرى له مع اليهود. ان اليهود ارادوا القضاء عليه بطريقين مختلفين — أولاً قتلا على غرة منه ولكنهم لم يروه رأياً مناسباً. (راجع متى ٢٦ : ٤ . ويوحنا ١١ : ٥٥) (*) وثانياً بالمحاكمة والعقاب بالصلب راجع متى ٢٦ : ١٤ ولوقا ٢٣ : ٢) وكان الصلب نوعاً من العقاب الذي كانت الحكومة وحدها تعاقب به المجرمين فلم ينجح اليهود لا في الحيلة الاولى ولا في الحيلة الثانية وهذا الذي يعنيه سبحانه وتعالى بقوله وما قتلوه وما صلبوه أي لم يقتلوه اغتيالاً ولا صلباً بواسطة الحكومة وايضاً روى ان المسيح قتل أولاً ثم صلب. وتلك كانت عادتهم ايضاً في الصلب يشير اليها القرآن المجيد حيث يقول لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين (الاعراف : ١٢٣) ويقول سفر الاعمال في المسيح عليه السلام The God of our Father raised up Gesus whom you slew and hanged on a tree (15 - 3o) أي إله آبائنا رفع المسيح الذي انتم قتلتموه ثم علقتموه على شجرة فبناءً عليه تكون الآية قد تضمنت لرد لهذا المزعوم.

هذا ومن الآيات المتشابهات الآية وانه لعلم للساعة فلا تمترن

(*) راجع ايضاً يوحنا الاصحاح ٧ : ١ و ١٩ و ٣٠ و ٤٢ و ٤٥ والاصحاح ١٠ : ٣١ و ٣٩

بها واتّبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدّنّكم الشيطان . انه لكم عدو مبين (الزخرف ٢٥ :) ووجه التشابه ههنا انما هو زعمهم انه صعد الى السماء فينزل منها قرب القيامة وبذا يكون علامة من علامات الساعة الكبرى اي القيامة فكل ذلك ظن على ظن وخبط على خبط ليس ثمّت من ورائه من وشل الحقيقة . اقرأ سياق الاية وسباقها ينضح لك ما اقول . يقول سبحانه وتعالى عن ابن مريم عليه السلام ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل ولو نشأ لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترنّ بها واتبعون هذا صراط مستقيم الخ (الزخرف ٦١:٥٩— ٦٧) اي جعلناه قدوة وحجّة لبني اسرائيل وكان لهم علماً لانقضاء أجلهم الذي قال الله تعالى فيه ولكل امة اجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (١٠ : ٤٩) فكانت بعثته عليه الصلاة انذاراً منه تعالى بأن النبوة لراحلة لا محالة من بيت اسرائيل وانه قد حان حينهم ودنت ساعتهم القاضية عليهم بالويل والدثور وذلك كما يقول المسيح عليه السلام « لذلك اقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل اثماره ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه (متى ٢١ : ٤٣)

معنى لعلم ل

ولكي يستيقن القارىء ان الساعة بالمعنى المذكور لا غير يجب عليه ان يتدبّر الآيات التالية التي اوعد الله فيها القريش والنصارى واليهود وغيرهم من الاحزاب باقتراب الساعة والعذاب الأليم وينبغي

له ان يفكّر مليّاً في الجملة « واتبعون . هذا صراط مستقيم » فانها قرينة صارمة تقرر المراد من الساعة و كون المسيح علما لهذي الساعة بمعنى انه آخر نبي بُعث في بني اسرائيل وقد انذرهم بانتزاع ملكوت الله من ايديهم الملوّثة . والغرض ان الآية عدا ان يثبت حياة المسيح الجسدية في السماء ونزوله منها فهي تحكم عليه بالرحيل وانقضاء أجله مع انقضاء أَجل امّته فلا رجعة ولا اوبة لما قضى ونفذ . لم يكن حضرته الاّ مثلاً لبني اسرائيل فما كان له ان يعدوَ حدّه وكذلك قد فعل اذ انكر ان يمدّ يديه ويبارك من لم يكن من بني اسرائيل (متى ١٥ : ٢٤و١٠:٥) الا ان ملكوت الله اليوم ملكوت محمّد صلى الله عليه وسلم وانّى لرائع الخراف ان يعود ثانية بعد اجيال متطاولة ويرفع عصاه ليسوس العالم الفاسد كله وهو كما نعلم من الاناجيل الاربعة لم يستطع سياسة خرفانه المعدودة في حظيرة ملكوته . افأَنتم تحدّثون انفسكم ان الله تعالى لا يستطيع ان يخلق مثل المسيح في ملكوته هذه فامسكه حياً بلحمه ودمه كل هذا الدهر الطويل ليُدليه من فوق السماء عند اقتضاء الاحوال . بئس الظن الذي تظنونه ايها الناس !! إن الله تعالى لقادر على الخلق كله لو يشاء لجعل منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه سبحانه العليم لم يقل (وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل) وما اردف هذه الآية بقوله (ولو نشأُ لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) الا استدراكاً عليكم ظنكم الباطل ولعلمه انه سيأْتي يوم اذ يصبح ثلاثة ارباع العالم تشخص الى السماء ابصارهم وتكلّ انتظاراً

لنزول المسيح بقلوب جازعة ملؤها الاماني والآمال الكاذبة . هيهات ان تصبر دون ان ترى بغيتها في الارض متمثلة في شخص المسيح الاسرائيلي ذاته وعينه ولحمه ودمه . فهذه هي امنيتكم الباطلة التي كنتم تشتهونها منذ القرون العديدة وقد قطع الله منها الوتين بقوله ان هو الاّ عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل ولو نشأ لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون . فما اضعف الاعتقاد بانه سبحانه لا يستطيع ان يخلق منكم مثل المسيح عند اقتضاء الضرورة وما انكد الحكمة ان يُبقي المسيح حياً بجسده العنصري في احدى طاقات السماء كل هذه المدة الطويلة !

أظن قد شطّ بي القلم او كاد يشط بي من نهج التحقيق الى اسلوب الخطاب ولم يكن ذلك الا تأثراً مني على ما ارى وأجد من الاوهام الباطلة يُنسب مأخذها الى آي القرآن المجيد ظلماً وزوراً وهي على ما رأيتم — خالية منها كلّ الخلوّ حتى والآيات المتشابهات منها ايضاً . ولقد عرفتم مما مضى ان اللبس الذي وقع في الآيات لم يقع من اجل انها كانت غير واضحة بالنظر الى الغرض المسوق له القول وانما وقع بسبب مخيّلات الناس المتشرّبة الاوهام المعتكسة التصورات المنحرفة الزاوية الفكرية التي كلما صادفت في طريقها شيئاً صاغته في قالبها ومثّلته على هيئتها . وتلك هي شأن المخيّلة البشرية دائماً ابداً انها تبرم وتنقض على حسب ما تستوعي في كيانها من الخيالات والتصورات السابقة التي لو تجرّدت عنها سهل عليها الوصول الى نكتة

التحقيق باسرع ما يكون واني لآمل من القراء الكرام ان يربأوا بانفسهم عن مستوى الجَهَلة المتعصبين العميان الذين نسج الجهل والتعصب والتقليد الأعمى دون اعينهم غشاءً سميكاً من الاباطيل لا ينفذ من خلاله شعاع النور البتة .

هذا واني اختم الموضوع بعد سرد الاحاديث النبوية والآثار المعتبرة التي يُرى منها جلياً انها ايضاً تقول بموت المسيح بالاتفاق مع الآيات الجليلة وهي كما يلي :

(١) في صحيح البخارى ثم يؤخذ برجال من اصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول اصحابي فيقال انهم لم يزالوا مرتدّين على اعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم وكنت شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء قدير وخلاصة الرواية ان الارتداد في المسلمين حصل بعد موت خاتم الرسل كما حصل الارتداد في النصارى بعد موت المسيح عليهما الصلاة والسلام . وأضف اليه تفسير ابن عباس لمتوفيك بمعنى مميتك .

(٢) وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان موسى وعيسى حيَّين لما وسعهما الا اتباعي — راجع الصحيفة ٢٤٦ في الجزء الثاني من تفسير ابن كثير المطبوع بمصر وكذلك في اليواقيت والجواهر ص ٢٤ وشرح مواهب اللدنية ص ٧٦ من الجزء ٦ ومدارج السالكين للامام ابن قيم ٢ : ٣١٣ .

(٣) وعن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة في

مرضهِ الذي توفي فيهِ ان عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا اراني الاّ ذاهباً على راس الستين · راجع الصحيفة ٤٢ من الجزء الاول من المواهب اللدنية للعلاّمة القسطلاني واخرجه الطبراني والحاكم ايضاً بسند رجاله ثقات · راجع الصحيفة الثامنة من الحجج الكرامة وايضاً الحديث ١٨٧٩ المذكور في الفصل الاول في فضائل سائر الانبياء من الجزء الثاني من كنز العمال · وكذا راجع الصحيفة ٢٤٢ من الجزء الثاني لابن كثير ·

(٤) وفي تفسير الجلالين مع الكمالين بين السطور عند شرح الآية بل رفعه الله اليه · « وتمسك ابن حزم بظاهر الآية وقال بموته » راجع الصحيفة ١٠٩ ·

(٥) وخطبة ابي بكر (رضي الله عنه) التي قال فيها من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت · وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل · فان هذه الخطبة كما تثبت اعتقاده بموت جميع الانبياء تدل ايضاً على اجماع الصحابة على وفاتهم ·

(٦) ومن تلك الآثار خطبة الامام حسن رضي الله عنه عند وفاة ابيه علي كرّم الله وجهه قال فيها ايها الناس قبض الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولم يدركه الآخرون · قد كان رسول الله صلى الله يبعث البعث فيكتنفه جبريل من يمينه وميكائيل من شمالهِ فلا ينثني حتى يفتح الله له وما ترك الا سبعمائة درهم اراد ان يشتري بها خادماً ولقد قبض في الليلة التي عرّج فيها بروح عيسى ابن مريم ليلة سبع

وعشرين من رمضان . راجع ذكر وفاة علي رضي الله عنه في الصحيفة ٢٦ من الجزء الثالث من طبقات ابن سعد .

(٧) ومن آثار الأئمة رأى الامام الجليل الحافظ ابن القيم واما ما يذكر عن المسيح انه رُفع الى السماء وعمره ثلاثون سنة فهذا لا يعرف له أَثر متصل يجب المصير اليه (راجع الصحيفة ٣٠٢ من الجزء الاول من زاد المعاد) وأيّده الشامي قائلاً وهو كما قال (الامام المذكور) فانما ذلك انما يروى عن النصارى والمصرّح به في الاحاديث انه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة . راجع الصحيفة ٤٩ من الجزء الثاني من فتح البيان .

(٨) ومنها رأى الامام مالك رحمه الله ان الاكثر على ان عيسى لم يمت وقال مالك مات . راجع الصحيفة ٢٨٦ في الجزء الاول من مجمع البحار للامام محمد طاهر الغجراتي . ولم يخالفه في رأيه هذا الامام ابو حنيفة رضي الله عنه بل وافقه اذ روى عن زيد ابن عبد الرحمن عن انس بن مالك رضي الله عنه ان ابا بكر رضي الله عنه رأى من رسول الله خفة فاستأذن الى امرأته بنت خارجة وكانت الى حوائط الانصار وكان ذلك ساعة الموت وهو يشعره فأَذن له ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فاصبح فجعل يرى الناس يترأسون فامر ابو بكر غلاماً يستمع ثم يخبره فقال اسمعهم يقولون مات محمد صلعم ثم خرج ابو بكر فقال من كان يعبد محمداً فان محمداً مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت وما محمد الاّ رسول . الخ

وكذلك راجع اعتقاد الامام مالك رحمه الله المشار اليها في اكمال الاكمال للامام ابي عبدالله محمد ابن خلفة الوشتا في صحيفة ٢٦٥ من الجزء الاول منه

(٩) ومنها قول اثير الدين ابي حيّان الاندلسي في تفسيره البحر المحيط انه اختلفت الرواة في كيفية القتل والصلب ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء غير ما دلّ عليه القرآن ..... وقيل لم يلق شبهه على احد وانما معنى ولكن شبه لهم اي شبّه عليهم الملك المخرق ليستديم بما نقص واحد من العدّة ..... وهذا القول ينبغي ان يعتقد في قوله ولكن شبه لهم . اما ان يلقى شبهه على احد فلم يصح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعتمد عليه . راجع الجزء الثالث منه تفسير الآية ولكن شبّه لهم .

(١٠) ومثله في المعنى قول الامام بن حزم وهاك نص العبارة من كتابه الملل والاهواء والنحل : ولكن شبّه لهم انما عنى تعالى اولئك الفسّاق الذين دبّروا هذا الباطل وتواطئوا عليه هم شبهوا على من قلّدهم فاخبروهم انهم صلبوه وقتلوه وهم كاذبون في ذلك عالمون انهم كذبة ولو امكن ان يشبه ذلك على ذي حاسة سليمة . .. لبطلت الحقائق كلها ..... وقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم انما هو اخبار عن الذين يقولون تقليداً لأسلافهم من النصارى واليهود ان عليه السلام قتل وصلب . فهؤلاء شبّه لهم القول اي ادخلوا شبهة منه الخ : راجع الصحيفة ٥٩ — ٦٠ منه . وأضف اليه قول

*

الجلالين مع الكمالين في تفسير هذه الآية

(١٦) وأضف الى ذلك كله الاشكالات الستة التي عرضها عليها الامام فخر الدين الرازي من دون ان يفيدنا بجواب مقنع ومن تلك الاشكالات انه تعالى كان قادراً على تخليصه من اولئك الاعداء بان يرفعه الى السماء فما الفائدة من القاء الشبه على غيره وهل فيه لاً القاء مسكين في القتل من غير فائدة اليه وأن القوم اعتقدوا في المصلوب انه هو عيسى مع انه ما كان عيسى فهذا كان القاء في الجهل والتلبيس وهذا لا يليق بحكمة الله تعالى وان النصارى على كثرتهم في مشارق الارض ومغاربها وشدة محبتهم للمسيح عليه السلام اخبروا انه شاهدوه مقتولاً مصلوباً فلو انكرنا ذلك كان طعناً فيما ثبت بالتواتر وانه ثبت بالتواتر ان المصلوب بقي حياً زماناً طويلاً فلو لم يكن ذلك عيسى بل كان غيره لأظهر الجزع ولقال اني لست بعيسى بل انما انا غيره ولبالغ في تعريف هذا المعنى فلما لم يوجد شيء من هذا علمنا ان ليس الامر على ما ذكرتم

اعتراض وجوابه

ههنا يقف الانسان حيرة واستغراباً لفشو الاعتقاد بحياة المسيح بين المسلمين فشواً طم وجرف الحقيقة الناصعة كما يطم ويجرف الطوفان سطح الارض عند طغيانه الشديد ويسائل نفسه كيف امكن — يا ترى — ان اعتقد به اجلة الافاضل وصفوة العلماء مع وجود مثل هاتيك الآيات البينات والآثار الناطقات بين ايديهم ؟ أفما كانوا يتلونها ويقرؤونها آناء النهار وآناء الليل ام كانوا من الغباوة على جانب

عظيم بحيث لم يستطيعوا ان يفهموا معنى الآية . « فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم » ولا قدروا ان يدركوا مفهوم الآية « ما محمّد الاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل الخ ام هل كانوا في غاية من البلادة والحمق يا ترى حتى انه لم يخطر ببالهم يوماً من الايام أن الجثمان البشري لا يستطيع الصعود في السماء والحياة بلا مأكل ولا شرب وان الله قضى لهذا الانسان ان يعيش في الارض ويموت فيها ويخرج منها؟ وي كم غريباً ان يذهب عليهم ذلك المعنى وتخفى عليهم هذه الحقيقة ويدركها قوم من الهنود الاعجام بعد عشرة قرون مضين ! كلاّ لا يدخل في ذهننا ان الله سبحانه وتعالى ترك في هذا الضلال المبين الوفاء وملايين من الابرار الاخيار الذين بذلوا النفس والنفيس في تحصيل العلوم حتى برعوا فيها غاية البراعة وبرزوا علي كثيرين من الخلق ثم وقفوا حياتهم لخدمة الدين والدنيا ولم يزالوا بها حتى قضوا نحبهم — لا يدخل في ذهننا البتة ان يُجازى هؤلاء التقاة الافاضل لقاء اخلاصهم وتقواهم وجهادهم هكذا الحرمان من معرفة الامر الذي هو غاية في البساطة والظهور باعتبار فحواء الآيات والاحاديث المذكورة فيما سبق — اي نعم ان هذا الامر هو عينه الذي يخطر ببالي ويخالج ضمائر الناس ونستغرب منه جميعاً غاية الاستغراب واريد ان اعالجه بحيث ازيح الستار عن منشإ الاعتقاد المذكور وأُري القرّاء الكرام موقعه ومبلغه من قلوب المسلمين ومعتقداتهم .

لا يخفى على من له المام قليل بالتاريخ الاسلامي ان التفسير على ما

هو اليوم عليه دوّن في اواخر القرن الثالث الهجري وان اول تفسير مدوّن آية آية باسناد الرواة هو تفسير بن جرير الذي مارس علمي التاريخ والتفسير وبرع فيهما غاية البراعة فيما بين السنة ٢٧٠ هو ٣٠٠ ه واما ما قبله فلا نعرف للتفسير المدوّن أثراً يرجع اليه اللهم اذا جاز تسمية روايات ابن عباس رضي الله عنه النزرة اليسيرة بالتفسير . مات الامام ابن جرير سنة ٣١٠ ه في بغداد وترك لنا تفسيراً ضخماً في واحد وثلاثين جزءاً اسمه جامع البيان في تفسير القرآن استوعب فيه جميع الروايات على اختلاف مصادرها وجعله منهلاً ومستقى لمن بعده فأجدر بنا ان ننظر في ما ادلته الينا من الآثار والروايات والدلائل في المسئلة المذكورة فعسانا نهتدي الى طريق يدلنا على مصدر الاعتقاد الرائج .

لانتقادفي
ت القائلة
ة المسيح
لسلام

ان جميع الروايات المذكورة في جامع البيان لابن جرير الطبري لا تخرج عن كونها احدى الثلاث بالنظر الى تفسير الآية « يا عيسى اني متوفيك الخ » منها طبقة تذهب الى كون المعنى مميتك واخرى ترى المعنى كونه منيمك واخرى تقول بكونه قابضك من الارض حياً . وهاكم فيما يلي رواة الطبقات الثلاث من الروايات وموقفهم في الرواية من حيث الصحة والضعف والصدق والكذب

الطبقة الاولى : اني متوفيك وفاة المنام اي رفعه اليه في منامه قال ابن جرير حدّثني المثنى قال حدّثنا اسحق قال حدثنا عبدالله ابن ابي جعفر عن ابيه عن الربيع في قوله اني متوفيك قال يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه .

الطبقة الثانية : اني متوفيك اني قابضك من الارض ورافعك اليّ .

روى ابن جرير هذا المعنى عن (١) على بن سهل عن ضمرة بن ربيعة عن ابن شوزب وعن مطر الورّاق (٢) وعن الحسن بن يحيى عن عبدالرزاق عن معمر عن الحسن (٣) وعن القاسم عن حسين عن حجاج عن ابن جريح (٤) وعن المثنى عن عبدالله ابن صالح عن معاوية بن صالح قال ان كعب الاحبار قال ما كان الله عزّ وجلّ ليميت عيسى ابن مريم الخ (٥) وعن ابن حميد عن سلمة وعن ابن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير (٦) وعن يونس عن ابن وهب عن ابن زيد (٧) وعن محمد بن سنان عن ابي بكر الحنفي عن عباد عن الحسن .

الطبقة الثالثة متوفيك . وفاة موت : روى ابن جرير هذا المعنى عن (١) المثنى عن عبدالله بن صالح عن معاوية عن على عن ابن عباس قوله اني متوفيك يقول اني مميتك وعن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق قال والنصارى يزعمون انه توفاه سبع ساعات من النهار .

بعد سرد هذه الروايات يقول ابن جرير : واولى هذه الاقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك اني قابضك من الارض ورافعك اليَّ لتواتر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجّال ثم يمكث في الارض مدة ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها ثم يموت . فيصلي عليه المسلمون و يدفنونه .

ثم استشهد ابن جرير على استنتاجه هذا بروايتين مرجعهما ابو هريرة رضي الله عنه : الاولى عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق

عن محمد بن مسلم الزهري عن حنظلة بن علي الاسلمي عن ابي هريرة والثانية ايضاً عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن عبدالرحمن بن آدم عن ابي هريرة وخلاصة الروايتين انه ليهبطن الله عيسى ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يجد من يأخذه وانه لم يكن بيني وبينه نبي وانه خليفتي على امتي وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأنَّ شعره يقطر وان لم يصبه بلل بين ممصرتين ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجّال وتقع في الارض الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الغلمان بالحيّات لا يضر منه بعضهم بعضاً .

وأيَّد بن جرير استنتاجه المذكور بزيد البرهان قائلاً ومعلوم انه لو كان قد اماته الله عزّ وجلّ لم يكن بالذي يميته ميتة اخرى فيجمع عليه ميتتين لان الله عز وجل انما اخبر عباده انه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم كما قال جل ثناؤه : الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء .

هذا هو البنيان الذي رُفع عليه الاعتقاد بحياة المسيح وصعوده ونزوله وهذا هو المصدر الاول الذي اخذ منه جميع المفسرين القائلين به وها اني عارض الرواة والاستنتاج والاستدلال والبرهان معرض

النقد والمقياس المنطقي واحاول معكم الوصول الى الحقيقة التي طالما خفيت على الابصار بطريق غريب جداً نُدر أن يوجد له مثال من قبيله في سوانح التاريخ البشري ·

إنّ ابا جعفر محمد بن جرير الطبري لا شك كان علاّمة وقته وإمام عصره وهو لا يزال عمدة المؤرخين ومرجعهم في التمحيص والتحقيق حتى الان · ومما امتاز به على اقرانه من المؤرّخين القدماء انه ادرك وجب المؤرخ فلم يترك ولا شاردة ولا واردة من جميع ما كان يتحادث به الناس فيما بينهم في عصره عن احوال القرون الاولى الاّ ودوّنها تدويناً مسنداً الى رواتها بالتسلسل ولم يجعل في النقل لمخيّلته من سبيل — شأن غيره من المؤرّخين القدماء بل وترك وظيفة التفكير والاستنتاج لأولي الشان من ارباب العلم · والذين اتهموه بانه لا يميز بين الضعيف والصحيح من الروايات ويروي الاقوال على عواهنها اخطأوا مقامه في نقل التاريخ القديم — إنّ اول خطوة في ذلك هي كما لا يخفى لمّ الاخبار وتدوينها كما هي من دون ادنى تصرُّف مهما يكن نوعه ومن ثَمَّ عرضُها على النقد العقلي · والأقرب الى الصحة وأوفى بالغرض ان لا يقوم بهاتين الوظيفتين المختلفتين نوعاً واهمية رجل واحد لما يحتمل ان تختلّ احداهما بالثانية فان الناقل إن لم يتجرّد من الافاعيل الانفسيّة كلية لا بد ان يتخلَّل النقلَ شيء من التصرف الأنفسي · لذلك فقد أدّى ابن جرير وظيفته في تدوين التاريخ القديم بغاية الامانة وروى الحوادث والاخبار على هيئتها

ولا يُظنّ أنه كان يعتقد بصحتها جمعاء وكان لا يفرّق بين الغث والثمين منها . كلاّ كان يرى بينهما الفرق ويعرف مآخذهما ومبانيهما ألاّ أنه كان يفصل بينهما لا بقوة فكره . بل بقوة صحة الاسناد حتى المستطاع لكون انه قد اصبح جزءاً مكيناً من ذوقه الفنّي ان لا يعارض النقل الا بالنقل تاركاً حكم العقل جانباً مخافة ان يمسّه بشيء من تلقاء نفسه لانه مهما تكن نوعية المنقول من الضعف والصحة لا يليق بشأن المؤرخ الناقل البتة ان يزيد او ينقص فيما ينقله من لدنه . ان هذه هي المزية التاريخية الجلّى التي غابت ماهيتها عن بعض المتقدمين فسلقوا إمام المؤرخين بالسنة حداد وقالوا فيه ما سوّلت لهم انفسهم واني أبرّيء نفسي من عملهم هذا واقول ان الامام ابن جرير رحمه الله لم يحِد عن مسلكه التاريخي قيد شبر فيما رواه ههنا من الروايات المختلفة بل ورجح بعضها على بعض تفسيراً للآية الكريمة .

ان تواتر الاحاديث القائلة بنزول المسيح المرويّة عن الثقات هو الذي جعله يعير الروايات القائلة بصعوده في السماء نظر الاعتبار ولم يكن ذلك منه لكون هذه الروايات في شيء من الصحة من حيث الاسناد . ولو انكم نظرتم في رجالها نظراً سطحياً لعرفتم ان اكثرهم بل جلّهم ممن لا مقام لهم البتة في المحدثين الثقات . خذوا مثلاً رجال الطبقة الاولى واحداً فواحداً واقرأوا عنهم في اي كتاب مستند شئتم من كتب رجال الحديث تجدوا ان المثنى بن ثمامة واسحاق بن ابراهيم الدبري ما كان كلاهما صاحب حديث وهب أن اولهما اي المثنى ممن

يحتج بقوله فانه يروى معاً الاقوال الثلاثة المختلفة كما يُرى مما مرَّ في التقسيم المذكور آنفاً وكل ما يستنتج من رواياته تلك ان الرجل سمعها جميعاً فذكرها لابن جرير كما سمعها من دون ان يبدي رأياً فيها . وزد على ذلك انه يروي تلك الروايات عن غير ثقات . الاولى منها عن اسحاق وهو ليس من رجال الحديث في شيء والثانية عن عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح ولعبدالله هذا مناكير حدَّثها عن معاوية بن صالح نخدش بها سمعته لكونه يروي احياناً عن غير الثقات كما انه قد روى ههنا الحديث المشار اليه عن كعب الاحبار صاحب الموضوعات الكثيرة . والثالثة كذلك عن عبدالله بن صالح عن معاوية عن عليٍّ عن ابن عباس وهي قوله متوفيك بمعنى مميتك وارجح هذه الاقوال المروية عن المثنى باعتبار رواتها هي الرواية الاخيرة بقطع النظر عما فيها من الخلل ما فيه ووجه الترجيح في ذلك عائد الى المعنى اللغوي اكثر منه الى متانة الاسناد فان كلمة التوفي معناها الموت اذا كانت مجرَّدة من كل قرينة تصرفها الى غير المعنى الذي وضعت له في مصطلح اللغة — هذا ولا سيما اذا كان الفاعل هو الله سبحانه وتعالى والمفعول الانسان . فالترجيح للرواية الثالثة على غيرها انما حاصلٌ — لا لأن المثنى او اسحق او عبدالله بن صالح او معاوية بن صالح حجة مستندة بل لان مفهوم هذه مطابق للمصطلح اللغوي والنصوص القرآنية البيّنة ولان مفهوم تينك الروايتين — عدا انه مخالف للوضع اللغوي ومنافٍ للسنّة اللهيَّة — يحتمل ضمنه جرثومة الاعتقاد المسيحي وهذا الاحتمال هو

الاغلب لان المثنى بينما يرفع روايته الثانية الى كعب الاحبار يؤيد ابن جرير روايته الثالثة القائلة بالموت بارجاعها الى زعم النصارى بموت المسيح سبع ساعات من النهار استناداً على رواية ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحاق وابنُ حميد وسلمة كلاهما مشكوك في اسنادهما وروايتهما عند البخاري وغيره بل كذّب احدَهما الكوسج وابو زرعة وضعّف الآخرَ النسائي وابن راهويه . واذا تتبعتم اسانيد الروايات الباقية بامعان على هذا المنوال عرفتم سقمها بادىء الظهور — إنّ علي ابن سهل المدائيني (وهو شيخ لابن جرير الطبري) وحسن بن يحيى المصيصي والقاسم ومحمد بن سنان الاموي وابن حميد محمد الرازي جميع هولاء الرواة ممن لا يحتجّ باقوالهم قطعاً وهم اولئك الذين يروي عنهم ابن جرير رواياته المذكورة بل ولا يوجد بين جميع اسانيده ولا واحد يعتبر ثقة عند المحدثين واهل النقد الصحيح اللهم الاّ اذا استثنينا يونس بن عبد الأعلى لكونه ثقة عند النسائي وابي حاتم ولانه يُعدُّ ركناً من اركان الاسلام كما يخبر عنه يحيى بن حسين غير ان ابن وهب وابن زيد الذين يروي عنهما يحيى ليسا من طبقة الثقات في شيء . وزد على ذلك أن الحلقات الاخيرة في الروايات المذكورة اما منقطعة غير متصلة او ان رجالها غير موثوق بهم . كان مثلاً مطر الورّاق ابن طهمان ضعيف الرواية يشبه بابن ابي ليلى في سوء الحفظ وكان ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز متساهلاً لا يبالي من اين يأخذ الروايات وقد اوصانا الدارقطني ان نتجنب تدليسه فانه قبيح التدليس

ويروي احاديث موضوعة وان كعب الاحبار مطعون باسرائيلياته لا حاجة بنا ان نزيد في تعريفه كما ان ابن اسحاق بن يسار بن خيار مطعون من حيث انه يحدّث عن المجهولين احاديث باطلة وكان لا يبالي عمن يحكي وقد اتّهم بكونه يتتبّع الروايات من اولاد اليهود الذين كانوا اسلموا وهذا ابو بكر الحنفي (وهو عبدالله بن محمد بن ابي شيبة) وان كان ثقة غير انه قد روى الحديث عن عباد بن العوام بن عمر وهو مضطرب الحديث وكذلك كان الراوي محمد بن سنان بن يزيد الذي يحدّث عن ابي بكر ضعيفَ الاسناد مطعوناً في صدقه ·

تلك هي حالة الروايات التي نقلها ابن جرير الطبري تفسيراً للآية الكريمة يَا عيسى اني مُتوفّيك ورَافعكَ اليّ وذاك ترجيحه احداها على الاخرى وهاكم الآن ما اورده من الروايات في تعيين المراد من الآية ولكن شبّه لهم فهي كذلك لا تقل ضعفاً وسخافة من اخواتها في شيء بل انها لأوهن وأضعف منها بادية الاضطراب في مآخذها لكونها مروية من المصادر الاسرائيلية والمسيحية · ان هذه الروايات كلها ثمانية في العدد خلاصتها ان المسيح عليه السلام أَلقى شبهه على احد من اتباعه وصلب مكانه واما هو فقد ذُهب به الى السماء : —

ثلاثة منها عن ابن حميد يروي اثنين عن ابن اسحاق ابن يسار بن خيار وواحدة عن يعقوب القمّي · اما روايتا ابن اسحاق فهما كما يقول الراوي نفسه انه سمعهما من رجل من بني اسرائيل وآخر نصراني ولا يذكر اسمهما · وقد قلت فيما سبق آنفاً ان ابن اسحاق هذا لا ينبغي

ان يحتج بروايته لتتبّعه الروايات من اولاد اليهود الذين كانوا اسلموا واما يعقوب ابن عبدالله سعد القِمّي فهو — عدا انه غير قوي عند الدارقطني . يروي عن هارون بن عنترة الذي يقول عنه الامام بن الحجر العسقلاني انه منكر الحديث جداً يروي المناكير الكثيرة حتى يسبق الى القلب انه من المتعمّد لها لا يجوز الاحتجاج به بحال وروايتان من الثماني المشار اليها يرويهما المثنى الواحدةُ عن اسحاق بن راهوية والاخرى عن ابي حنيفة (موسى بن مسعود النهدي البصري) فالاول غير معروف والثاني ضعيف . راجع لذلك تهذيب التهذيب .

وبقيت من الثماني الروايات ثلاث الاولى عن اسمعيل بن عبدالرحمن السدّي واسباطه والثانية عن قتادة والثالثة عن (عبدالملك ابن عبدالعزيز) بن جريج الاموي وتلميذه حجاج بن محمد المصيصي الأعور فالراوي الاول من هؤلآء الرواة ضعيف كذاب لا يحتج به والثاني مقلوب الاسانيد منكر الاحاديث والثالث وهو قتادة لا يغث عليه شيء حاطب ليل والرابع كذلك حاطب ليل ليس بشيء وقال الدارقطني وابن حبّان تجنب تدليس ابن جريح فانه قبيح التدليس وهكذا تلميذه حجاج بن محمد المصيصي الاعور (راجع اسماء الرواة المذكورين فيما فوق في تهذيب التهذيب) .

ترون مما عرّفت الرواة به ان اقوالهم مما لا يعتبر مطلقاً وانهم في غاية من الضعف من حيث معيار الصدق ومقياس الشهادات ومع هذا

الضعف البيّن في الاسانيد ينقلها ابن جرير الطبري رحمه الله ويبني عليها الحكم قائلاً واولى هذه الاقوال بالصواب احد القولين اللذين ذكرناهما عن وهب بن منبّه من ان شبه عيسى القي على جميع من كان في البيت مع عيسى حين احيط به وبهم من غير مسألة عيسى اياهم ذلك . والسبب في حكمه هذا كما قال نفسه: تواتر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث في الارض مدة ثم يموت فيصلي عليه المسلمون فيدفنونه (راجع تفسيره الآية ولكن شبه لهم) . ان الاستدلال المذكور انما يقوم على دعامة الروايات القائلة بنزول المسيح عليه السلام لا غير فلو لم تكن كهذه الروايات لما كان بالامكان ان تستبهم الآيات البيّنات (يَا عيسى اني مُتوفيكَ ورافعكَ الخ وَ فلمَّا توفّيتني الخ وما قَتلوهُ وما صلبوه ولكن شُبّه لهم بل رفعَه الله اليه) في مفهومها وان يعزب عن الذهن مراد التوفي والرفع المستعملين في القرآن المجيد والحديث النبوي مرة بعد اخرى . لا ريب ان الاعتقاد ببعثة المسيح الثانية هو الذي صرف الاذهان الى المعنى الغير المتعارف وجعل المفسرين يتنكّبون عن جادة الصواب وحدا بهم ان يستشهدوا في تفسير الآيات بروايات هي اشبه شيء بخرافات البابليين . لم يُعرض ابن جرير عن رواية ابن عباس المفسرة لمتوفيك بمعنى مميتك وعمد الى روايات حمزة وجريج وابن حميد وامثالهم الا لتواتر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه قال ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال

ويضع الجزية الخ لذلك يجب ان تقف ههنا ونستعرض الروايات القائلة بنزوله عليه السلام قليلاً لنرى منها ما يؤيد الاستدلال المذكور وماينقضه

نزول المسيح عليه السلام

وقبل ان أورد الروايات المشار اليهـا يجب ان أصرّح بالقول ان مسئلة نزول المسيح من السماء بجسده العنصري انما هي فرع لمسئلة صعوده اليها بجسده العنصري وليست بأصل مستقل بذاتها وذلك لانه لا يمكن ان يتحقق النزول المزعوم الاّ اذا تحقق صعوده الجسماني قبل نزوله الجسماني فاذا كانت الآيات البيّنات والاحاديث الصحيحة لا تقول بصعوده في السماء حياً حياة جسدية بل بالعكس تقول بموته الطبيعي كجميع البشر ودخوله في زمرة النبيين المتوفين الوفاة المحتومة التي لا رجعة منها ولا اوبة فلا اعتبار للروايات القائلة بنزوله وان كثرت عدداً وبلغت في اسنادها اعظم ثقة اللهم الا الاعتبار الذي للروايات الاسرائيلية القائلة بنزول ايلياء اي الياس من السماء قبل بعثة المسيح ابن مريم — سيّما اذا كانت القرائن كلها تدل دلالة واضحة على ان النزول الموعود هو من كل الوجوه النزول المجازي غير الحقيقي — لا يجوز البتة ان نجذ الاصل القويم القائم على بيّنات الآيات وعلى مستندات الاحاديث رعايةً للفرع الموهوم الذي لا يؤيده النقل الصحيح ولا يسلّم به العقـل السليم ولا يدعمه الواقع المشهود . ولقد اثبتُّ فيما سبق ان الآيات ناطقـة بموت المسيح عليه السلام وان الروايات القائلة

نزول ... (عليه ... لاة ... م) فرع ... ل

بصعوده ضعيفة غاية الضعف وقد اتفق الفقهاء اجمعون على انـه اذا تعارض القرآن المجيد والحديث فالتقديم للاول اذا استحال التطبيق بينهما. لذلك ينبغي ان يتدبر القرّاء الكرام ما انا مورده من الروايات في نزوله عليه السلام ولا يصرفوا النظر عن ضعف مكانة الروايات المتخالفة بمقابلة متانـة الآيات البيّنات المعاني المؤتلفات الاجزاء والمؤيدة بالاحاديث وان يروا وجه الترجيح بين الامرين المتناقضين باعتبار الاصل القويم.

حقيقة القائل المسيح الصلا

من الروايات القائلة بنزول المسيح مما رواه الامام البيهقي في كتاب الاسماء والصفات عن هشام ابن حسان عن محمد عن ابي هريرة «قال - كيف انتم اذا نزل ابن مريم من السماء فيكم وامامكم منكم رواه البخاري عن يحيى بن بكير واخرجه مسلم ومن وجه آخر عن يونس وانما أراد نزوله من السماء بعد الرفع اليه.

يقول الامام البيهقي رواه البخاري ونجد في كتاب بدء الخلق من صحيح البخاري الحديث المذكور عن نفس الراوي وقد حُذفت منه الجملة «من السماء» يقول الامام البخاري حدّثنا ابن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولي ابي قتادة الانصاري أن ابا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم تابعه حنبل والاوزاعي.

وكذلك يحذف الجملة المذكورة الامام جلال الدين السيوطي في تفسيره الدر المنثور اذ يروي الحديث المشار اليه قائلاً واخرج

احمد والبخاري ومسلم في الاسماء والصفات قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وأمامكم منكم ، راجع الصحيفة ٤٣ من الجزء الثاني منه

يظهر من هذه الروايات أن الجملة من السماء ليست من اصل الرواية وانما زاد فيها الامام البيهقي من تلقاءه اعتماداً على ما فهمه هو نفسه من لفظ النزول — يدلك عليه قوله بعد اسناده الرواية الى الامام البخاري « وانما أراد الامام البخاري نزوله من السماء بعد الرفع اليه » . لا يتصور أن الامام البخاري والمسلم واحمد تركوا الجملة من السماء عمداً على علم منهم بانها الجزء من الرواية أو بانها المراد من لفظ النزول . لقد روى الامام البخاري الحديث المذكور بطرق مختلفة ولكن لم يذكر ولا يسند من الاسانيد نزوله من السماء أو رفعه اليها — بل قبل ان يخبر عن نزول ابن مريم اتى حضرته بثلاثة احاديث تلمّح جميعها الى ما فهمه وأراده من نزوله عليه السلام — الحديث الاول عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به لقيت موسى فنعته فاذا رجلٌ — حسبته قال — مضطرب رَجِلُ الرأس كانه من رجال شَنُوءَةَ . قال ولقيت عيسى فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فقال ربعة احمر كانما خرج من ديماس ..... وعن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه رأيت عيسى وموسى وابرهيم فاما عيسى فاحمر جعدٌ عريض الصدر وأما موسى فآدَمُ جسيم سبط كانه من رجال الزّطّ . والحديث

الثاني عن نافع قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بين ظهريـ الناس المسيح الدجال فقال انّ الله ليس بأعور الا انّ المسيح الدجال اعور العين اليمنى كأنّ عينه عنبة طافية واراني الليل عند الكعبة في المنام فاذا رجل آدم كاحسن ما يرى من آدم الرجال تضرب لمّته بين منكبيه رجل الشعر (وفي حديث آخر سبط الشعر) يقطر رأسه ماءً واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا هذا المسيح ابن مريم ثم رأيت رجلاً وراءه جعداً قططاً اعور عين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن واضعاً يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا قالوا المسيح الدجال

والحديث الثالث عن ابن عباس قال قال رسول الله عليه وسلم يحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين فاول من يكسى ابراهيم ثم يؤخذ برجال من اصحابي ذات اليمين وذات الشمال فاقول اصحابي فيقال انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفّيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد .

فالحديثان الاول والثاني يفرقان بين المسيح بن مريم اللاحق برفقاءه النبيين وبين المسيح بن مريم القاتل الدجال اذ ينعتانهما بحليتين متباينتين كل التباين — هذا بكونه رجلاً آدم سبط الشعر تضرب لمّته بين منكبيه وذاك بكونه رجلاً احمر جعد الشعر عريض

الصدر والحديث الثالث يقول بوفاة عيسى بن مريم وضلال النصارى بعد وفاته — لا وفاة نوم او رفع — بل كوفاة النبي العربي (عليهما صلوات الله)

ثم اتبع الامام البخاري (رحمه الله) هذه الاحاديث بالحديث المشار اليه اي كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وظاهر انه لم يتخذ هذا الترتيب في سرد الاحاديث المذكورة الاّ اشارةً لما كان يراه من نزول ابن مريم النزول الروحاني . ان الاختلاف البيّن في الحليتين والاستدلال اللطيف على موت عيسى ابن مريم حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خاتمة حديث النزول بقوله (عليه الصلاة والسلام) وامامكم منكم — كل ذلك يدل دلالة واضحة على انّ الامام رحمه الله لم يُرِد بالنزول نزوله من السماء كما يزعم الامام البيهقي بل قد اراد العكس منه تماماً .

ولقائل ان يقول ان الامام البخاري قد روى عن ابي هريرة حديثاً آخر يظهر من فحواه ان المسيح ابن مريم لمّا يمت وأنه هو النازل وهذه الرواية هي ان سعيد ابن المسيّب سمع ابا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكنّ ان ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة واقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم

شهيداً . فاقول في الجواب ان هذه الرواية تقع بين الحديثين الثاني والثالث المذكورين آنفاً وقد قلت ان الحديث الثاني يخبر بموت المسيح عليه السلام والحديث الثالث يخص نزوله بكونه امامكم منكم لا غير . واما الحديث المشار اليه فليس المراد به سوى الاخبار عن نزوله وكسره الصليب وقتله الخنزير واما القول واقرءوا ان شئتم (وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به الخ) فليس من الحديث النبوي في شيء وانما هو استدلال ابي هريرة خاصةً اتى به تأييداً لما كان تخيّله من حديث النزول المذكور ومع ذلك فقد عارض الامام البخاري رواية ابي هريرة هذه بروايته تلك لان كلتيهما مرويّة عنه — الواحدة بسند سعيد ابن المسيّب والثانية بسند ابي قتادة الانصاري — واوضح بالثانية ما استبهم في الاولى بقوله امامكم منكم ، لذلك لا يستقيم البتة زعم الامام البيهقي (*) بان الامام البخاري اراد بالنزول نزول المسيح ابن مريم من السماء ولم تَردْ في رواية من رواياته كلمة السماء اصلاً ولا نجد فيها قرينة يستنبط منها ان الامام البخاري كان يعتقد بنزول ابن مريم من السماء . ان كان الامر مما يُحكم ويفصل فيه بالقرائن والبراهين فهنالك ما شئتم من القرائن والبراهين مما يدل على ان المراد من نزول ابن مريم هو نزوله الروحاني كنزول الياس في صورة يحيى عليهما السلام هنالك قرينة في اختلاف الحليتين المذكورتين وقرينة في قول رسول

القرائن على مراد الموعود الصليب

(*) لقد اورد صاحب الدر المنثور حديث النزول نفسه مستنداً الى الامام البيهقي ولكنه لا يذكر الجملة من السماء

الله صلى الله عليه وسلم عند رؤيته المرتدين من اتباعه فاقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وقرينة في قول الله تعالى ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً وقرينة حاسمة في رواية ابي هريرة وامامكم منكم وقرائن عديدة في الفاظ حديث النزول المستعملة بمعاني مجازية غير متعارفة اذ لا يجوز ان نحمل لفظي (يكسر الصليب) بمعناها المعروف كما لا يجوز ان نعبر لفظي (يقتل الخنزير) بكونه يصطاد الحيوان النجس — ان حمل هذه الكلمات على ظاهر المعاني لهو استهزاء بشأن النبوة وعبث بقداستها — أترون ان المسيح ابن مريم اذا نزل فيكم لا يكون له من شغل لائق بحضرته سوى انه يطوف الارض قرية قرية ويستنفر الناس من هنا وهنا ثم يهوي بهم اجمعين الى الأديرة والكنائس فيتسلق جدرانها ويعلو ابراجها واعلى ذراها ويتسور محاريبها ويدخل في قدس الاقداس ويطأ كل نُصُب عليه ايقونة المسيح المصلوب ويحطم كل ما تصل اليه يده من قضبان الصليب ويتلبب هو والبطاركة والاساقفة والقسان وعباد الثالوث وارباب النياشين ويتحرش بكل من يحمل على صدره عوذة الصليب المقدس ويناوشهم ويشتبك معهم في صراع عنيف حتى ينزع عنهم بقوة ساعده الأوسمة الصليبيّة ويقصفها قصفاً ، ويأخذ معه كوكبة من الفرسان والرمح في يده وسلاقيّة الكلاب من حوله ثم يهبط في الوديان ويتوغل في الغابات والآجام — يستفزّ هنالك الخنازير من مكامنها ويهارش

الكلاب عليها و يطاردها حتى يعجزها و يصرعها — فواهاً لهذا الاعجاز الذي ينزل لاجله من علياء السماء بعد التي و اللتيا و بعـد ممارسة فن الصيد كل هذاك الدهر الطويل وطوبى لصيادي الخنازير وأكلة لحمها وتجارها انهم لفي ربح كبير وحظ عظيم من نزوله ذاك ! هـذا اذا حملنا القتل على القتل بالسنان والسكاكين وحملنا الخنزير على ذوات الفناطيس و كسر الصليب على كسر الصليب الحديدي ولا اظن ذا عقل سليم ذاهباً الى هذه المعاني على سخافتها وعلى علم منه بان للكلمات أوجه الاستعمال من مجاز واستعارة و كناية الى غير ذلك من صور البيـان وبان عالم الرؤيا والكشف له كيفيات واحوال مخصوصة تحتاج الى تعبير مناسب وبانّ انباء الغيب لا ينبغي للانسان ان يتمسك فيها بظاهر الكلمات دائماً ابداً او يصرّ على ما بدا له من
الملوك ٢ : ٢ مجرّد الفاظها قبل وقوعها فانه مظنّة الزلة والضلالة .(*)

ولقد علمتم ان اليهود ضلوا الصراط السويّ ولا يزالون في ضلالهم

(*) الحاشية : من يريد مزيد الاطمئنان فليراجع معنى يكسر الصليب بكونه يبطل دين النصرانية بالبرهان في الصحيفة ٤٩٩ والصحيفة ٢٢١ والصحيفة ٥٨٤ من الجزء الخامس من القسطلاني ومن مرقاة المفاتيح و يقول العلاّمة بدر الدين الحنفي العيني في الصحيفة ٥٨٤ من الجزء الخامس من شرح البخاري في كتاب البيوع منه ما حرفه : قلت فُتح لي هنا معنى من الفيض الالهي وهو ان المراد من كسر الصليب اظهار كذب النصارى حيث ادّعوا ان اليهود صلبوا عيسى عليه الصلاة والسلام على خشبة . وقال الطيبي يريـد بقوله يكسر الصليب ابطال النصرانية والحكم بشرع الاسلام .

يخبطون اذ وجدوا في كتبهم الرواية « فصعد ايليا في العاصفة الى السماء » فحملوا النبأ النائل » هأنذا ارسل ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم » على ظاهر الالفاظ فظنوا انه لا يزال في السماء حياً بعجره وبجره وانه سوف ينزل منها قبيل بعثة المسيّا وقد جاء هذا المسيّا في اوانه ومضى ثم اتى بعده البارقليط العربي وخلا كما خلت من قبله الرسل ولكن ايلياء في زعمهم لمّا يبرح مقعده في السماء حتى
١ : ٢٣ الحين وما اقنعهم اذ قال لهم يوحنا انا صوت صارخ في البرية قدّموا
٥ : طريق الرب ولا ازال من خاجان قلوبهم من شيء اذ قال لهم المسيح
٣ : ١٣ « ليس احدٌ صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابنُ الانسان
٢٦ الذي هو في السماء ... ماذا خرجتم لتنظروا أنبياً . نعم اقول لكم وأفضل من نبي هذا هو الذي كُتب عنه ها انا ارسل امام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك لاني اقول لكم انه بين المولودين من النساء ليس نبي اعظم من يوحنا المُعمدان » (اي يحيى ابن زكريا) . لا ولا كفهم عن غيّهم الانتظار العقيم طول هذا الزمن المديد ولم يكن كل ذلك الا لانهم اعرضوا عن لباب القول ورضوا منه بالقشور ظناً منهم انها هي الحق والحقيقة فمن اجل ذلك قُضي عليهم بالحرمان الابدي من بركات النبوة وملكوت الله . وانه لعمري احدى العِبر العظام للذين وقفوا موقفاً كموقف اليهود عيناً في النبأين المتماثلين نبأ نزول ابن مريم ونبأ نزول ايليا — فظنوا كظنهم ان ابن مريم المتوفي المرفوع ينزل من السماء في آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير

ولو انهم أمعنوا النظر قليلاً وتدبروا الالفاظ لأبصروا من سياق الكلام ان ابن مريم اسم مستعار للموعود دلالة على مماثلة تامّة بينه وبين ابن مريم من حيث الفطرة والاخلاق والاغراض كما استعير الكسر والصليب دلالةً على ابطال الديانة المسيحية بقوة البراهين وقمع فتنتها وكسر شرّتها وكما استعير القتل والخنزير دلالة على قهر الامم الفاسدة الاطوار المنتنة الاخلاق واستئصالها عن شأفتها · فكما لا يمنعنا شيء ان نحمل الكسر والصليب والقتل والخنزير على غير ما وضعت له هذه الالفاظ قصد التشبيه بمعناها كذلك لا يمنعنا ان نقول ان المراد من نزول ابن مريم بعثة رجل تواطئ اخلاقُه اخلاقَه وتكون مبادئه واغراضه كمبادئه واغراضه في اصلاح امةٍ قيل لها على لسان رسولها لتتبعنّ أمماً من قبلكم شبرا بشبر وطباق النعل بالنعل حتى انه لو دخل احدهم جحر ضب لدخلتموه ·

ولعلّ اللفظ النزول يريب احداً فيصدّه عن قبول التأويل المذكور فاقول لا بأسَ به فان الحجر والحديد واللباس والريش والابل والخيل والبقر والنعاج قد نزلت ولا تزال تنزل من السماء اذ تنشأ في بطون الامهات وفي بطون المعادن والكنافج كما يقول الله عز وجل شأنه في كتابه الحكيم انزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس (الحديد ٤ : ٦) وقد انزلنا اليكم لباساً يواري سوأتكم وريشاً (الاعراف ٣ : ١) وخلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق في

ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الاّ هو فانّى تصرفون. (الزمر ١ : ٦) وينزل منه كل شيء فضلاً ورحمة كما يقول سبحانه وان من شيء الاّ عندنا خزائنه وما ننزّله الا بقدر معلوم - (الحجر ٢ : ٦) وقد نزل من السماء سيّدنا الرسول العربي في بقعة مباركة من ارض الحجاز كما يقول سبحانه قد انزل الله اليكم ذكراً رسولاً يتلو عليكم آيات الله بيّنات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور (الطلاق ٢ : ١١) واقول كما قال العبد الصالح المسيح ابن مريم لليهود اذ جادلوه على غير حق ان ليس احد صعد الى السماء الاّ الذي نزل من السماء - ابن الانسان الذي هو في السماء. (يوحنا ٣ : ٥) ولم ينزل من السماء لا المسيح ولا النبي العربي (عليهما صلوات الله) ولا غيرهما ولا صعد اليها قط احد بجثمانه وانما هي استعارة ذهب على البيهقي وامثاله معناها ومغزاها ولم ينتبهوا الى ان كلمة النزول قد تستعمل احياناً للدلالة على كون الشيء النازل او المنزّل نعمة من نعم الله تعالى يمنّ بها على عباده كما ان كلمة الخروج تستعمل للدلالة على ان الشيء الخارج او المخرج فتنة للناس يبتلي الله بها الناس على سوء افعالهم كما يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلّمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون (النمل ٦ : ١٥) وكما قيل في الحديث النبوي عن ظهور المسيح الدجال ان يخرجّ وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرء حجيج نفسه (راجع مسلم) وقيل حكاية عنه

يوشك ان يوءذن لي في الخروج . فالخروج والنزول لفظان متقابلان معنى ومرادا استعمل الاول لمّا اريد النسبة الى الله سبحانه لما فيه من موجبات رحمته وبركته . لذلك لا يُوهمنّ نباء (كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير الخ فان كل فقرة من فقراته بيان حقيقة مخفية غامضة على سبيل الاستعارة ليس الاّ . انزعوا عنها صبغة الاستعارة وفسّروها بظاهر الدلالة ثم انظروا الى ما يتدحرج اليه النبأ كله من علو المعقولات الى قرارة الخزعبلات وان كيف يتنازع القرآن والحديث ويتقاطعان بعضها عن بعض ولا يتفقان ابداً الاّ اذا جعلنا النبأ المذكور من قبيل الاستعارات وجئنا به طائعاً لمقتضى الآيات البيّنات .

رأى البخاري الاكبر الله في المسيح السلام

ولقد أفصح الامام البخاري عن معتقده في نزول ابن مريم اذ اتى في الختام برواية ابي هريرة القائلة « وامامكم منكم » المعارضة لروايته الثانية المروية من سعيد ابن المسيّب سماعاً وزاد في الافصاح والبيان اذ أماط الغشاء عن معنى التوفي في كتاب التفسير خاصة وفي كتاب الانبياء وغيره ايضاً بمستندات قوية موثوقة وقضى على عدم رجوع احد من البشر اذ روى قول ابي بكر (رضي الله عنه) عند وفاة النبي صلعم (والله لا يجمع الله عليك موتتين لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت احد من الانبياء (راجع في كتاب المغازي باب مرض النبي) وثبت نوعاً من واشجة رحم بين نبي وآخر اذ روى الحديث انا اولى الناس بابن مريم والانبياء اولاد علاّت كتاب المغازي)

وفوق هذا جعل شخصية المسيح النازل بائنة مستقلة كل الاستقلال اذ فرّق بين حلية المسيح ابن مريم الساكن الجنان مع رفاقه يوسف وادريس وهارون ويعقوب واسمعيل وبيّن حلية المسيح الموعود القاتل الدجّال الامام المسلم ولم يتفرد الامام البخاري في ما اعتقد به في نزوله بل كان على اعتقاده بعض من كبار الشيوخ من العلماء الاصفياء كمثل الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي فانه يقول عن نزول ابن مريم « ولما كان مرجعه الى مقرّه الاصلي ولم يصل الى الكمال الحقيقي وجب نزوله في آخر الزمان بتعلّقه ببدن آخر » راجع تفسيره للآية بل رفعه الله اليه بهامش عرائس البيان الصحيفة ٢٦٢ من الجزء الاول . وكذلك يقول في الآية بل رفعه الله « رفع عيسى اتصال روحه عند المفارقة عن العالم السفلي بالعالم العلويّ كما كان رفع خاتم النبيّين عند المعراج . قالت عائشة رضي الله عنها لم نفقد بدنه وانما عرج بروحه تلك الليلة . راجع تفسير ابن كثير عند الآية واذا اخذ الله ميثاق النبيّين الخ وراجع في البخاري رواية انس بن مالك رضي الله عنه ومثله في الكتاب المسمى اقتباس الانوار للشيخ محمد اكرم الصابري فانه يقول « وبعضي برآنند كه روح عيسى درمهدي بروز كنند ونزول عبارت ازين بروزاست » اي ان البعض يرون ان روح عيسى يحلّ في المهدي ونزوله عبارة عن

(*) اذكر القراء ههنا رأي حسن رضي الله عنه في صعود المسيح عليه السلام الروحاني المذكور قبلاً

بروزه هذا . راجع الصحيفة ٥٢ منه وفي ابن ماجه الجزء الثاني ان لا مهدي الا عيسى (راجع الصحيفة ٢٥٧ منه) وبمعناه في مسند الامام احمد بن حنبل .... يوشك من عاش منكم ان يلقى عيسى ابن مريم اماماً مهدياً وحكماً عدلاً (راجع في الجزء الثاني الصحيفة ٤١١) .

المسيح
المهدي
شخص

ثم اذا تبصرت في حلية المسيح الموعود وحليـة المهدي المعهود وما ينسب اليهما من حالة النزول والمزايا والمهام التي يتّسمان ويقومان بها عند البعثة تتيقن لا محالة انهما يشخّصان باوصافهما الواحدة ذاتاً واحدة ويظهر لك جلياً من النظر الى هذه الوحدة انهما لم يلقبا بالمسيح وبالمهدي لكونهما شخصين مختلفين بل وانما هما فرد واحد يجمع في ذاته وظيفتين مختلفتين نوعاً وأهمية — وظيفة الاصلاح في المسلمين ووظيفة المقاومة لفتنة الديانة المسيحية وارشاد المسيحيين الى الاسلام لذلك فالموعود يسمى المهدي باعتبار حالة المسلمين ولانـه يصلح شوؤنهم ويكون بينهم حكماً يحسم اختلافاتهم بالقول الحق بعد ان يكون قد تلقى الهداية من لدن الله العليم رأساً بـلا واسطة ويسمى المسيح لمقاومته فتنة الدجال وكسره الصليب بالمعنى المـذكور آنفاً ولانه يكون حاصلا بين المسلمين على ذلك المقام الرفيع الذي حصّله المسيح ابن مريم بين اليهود وهاك وجوه الواحدة نشار اليها فيمايلي :—

وحدة الحلية

المسيح الموعود: فاذا رجل كأحسن ما يرى من ادم الرجال (البخاري) .

المهدي الموعود : آدم ضرب (حسين) من الرجال (نعيم بن حمّاد)

٢

وحدة اللبسة عند النزول والبعثة

المسيح الموعود : ينزل بين مهزودتين (مسلم · ترمذي) المهدي المعهود : عليه عبأتان قطوانتان كانه من رجال بني اسرائيل (ابو داؤد)

٣

وحدة المزيّة

المسيح الموعود : ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً (بخاري) المهدي المعهود : يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً (اكمال الدين الصحيفة ٣١٧)

٤

وحدة العمل

المسيح الموعود : امامكم منكم ··· يفيض المال (المسلم) المهدي المعهود : يقسم المال و يعمل بسنّة نبيهم (ابو داؤد)

ان هذه الوحدة لتؤيد الحديث القائل لا مهدي الا عيسى ورواية الامام احمد بن حنبل القائلة يوشك من عاش منكم ان يلقي عيسى ابن مريم اماماً مهدياً وحكماً عدلاً وتكشف المراد عن حديث البخاري وامامكم منكم كما تؤيد قول من قال ان روح عيسى يحل في المهدي وان نزوله الموعود ان هو الاّ عبارة عن النزول

الروحاني البروزي بمعنى أن رجلاً من المسلمين يتشرّف بالمعراج الروحاني الذي حصل عليه المسيح ابن مريم ويستوعب في شخصيته شأن المهدوية وشأن العيسوية معاً فينتدب للاصلاح في المسلمين وفي النصارى . وذلك ما يرمى اليه وحدة الوصف الوارد في المسيح الموعود وفي المهدي المعهود على اختلاف مصادره واسانيده . هذا اذا غضّينا البصر عن الشيء الكثير من الروايات الضعيفة والاكاذيب الموبقة التي اختلقها اشياع المهديين تأييداً لدعوتهم التي ازاح اللثام عن وجهها المؤرخون الثقات كامثال ابن خلدون (رحمهم الله)

واجماع القول في الفاظ احمد المسيح الموعود (عليه الصلاة والسلام) حيث يذكر حقيقة المراد من النزول المذكور في صحف الأولين « ان للانبياء الذين ارتحلوا الى حظيرة القدس تدلّيات الى الارض في كل برهة من الزمان يهيج الله تقاربها فيها فاذا جاء وقت التدلّي صرف الله اعينهم الى الدنيا فيجدون فيها فساداً وظلماً ويرون الارض قد ملئت شراً وزوراً وشركاً وكفراً فاذا ظهر لاحدهم ان تلك الشرور والمفاسد من بغي امّته يضطر روحه اضطراراً شديداً ويدعو الله ان ينزله على الارض ليهيء لهم من وعظه رشداً . فيخلق له الله نائباً يشابهه في جوهره ويُنزل روحه بتنزيل انعكاسي على وجود ذلك النائب ويرث النائب اسمه وعلمه فيعمل على وفق ارادته عملاً . فهذا هو المراد من نزول ايلياء في كتب الاولين ونزول عيسى عليه السلام وظهور نبيّنا محمد صلى الله عليه السلام في المهدي خلقاً وسيرة وما من

محدّث الاّ وله نصيب من تدلّيات الانبياء قليلاً كان او كثيراً ومن تجرّد عن وسخ التعصبات فلا يتردد في هذا ويجد السنّة والكتاب مبينين لها . » المقتبس من الكتاب آئينة كمالات الاسلام ، راجع الصحيفة ٤٣٩ ومما يقول هو في شأن النزول المشار اليه « وان له عباداً من الاولياء يسمّون في السماء تسمية الانبياء بما كانوا يشابهونهم في جوهرهم وطبعهم وبما كانوا يأخذون نوراً من انوارهم وكانوا على خلقهم مخلوقين . فيجعلهم الله وارثهم ويدعوهم باسماء مورثيهم وكذلك يفعل وهو خير الفاعلين وللارواح مناسبات بالارواح لا تدري دقائقها فالذين تناسبوا يعدّون كنفس واحدة ويطلق اسماء بعضهم على بعض وكذلك جرت سنة الله وذلك امر لا يخفى على العارفين . ان الله وتر يحب الوتر ولاجل ذلك قد استمرت سنته انه يرسل بعض الاولياء على قدم بعض الانبياء فمن بُعث على قدم نبيّ يسمى في الملاء الأعلى باسم ذلك النبي وينزل الله عليه سر روحه وحقيقة جوهره وصفاء سيرته وشان شمائله ويوحّد جوهره بجوهره وطبيعته بطبيعته واسمه باسمه ويجعل ارادته في ارادته وتوجهاته في توجهاته واغراضه في اغراضه ويجعلها كالمرايا المتقابلة في الانارة والاستضاءة كانهما شيء واحد وذلك سرّ التوحيد في ارواح الطيبين فهذا هو السرّ الذي سمّاني الله برعايته المسيح الموعود فتفكّروا في السر ولا تكونوا من المستعجلين . ما كان الله ان يرسل نبياً بعد نبيّنا خاتم النبيين وما كان ان يحدث سلسلة النبوة ثانياً بعد انقطاعها وينسخ بعض

احكام القرآن ويزيد عليها ويخلف وعده وينسى اكماله الفرقان ويحدث الفتن في الدين المتين . ألا تقرؤن في احاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ان المسيح يكون احداً من امته ويتبع جميع احكام ملته ويصلي مع المصلين . وقد ملئ القرآن من آيات تشهد كلها على ان المسيح ابن مريم قد توفي ولحق باخوانه ابراهيم وموسى واخبر بوفاته رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أصدق المخبرين .» (الصحيفة ٣٧٥ من آئينه كمالات الاسلام .)

ولقد سبقت فقلت ان نزول المسيح فرع لصعوده الذي اذا ثبت انه روحاني غير جسماني حصل له بعد وفاته كرفع جميع الانبياء عليهم السلام فلا شك هنالك البتة ان النزول ايضاً يكون روحانياً من قبيل الصعود وقد برهنت فيما ادليت من الحجج وآثار السلف الصالح على انه هو المراد من نزوله وهاكم في الختام شهادة الله عز وجل في امكان التمثيل الروحاني المذكور في قوله تعالى وَضَرَبَ اللهُ مثلاً للّذينَ آمنوا امراءة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظلين . ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمة ربها وكتبه وكانت من القانتين (التحريم : ٥) وانّ هذا المثل الآ تصريح في درجات ثلاث يحتازها المؤمن في اثناء سعيه للبلوغ الى منتهى الرقي الروحاني — الدرجة الاولى هي غلبة النفس الامّارة مع مالها من النزوع الخفي الى النجاة والدرجة الثانية نجاتها من ظلمات الطبيعة

نزول ا
امر رو

واتقالها الى النفس الطاهرة المريميَّة والدرجة الثالثة هي مقام العيسوية اذ ينفخ في الانسان روح القدس وينال بغيته من الوصال الرباني واليه قد اشار الله عز وجل في قوله ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدّون وقالوا آلهتنا خير ام هو · ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون — ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلقون · (الزخرف ٦ : ١) وهذه هي نكتة الاستخلاف وتلك هي حكمة المماثلة الروحانية اللتان غابتا عن اذهان المفسرين وغيرهم فزعموا ان المسيح الموعود نزوله هو المسيح الاسرائيلي ذاته وعينه وما شعروا انهم بزعمهم هذا نابذون محكمات الكتاب وراء ظهورهم متخذين الروايات المضطربة المتعارضة والمتشابهات من الانباء معوّلاً للاعتقاد بصعود المسيح ونزوله · يقول خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام في المماثلة الروحانية: علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل كما يقول الله عز وجل في سنة الاستخلاف وَعدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعَملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الارض كما استخلَفَ الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهمُ الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم من بعد خوفهم امناً · يعبُدُونني لاَ يشركون بي شيئاً · ومن كَفر بعد ذلك فأُولئك همُ الفاسقون · (النور ٧ : ٥) ونعلم على يقين انه لم يُستخلف في بني اسرائيل او غيرهم احد من الانبياء المتقدمين بان يكون قد أُنزل من السماء وبدأَ الحياة الارضية عن جديد وقاسى العذاب في سبيل التمكين لدينه والاصلاح لامته — كلا لم ينزل احد

منهم حتى ولا ايلياس النبي الذي لا يزال اليهود ينتظرون عبثاً هبوطه من السماء طبقاً للنبأ القائل هانذا ارسل اليكم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف فيرد" قلب الآباء على الابناء وقلب الابناء على آباءهم لئلا اتي واضرب الارض بلعن (ملاخي ٤ : ٥) ولقد جاء ايليا هذا (متى ١٧ : ١١) ولكن لا كما زعم اليهود بل كما اوّل المسيح النباء وحمله على المماثلة الروحانية المتحققة بين ايلياس ويحيى عليهما السلام كذلك كانت سنة الله في الاولين وكذلك هي في الآخرين ولن تجدوا لسنة الله تبديلاً ٠

انباء وماهر الاجماع

ولقائل ان يقول ان ما ذهبنا اليه من حمل النباء المذكور على المعنى المجازي هو مناقض للاجماع الامة باسرها فأقول في الجواب ان الاجماع لا يجوز ولا يصح في الامور التي هي من قبيل انباء الغيب والتي لا تزال في بطن المستقبل لا يعلم الا الله ماذا تأويلها وذلك لانها تحتمل وجوه التعبير بما تشتمل عليه من الاستعارات والكنايات فليس من الضروري دائماً ان يستطاع البت في تعيين المراد منها قبل وقوعها كما ليس بمتحتم دائماً ان يقع النباء لا محالة كما أوّله العابرون اعتماداً على ظواهر الالفاظ او غيرها وناهيكم في انباء خاتم النبيين افضل الرسل (صلوات الله عليه وبركاته) ما من شأنه ان يقنعكم بان الاجماع على تأويل النباء قبل تحققه في حيز الحدوث شيء يقال وليس له من حقيقة البتة وان الجزم بتأويل دون آخر قبل وقوع النباء لا يخلو من فتنة يفتتن بها الناس وان" الأولى والأحكم ان يُؤمن به ايماناً مجملاً من دون ان

ينقب عن تفاصيله رجماً بالغيب — عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أُريتك في المنام مرّتين ارى انك في سرقة من حرير ويقول هذه امرأتك فاكشف عنها فاذا هي انت فاقول ان يك هذا من عند الله يُمضه . (كتاب المناقب : البخاري) وعن ابي موسى اراه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت في المنام اني اهاجر من مكّة الى ارض بها نخل فذهب وهلي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب (كنز العمال الجزء ٨ : ٣٧) وعن سالم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بابن صيّاد في نفر من اصحابه منهم عمر بن الخطاب وهو يلعب مع الغلمان عند اطم بني مغالة ..... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسأ فلن تعدو قدرك قال عمر يا رسول الله ائذن لي فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يك حقاً فلن تُسلّط عليه وان لا يك فلا خير لك في قتله قال عبد الرزاق نعني الدجال . (الترمذي) وعن عائشة رضي الله عنها ان بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن للنبي صلى الله عليه وسلم أيّنا أسرع بك لحوقاً قال اطولكنّ يداً فاخذوا قصبة يذرعونها فكانت سودة أطولهن يداً . « واتفق اهل السير على انّ زينب اول من مات من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وقال الزين بن المنير ان لما كان السؤال عن احوال مقدّرة لا تعلم الا بالوحي اجابهن بلفظ غير صريح واحالهن على ما لا يتبين الا بآخره وساغ ذلك لكونه ليس من الاحكام التكليفية ومن حمل الكلام على ظاهره وحقيقته لم يُلم وان كان مراد المتكلم

مجازه لان نسوة النبي صلى الله عليه وسلم حملن طول اليد على الحقيقة فلم ينكر (صلعم) عليهنّ ، وقال المهلّب في الحديث دلالة على ان الحكم للمعاني لا للالفاظ لان النسوة فهمن من طول اليد الجارحة وانما المراد بالطول كثرة الصدقة (فتح الباري الجزء الثالث · الباب صدقة السرّ:)

فهذه نتفة من كثير من انباء الغيب جئنا بها ههنا تأييداً لما قدّمناه من ان الاجماع لا يكون فيما يتعلق بالامور الملتبسة بوجوه المعاني المحتملة لشتّى التأويلات . ولقد أجمع ائمة الاحاديث على نزول ابن مريم وكسره الصليب وقتله الخنزير باعتبار النبأ وظاهر الألفاظ وقد آمنوا به ايماناً بالغيب وهذا الاجماع على قدره وفي محله ولكنه يسقط من حيث هو الاجماع اذا ما تعدّى ظاهر الالفاظ الى ماوراءه من التأويلات اذ ما ينبغي للانسان ان يتحكّم في الغيب برأيه الفيّل ولا هو بممكن له ان يصيب فيه دائماً اذا ما تجرّأ على الاستطلاع منه بظنونه الواهية . ليس العرفان الحق ايها العلماء بالتفيهق والتحدّس ولكن العرفان من تأدّب في سلوكه تأدّب افضل الرسل خاتم النبيين عليه صلوات الله وسلامه . كان حضرته — على كبير معرفته وبعد نظره وعظم قداسته اذا ما اطّلع على الغيب — يقول ان يك حقاً فلن تسلّط عليه وان يك هذا من عند الله يمضه ، لم يكن ذلك منه الاّ علماً بان الاحاطة بالغيب فوق طاقة البشر وان الانباء لها وجوه شتى من التعابير وان التحكّم في تأويلها قبل وقوعها خلاف اللياقة ومن سوء التأدب . واني لا اقول ان ائمة الاحاديث والعلماء الاصفياء تدخّلوا

فيما لا يعنيهم واساءوا بذلك التأدب . حاشا وكلاًّ . وانما اقول انهم اجمعوا على الايمان بظاهر الالفاظ فقط . وعرفوا انه نبأ من انباء الرسول لا بد ان يحق يوماً واقول انه اذا ما دنى احد منهم الى تأويله دنى اليه بكل حذر ورعاية كما فعل الامام الجليل محمد ابن اسمعيل البخاري رحمة الله عليه وانهم لم يجمعوا على تأويله بالبت قط وما كان لهم ان يتجاسروا على ما لم يجسر على مثله الرسل . وبين الاجماع على الايمان بالنبأ ايماناً مجملاً والاجماع على تأويله تأويلاً معيَّناً مفصلاً ما بينهما! الايمان الايمان على كل حال لا يفوت ثوابه والتأويل التأويل لا يسبق أوانه .

اعود الى السوءال الذي سقت لاجله الكلام واقول لا غرابة البتة في ان تذهب على الناس هذه النكتة وتخفى عنهم تلك الحقيقة اى حقيقة صعود المسيح ونزوله ويدركها قوم من الهنود الاعجام بعد ثلاثة عشرة قرناً مضين كما لم يكن غريباً ان يذهل عن حقيقة نزول ايلياء النبي وصعوده الاحبار والرهابين وينتبه لها ابن مريم امرأة يوسف النجار في كوخه الحقير . ليس الفضل في القلانس والعمائم وانما الفضل بيد الله يوءتيه من يشاء والله واسع عليم

***

الفصل الثالث

لنبحث الموضوع الآن من وجهته التاريخية ونسأل اين ذهب المسيح عليه السلام بعد نجاته من الصليب وماذا فعل ? هذا سوءال من اعوص الاسئلة يحار في حله العقل ويضل السبيل ان لم يستضىء بنور الوحي الرباني · ولقد زعم النصارى واقعة الصليب وصعوده خاتمة حياته الارضية وطوى العهد العتيق بالاتفاق معهم حديثه لأبد الدهر وجعل المسيحيون والمسلمون كلهم اجمعون يندبون حظهم الأنكد من تريثه في علياء السماء وملّوا تربّصه هنالك حتى بدأوا يستشعرون من انفسهم القنوط واخذوا يتساءلون بعضهم بعضاً متى (*) نزوله يا ترى ? وبينما نحن لكذلك اذ بمنادٍ من اقصى الشرق من جانب الهند يقول ان مصلوب اليهودية الذي تفتشونه في اطباق السماء راقد في ارض كشمير رقوداً ابدياً بعد استيفائه أجله المحتوم واما

(*) راجع في ذلك الكتاب The Harp of God (عود الاله) لموءلفه جي ايف رثر فورد حيث يعين بعثة المسيح الثانية في سنة ١٨٧٤ بناءً على نبأ دانيال القائل « طوبى لمن ينتظر و يبلغ الى الالف والثلاثمئة والخمسة والثلاثين يوماً (١٢ : ١٢) ومن عجيب التصادف ان اول وحي تلقاه احمد المسيح الموعود عليه الصلاة كان في سنة ١٨٧٥ ب · م — وكذلك طالع الكتاب His glorious Appearance (ظهوره الجلالي) وراجع الصحيفة ١٥ والصحيفة 1 من الكتاب Christ's Second Comming The Comming of the Lord فجميع هذه الكتب تقول بتحقق علامات بعثة المسيح الثانية كلها واقتراب ساعة نزوله

الموعود الذي تنتظرونه فهو هاأناذا — ان دعوة احمد المسيح الموعود عليه الصلاة هذه هي التي في الحقيقة نبَّهت اذهاننا وبعثت فينا الشعور بضرورة الاستطلاع والتحقيق في مطاوي الكتب ورقيم العهد القديم وحوّلت قبلة انظارنا من قبة السماء الى « ربوةٍ ذات قرارٍ ومعين » وجعلتنا نبحث في بقية الآثار من حياة المسيح عليه السلام « على سطح الارض » لذلك فالفضل راجع الى صاحب الوحي لاالى ارباب العقول . كذلك ولم يكن الاستقصاء منّا لحياته وموته عليه السلام صدفة كاستقصاء الأثريين بل كان بدايته على وحي وعلم من الله وايمان وبصيرة فوق ايمان الناس وبصائرهم . هذه هي حقيقة يجب ان ندوّنها كمقدّمةٍ لتاريخ عظيم ونضن بحفظها قبل كل شيء لئلا تفعل بها يد الانتحال كما فعلت بغيرها من الحقائق .

مما لا ريب فيه انه يوجد فريق من علماء اوربا المسيحيين يستغربون وقوع موت المسيح على الصليب في بضع ساعات ويميلون الى الرأي بنجاته منه بل ويحكمون في رجوعه الى الحياة الحكم الجازم ولكنهم يقفون عند هذا الحد حيارى ولا يهتدون الى اين ذهب المسيح بعد تلك النجاة ولا يجدون الى اقتفاء اثره من سبيل .

يقول المؤرخ ستراس (Strauss) في كتابه حياة المسيح (Life of Jesus) ما يأتي : —

Rationalism has principally given its adhesion to the former opinion (i.e. Jesus was not realy dead). The short time that Jesus hung on the Cross, together with the otherwise ascertained tardiness of death by crucifixion, and the uncertain nat-

ur ı fects of the wound from the spear, appeared to render the reality of death doubtful. That the agents in crucifixion, as well as the desciples themselves, entertained no such doubts, would be explained not only by thegeneral difficulty of distingui shing deep swoons and the rigidity of syncope from real death,but also from the low state of medical science in that age,while at least one example of the restoration of a crucified person appeared to render conceivable a resuscination in the case of Jesus also. This example is found in Josephus, who informs us that of three crucified acquaintainces whose release he begged from Titus, two died after being taken down from the cross, but one survived: (Joseph. Vita 750) ....

Accrding to a certain opinion, however these two conditions—some remains of conscious life, and careful medical treatment--were not wanting in the case of Jesus. page 737 .

اي ان مذهب المعقول قد تمسك مبدئياً بالرأي الاول (يعني ان المسيح لم يكن ميتاً) . فان الزمن القصير الذي عُلّق فيه المسيح على الصليب مع ما يرافق الصلب من بطوء الموت المتحقق ونوعية الجرح الذي حصل (في جنبه) بالحربة وما اتبعه من الآثار — كل ذلك يجعل وقعة الموت مشتبهة فيما يظهر — أما أنّ المأمورين الموكلين بامر الصلب والتلامذة لم تخالجهم مثل هذه الشكوك (في موته) فهذا يعلل — لا فقط بالصعوبة في تمييز الموت الحقيقي عن الاغماآت العميقة والتوتر الشديد في مرض السكتة — بل وكذلك بما كان عليه علم الطب من ادنى حالة في ذلك العهد ، كما ان مثالاً واحداً من رجوع المصلوب الى الحياة يكفي ان يُثبت امكان الانتعاش في حادثة المسيح كونه امراً معقولاً . وهذا المثال يوجد في تاريخ) يوسيفاس الذي يخبرنا ان الاثنين من معارفه الثلاثة

المصلوبين الذين كان التمس من طيطاوس (القيصر الروماني) الاطلاق عن وثاقهم — ماتا بعد انزالهم من الصليب ولكن الواحـد منهم انتعش وبقي حياً .... وعلى كل فان هذين الشرطين اي بقاء رمق الحياة الواعية والاهتمام في المداواة كليهما لم يكن مفقوداً في واقعـة المسيح » الصحيفة ٧٣٧ . ويذكر في الصحيفة ٤١٠ منه اراء المحققين الالمانيين بقوله :

Crucifiction, they maintain, even if the feet as well as the hands are supposed to have been nailed occaisions but very little loss of blood. It kills only very slowly by convulsions produced by the staining of the limbs or by gradual starvation....

اي ان الصلب في رأيهم لا يسبب نزف الدم الاّ قليلاً جداً ولو فرض ان الرجلين كذلك كانتا سمّرتا كما سمّرت اليدان . بناءً عليه فالصلب انما يقتل الانسان لما يحدث من التشنج في العضلات او بالجوع المدقع الخ

ويقول المؤرخ المذكور في الصحيفة ٧٣٠

Hence not only the rationalists, but even orthodox expositors, consider these particulars as a irrefragable proof that the body and life of Jesus after the resurrection must be regarded as remaining still natural and human. This opinion is further supported by the remark that in the state of the risen Jesus there is observable precisely the same progress as might be expected in the gradual, natural cure of a person severely wounded. In the first hour after the resurrection he is obliged to remain in the vicinity of grave;' in the afternoon his strength suffices to a walk to the neighbouring village Emmaus and only later he is able to undertake the more distant journey into Galilee. Then also in the

permission to touch his body, there exists the remarkable gradation-that on the morning of the resurrection Jesus forbids Mary Magdalene to touch him, because his wounded body was as yet too suffering and sensitive; but eight days after he himself invites Thomas to touch his wonnds........ page 731

اي بناءً عليه فليس ارباب المعقول وحدهم بل الشارحون الراسخون في دينهم ايضاً يرون هذه الامور كبرهان لا ينازع فيه (ودليل مسلم) على ان جثة المسيح وحياته بعد القيام — يجب ان تعتبرا — انهما كانتا لا تزلان بشريّة على طبيعتهما الاولى . ان هذا الرأي يؤيده امر آخر وهو اننا نلاحظ في حالة المسيح القائم (من بين الاموات) البرء التدريجي بعينه الذي يجب ان نؤمّله في انسان مجروح شديداً عند معالجته علاجاً طبيعياً على مهل ، فانه في الساعات الاولى من قيامه اضطر ان يبقى بالقرب من ضريحه وبعد الظهر استعاد من القوة كفايته حيث استطاع ان يمشي الى قرية مجاورة اسمها عمواس وبعد ذلك بمدة امكنه ان يباشر سفراً ابعد من ذي قبل في الجليل وكذا يظهر هذا التدرّج في سماحته للناس بلمس بدنه فانه في صبيحة القيام يمنع مريم المجدلية ان تلمس بدنه لان جسمه المجروح كان حينذاك لا يزال متألماً حسّاساً للغاية ولكنه بعد الثمانية ايام يطلب نفسه من توما ان يلمس جروحه . . . وتجد مثله في المعنى في كثير من تواريخ المسيحية — راجع اذا شئت لمزيد اليقين الكتب الآتية : —

Paulus exeg. handle 3, b, s. 834 ff; L. J. l, b. s. 265 ff; Hase, L. g. s 149. Machaelis, ut sup: 251 f. comp:s. also Neander L. g.

Chr. s. 650; and «The day of the Crucifiction p. 8 Super natural Religion pp. 523 and 875: and see also Modern Vote & Christian Bailif pp. 455-457, where the Auther says «The former of these hypothesis, that of apparent death, was employed by the old rationalists, and more recently by Schleievmacher in his Life of Christ, Schleiermacher's supposition..... that Jesus afterwards lived and then retired into entire solitude for his second death

ونجد في الصحيفة ٥٢٣ من الكتاب سوبر نيشرل ريلجن راي
كفرور بما نصه :—

Gfrorer who maintains the theory of Scheintod with great ability thinks that Jesus had believers amongst the rulers of the Jews who although could not shield him from the opposition against him still hoped to save him from death. Joseph a richman found the means of doing so. He prepared the new sepulchre close to the place of excution to be at hand, begged the body from Pilote. The immense quantity of spices bought by Nicodemus was merely to distract the attention of the Jews. Jesus being quickly carried to the sepulchre was restored to life by their efforts.

He interprets the famous verse John xx:17 «I have not yet ascened to my father » as meaning the act of dying...... He then retires into impenetrable gloom. Das Heiligthumond die Wabrheit pp. 107-231.

جئت بأنموذج من الرأي المسيحي في موت المسيح الصليبي لكي أري جهة الميلان الراجح في طبقة المفكّرين من الكتّاب والمؤرخين المسيحيين . غير انه لم يكن بينهم ولا واحد فكّر يوماً ان يتقصّ آثار المسيح القائم من بين الاموات الغائب المفقود الخبر بعد ذلك القيام . ولئن خطر ببال احد منهم خاطر فلم يكن الخاطر الاّ ضلالاً وخبطاً في فيافي الحيرة والجهل وما اهتدى فذ منهم قط الى مستقره ومستودعه . بل وقد اصبح حياته ووجوده عند البعض

خرافة من خرافات الأقدمين نسج عليها الدهر نسجاً محكماً لا يكاد يتبين منه الحق عن الباطل والكذب عن الصدق وكنا اصبحنا ازاء مسئلة حياة المسيح وموته في حاجة شديدة الى معونة من علاّم الغيوب وكذلك كان اذ نادانا احمد المسيح الموعود وقال « يا معشر الغافلين ! الى مَ تنتظرون عيسى وقد قرب يوم الدين . اتزعمون انه من الاحياء بل هو من الميّتين . واني عارف بقبره فلا تكونوا من الجاهلين . اجتمعوا اليّ اهدكم ان كنتم طالبين . وليس ذنب تحت السماء اكبر من القول بحياة عيسى وكادت السموات ان يتفطرن منه بل هو من الهالكين . والله انه هو الحق واني انبئت من القرآن ثم بوحي ربّ العالمين ومن قال انه حي فقد افترى على الله وخالف قول الكتاب المبين وانكم تنتظرون نزوله من مدة مديدة فاين فيكم قريحة سعيدة انظروا ايها المنتظرون الغالون هل وجدتم ما اردتم وما تطلبون وهل انتم على ثقة من امر تعتقدون وهل اطمأنت عليه قلوبكم ايها المعتقدون بل تنصرون النصارى وتؤيّدون وارتدّ كثير من الناس باقوالكم فلا تتركون هذه الكلم ولا تنتهون ...... وان طلبتم المزيد من البيان فتعالوا اقص عليكم قصته الثابتة عند المسلمين وعند النصارى وليست هي من مسلّمات فرقة فقط دون الاخرى بل امر اتفق عليه كل من كان من أولي النهي وما كان حديثاً يفترى وإنّا رأيناها بنظر اقصى وما زاغ البصر وما طغى . وثبت بثبوت قطعي ان عيسى هاجر الى ملك كشمير بعد ما نجّاه الله من الصليب بفضل كبير

ولبث فيه مدة طويلة حتى مات ولحق الاموات وقبره موجود الى الآن في بلدة « سري نكر » التي هي من اعظم امصار هذه الخطّة وانعقد عليه اجماع سكّان تلك الناحية وتواتر على لسان اهلها انه قبر نبي ابن ملك وكان من بني اسرائيل وكان اسمه يوزآسف فليسألهم من يطلب الدليل . واشتهر بين عامتهم ان اسمه الاصلي « عيسى صاحب (*) » وكان من الانبياء وهاجر الى كشمير في زمان مضى عليه نحو ١٩٠٠ سنة . . . . . . الخ راجع الصحيفة ١٠٦ و ١٠٩ من كتابه الهُدى .

وألّف احمد المسيح عليه الصلاة والسلام كتاباً مفصّلاً في نجاة المسيح من الصليب وهجرته عليه السلام الى ارض كشمير اسمه « مسيح هندوستان مين » وقسم الكتاب الى عشرة ابواب . الباب الاول في الشهادات الانجيلية والباب الثاني في الشهادات المأخوذة من القرآن الشريف والاحاديث النبوية والباب الثالث في الشهادات الطبية والباب الرابع في الشهادات التاريخية والباب الخامس في شهادات التواتر والباب السادس في الشهادات العقلية والباب السابع في شهادة الوحي الرباني الذي تلقاه والباب الثامن فيما يخصّ المقارنة بين التعاليم الاسلامية والتعاليم المسيحية والباب التاسع في ما يتعلق بدعواه ومأموريّته . غير ان هذه الابواب لم تستوف جميعها حسب التقسيم وخلاصة الكتاب الذي بين ايدينا ان حضرته عليه الصلاة والسلام

(*) كلمة صاحب بالمحاورة الهندية مترادف افندي بالتركية

وحض — بناءً على الشهادات الثمانية المذكورة — الاباطيل المنتشرة بين المسيحيين والمسلمين عن حياة المسيح عليه الصلاة والسلام اوائلها واواخرها واثبت بكل جلاء ووضوح ان حضرته نجا من الموت الصليبي وهاجر الى كشمير حيث بلّغ رسالات ربه حتى قضى نحبه وان يوزآسف النبي المدفون في الحارة خان يار بمدينة سري نكر المذكورة هو المسيح الاسرائيلي عينه وذاته لا غير .

طريقة البـ
عن آثار المـ
المفقود ا

وقبل ان استوفى البحث التاريخي الذي نحن بصدده من جميع وجوهه المشار اليها يجب عليّ ان اختطّ للقراء الكرام طريق البحث توسلاً الى المقصود بسهولة . فاقول لا يختلف طريق البحث عن المسيح الغائب المفقود الخبر وطريق البحث عن رجل غاب عن اهله — يُفتّش عنه اوّلاً عند الاقارب والمعارف وذوي العلاقات والذين لهم ادنى المام به او باقربائه واصحابه وقد تساعد على مثل هذا التفتيش نوعية الاسباب التي بعثته على مقاطعة اهليه والفرار منهم كما تساعد على ذلك وجهة قصده وهمّته في الحياة الدنيا فان كان ممن يبغي العلم يكون دار العلم قصده وان كان ممن يريد اصلاح قومه يكون ديار القوم جهة ترحاله ومن لا يعلم ان المسيح عليه السلام كان مأموراً باصلاح قومه بني اسرائيل وكان لم يُرسل الا ليجمع شملهم ويرتق فتقهم ويرأب صدعهم كما اجاب حضرته للصارخة الكنعانية على سؤلتها وقال لها لم أُرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة (متى ١٥ : ٢٤) وكما

اوصى به تلاميذه حين بعثهم برسالة التبليغ قائلاً : الى طريق الامم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالّة (متى ١٠ : ٥) . ويعلم من له المام بتاريخ اليهود ان هاتيك الخراف الضالة انما كانت تلك الشعوب الاسرائيلية التي نكّل بها البابليون والرومانيون افظع تنكيل ونفوهم في اقاصي الارض اسارى مهانين مذللين غاية التذليل . ولما جاء المسيح لم يجد في فلسطين الاّ شعبين من شعوب اسرائيل الاثني العشرة واما الباقون فكانوا في ارض الغربة متفرقين شذر مذر وهم تلك الشعوب التي كان يعنيها المسيح في قوله «الى خراف بيت اسرائيل الضالة»

لذلك فبين هؤلاء الشعوب الاسرائيلية يجب ان نُفتش عن الرسول المعذب المهاجر المنقطعة معالمه عن ارض اليهودية كلها بعد واقعة الصليب وفي اماكنهم ينبغي ان نقص ونكشف اثاره المطوية . اين كانت هذه الشعوب الضالة ؟ يقول المؤرخ الشهير يوسيفاس في الجواب ما تعريبه : —

« لذلك لا يوجد في آسيا واوربا الاّ سبطان من اسباط اليهود تحت سيطرة الرومانيين بينما الاسباط العشرة فيما وراء الفرات حتى الان وهم جموع عظيمة جداً ولا يحصون بالعدد » . ونص العبارة المنقولة كما يلي : —

Wherefore there are but two tribes in Asia and Europe subject to the Romans' while the ten tribes are an immense multitude, and not to be estimated by numbers. See Josephu's whole works by Whiston XI. V. 2.

والشعوب [الاس]رائيلية [ا]لضالة

ومما يذكر المؤرخ المـذكور من مساكنهم ومن المصيبة التي نزلت بهم فابعدتهم عن العراق قوله : —

A very sad calamaty now befell the Jews that were in Mesapotamia and those that dwelt in Babylonia......., there was also the city Nisbis, situated on the same current of the river............ Now the whole nation of the Jews were in fear both of the Babylonians and of the Seleucians, because all the Syrians that live in those places agreed with the Seleucians in the war against the Jews; so most of them gathered together and went to Neerda and Nisibis, Book XVIII: Ch 9: paragraph 1 & 8.

وتعريبه ان اليهود الذين كانوا في العراق يسكنون بابل فوجئوا بنكبة فظيعة جداً ...... كانت هناك مدينة نصيبين ايضاً واقعة على نفس المجرى من النهر ..... فكان قوم اليهود اجمعون في خوف من قبل البابليين والسلوقيين وذلك لان جميع السوريين الذين كانوا يقيمون في تلك الاماكن انحازوا الى السلوقيين اثناء الحرب وتألبوا معاً ضد اليهود فاجمع اكثرهم وارتحلوا الى نيريد ونصيبين » . وحدثت هذه الحادثة قبل بعثة المسيح بقليل . يرى مما مرّ ان اليهود كانوا في الجزيرة اولا ثم أجلوا من هنالك وكلما فوجئوا بكارثة من الكوارث ابعدوا في التغرّب نحو الشرق الشمالي وانهم رحلوا من الجزيرة وبابل الى نصيبين والى نيريدا والى ما وراءهما من البلدان

هجرة ارض بعد يهود

ونقرأ في روضة الصفاء من هجرة المسيح عليه السلام من بيت المقدس كما يلي : ذكر مهاجرة عيسى از بيت المقدس وظهور بعض معجزات دوران سفر . چون يهود حضرت نبوي راتكذيب نموده

ازشهر اخراج كردند عيسى بامريم روىٔ براه بنهاند » الصحيفة ١٤٩ وجاء في الصحيفة ١٣٨ منه ذكر رفتن عيسى صلاة الله عليه بناحية نصيبين وزنده شدن سام ابن نوح بدعاى آن حضرت . ارباب اخبار گفته اند كه درزمان عيسى بادشاهى بود در ولايت نصيبين بغايت درجة متكبر وجبار وحضرت نبوي بدعوت او مامورشده متوجه نصيبين گشت وچون بحوالى آن رسيد ..... ملك نصيبين بالشكر وتوابع ورعايا جمله بعيسى ايمان آوردند . . وخلاصة القطعتين المذكورتين ان المسيح عليه السلام هجر بيت المقدس من جراء تكذيب اليهود رسالته وسافر الى نصيبين حيث كان مأموراً ان يذهب ويدعو الناس بدعوة الحق فارى الناس هناك الخوارق والمعجزات فكان من وراءه انه آمن به جموع كثيرة — ويذكر صاحب روضة الصفا انه استصحب معه في سفره هذا امه مريم وثلاثة من حواريه يعقوب وتوما وشمعون — راجع الصحيفة ١٤٦ — ١٤٩ وفيه « وعيسى مهر سكوت بردهان بنهاده باهم طى منازل ومراحل مى نمود » اي ان عيسى طوى المنازل والمراحل وقد كان وضع على فمه خاتم السكوت .

ان الاخبار المندرجة عن المسيح عليه السلام في روضة الصفاء لاريب مختلة الترتيب غير متصلة بعضها ببعض تحتوي شيئاً كثيراً من الخزعبلات واسلوبه خلاف ما يقتضيه شان التاريخ ولا غرابة في ذلك فانه مجموعة روايات متفرقة ولا يهمنا ذلك منه كثيراً فاننا نجد فيه ثلاثة امور لا يمكننا ان نغض البصر عن صحتها واهميتها

بالنظر الى موضوعنا هذا — ألا وهي اولاً هجرة المسيح عند ما كذّبه اليهود وقصدوا قتله (ص ١٤٦) وثانياً رحلته الى نصيبين وثالثاً استصحابه والدته ويعقوب وتوما وشمعون . فان هذه الامور الثلاثة تدلنا على حقائق مؤيّدة بآراء العلماء المنتجة من واقعة الصليب المذكورة في الاناجيل الاربعة اي قيامه من الموت ثم انتقاله خفية من مكان ثم ذهابه الى البلاد التي هاجرت اليها الشعوب الاسرائيلية التي كانت قبلها ساكنة في العراق وبابل والتي ذكر هجرتها المؤرخ الروماني يوسيفاس في تاريخه وكان بالطبع من مقتضى رسالته عليه الصلاة والسلام ان يتوجه الى خراف بيت اسرائيل الضالّة ويجمع شملها المتفرق .

رفقة هجرته

ومما ألفت القراء اليه خصيصاً هو استصحابه توما وتوما هذا هو ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه وقال له عند سفره اذ كان يودع تلاميذه الوداع الاخير «اتبعني» وشمعون الذي ذكره صاحب روضة الصفاء هو في غالب الامر سمعان بطرس الذي قال له إرعَ خرافي وقال له حيث اذهب لا تقدر الآن ان تتبعني ولكنك ستتبعني اخيراً . وهذا كان التمس منه بالحاح وتضرّع زائد ان يأذن له فيصحبه حتى الى السجن والى الموت . واما يعقوب المشار اليه فهو غالباً ابن زبدى فانه احد الثلاث الذين انفرد بهم المسيح دون سواهم في نجوى ليلة همّ بالفرار من يورشليم (متى ٢٦ : ٣٦ مرقس ١٤ : ٣٣) ومهما يكن من نتيجة التحقيق في مرافقة يعقوب وشمعون له في سفره الاخير فانّ توما — مما لا شكّ فيه — استصحبه المسيح في رحلته الاخيرة حباً له

يوحنا ١٥

*

وثقةً به كما يظهر ذلك من رواية الانجيل ومن رواية روضة الصفاء ولا يتصوّر ان المؤخّر الذكر سرد الرواية نقلاً عن الانجيل فان تفاصيل السفر التي اتى بها روضة الصفا تنمّ عن كونها مستقاة من مصادر مستقلة كل الاستقلال عن المصادر الانجيلية . إنّ اتفاق الروايتين المذكورتين على ذكر مرافقة توما لهو حريّ بالنظر فان توما هذا — كما ثبت بالتواتر — وصل الى شمال الهند بعد ان قطع البلاد الفارسية وبلّغ هنالك كلمة الحق وقد علمتم ان جميع التلاميذ مع استاذهم كانوا مأمورين بان لا يذهبوا الاّ الى خراف بيت اسرائيل الضالة جمعاً لشعثهم . فهل نقضوا الميثاق المعهود وتجاوزوا حدّهم المعلوم يا ترى أم هل كانت البلاد الفارسية والاراضي الشمالية من الهند مأهولة بالشعوب الاسرائيلية حتى ذهب من ذهب اليها من الحواريين رعاية للعهد المذكور وهل مرّ توما بالبلاد المذكورة مصحوباً باستاذه ام كان وحده ؟

من ههنا يتفرع بحثنا في السوألين المذكورين بعد التثبت من رحلة توما المشار اليها وعلى جوابهما يتوقف التحقيق في موضوعنا التاريخي الذي نحن بصدده . اما رحلة توما الى غرب الهند الشمالي فهاكم فيما يلي ما يقوله علماء التاريخ المسيحي :

The tradition which attributes to the Apostle Thomas the introduction of Christianity into India is of very ealy date: but, though now more generally credited than that which ascribes it to St. Bartholomew, it derives less support from authentic history.......... Cave takes his account of St. Thomas journeys in the East from Nicephorus, a Greek historian of the 14 th Century and also from the Portuguese"......... See

Christianity in India by Rev. J. Hough Vol. I as well as Eccl. Hist. Lib. III. C. I, Again Rev. J. Hough after good deal, of discussion says:

"While, however, we reject this account as applied to the South of India we admit that there would be much less imbrobability in the tradition if supposed to refer to the Northern provinces bordering on the banks of the Indus. There is no question that the several ancient writers referred to by Asseman, Fabricius and others speak of St. Thomas' travels in a way that proves, at least, the antiquity of the tradition that he visited India......... and he might, without much difficulty, have visited some of the upper provinces of Hindustan. For Parthia was bounded on the East by the river Indus; and it has been shown, in the former chapter, that since the days of Alexander the Great, a constant communication had been maintained with India in this direction, and that the Romans' in the first century of the Christian era, carried on a brisk trade through the same channel.......... Orgen who lived in the 3rd century, says expressly, that this Apostle preached in Parthia, Media, Carmania and Bactriana. Though he does not mention India, yet the last named kingdom was bounded on the East by Indo-Scythia and the country of the Massagetae through which the Indus flowed"........

See page 40—41.

وتعريبه ان الرواية التي تنسب الى توما الرسول تبليغ المسيحية في الهند هي منذ العهد الاول ولكنها — بالرغم عن كونها اكثر اعتباراً عند الناس عامة بالنسبة الى الرواية التي تعزوه الى برثولماوس — أقل تأييداً بالتاريخ المستند ٠٠٠٠٠ وعلى كل فاننا — بينما رفضنا الخبر القائل بذهابه الى الهند الجنوبي — نسلّم بان الرواية تقارب الصحة ان لو قلنا انها تعني الولايات الشمالية المتاخمة لسواحل النهر سنده · لا مريّة في

ان كثيراً من الكتّاب الأقدمين الذين ذكرهم اسامن وفابري سي". اس".
وغيرهما يتكلمون عن رحلات توما القديس بطريق تثبت على الاقل
قدامة الرواية القائلة بزيارته الهند .... وانه بالامكان ان يكون
قد زار من الهند الولايات الشمالية بغير شق النفس . وذلك لان
فارس كان يحدّه شرقاً نهر السند وقد اثبتنا في الفصل السابق
انه منذ عهد اسكندر العظيم ما زالت المواصلات مع الهند من تلك الجهة
معهوداً بها على الدوام وان الرومانيين كانوا في القرن الاول من
التقويم المسيحي — يتعاطون التجارة الرابحة من نفس الطريق.....
ان اورجن (Orgen) — الذي كان في القرن الثالث — يقول
بصراحة ان الرسول المذكور بلّغ الرسالة في فارس وميديا وكرمانية
وبقطريانه نعم انه لا يذكر الهند الا ان المملكة المؤخرة الذكر
(بقطرانيه او باختر) كانت تحدها شرقاً قفقاسيّة الهندية (جبال
هندوكش وبلاد التي يجري خلالها نهر السند » ...... راجع
الصحيفة ٤ — ٤١ وفي تواريخ كليسيا ان توما وبرثولماوس كلاهما
وعظ الناس بالانجيل في البلاد الفارسية والبلاد الهندية، راجع لذلك
تاريخ كليسيا بالانكليزية History of the early church وكذلك
راجع عن رحلة برثولماوس قول المؤرخ الروماني يوسيفاس في تاريخ
كليسيا بالانكليزية c.١٩ ١٠ و v.c. 10 . يُرى من مطالعة تواريخ
المسيحية ان رحلة توما في البلاد الشمالية من القطر الهندي والبلاد

الفارسية مما هو متفق عليه عند المؤرخين القدماء عامة . لذلك نسائل انفسنا لماذا اختار توما وغيره هاتيك البلاد النائية للوعظ والتبليغ يا ترى فان لم تكن البلاد مسكونة بالاقوام الاسرائيلية ؟ — أفليس نقرأ وصيته لتلاميذه الى طريق امم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالة وقوله للمرأة الكنعانية الضارعة اليه لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة؟ فكيف يُتصوّر والحالة هذه ان المسيح نفسه او تلميذاً من تلاميذه كلّف نفسه على غير شيء وعثاء السفر الشاق البعيد في زمن كانت الطرق فيها مخوفة والسياحة فيها قطعة من نار جهنم لا يعقل البتة انهم اغفلوا عن الشعوب الاسرائيلية المتشتة في ارجاء المعمور وذهبوا يلتمسون خلاف الوصية والعهد اصلاح اقوام لا رابطة لهم بهم مطلقاً وكانوا هم يجهلون السنتهم وعوائدهم كل الجهل . يقال انهم لم ينجحوا في اصلاح يهود فلسطين فأيسوا منهم . كذلك ولكنه لا يمنعهم التجربة في الشعوب الاسرائيلية العشرة الضالة التي كان النهوض بهم المقصد الوحيد من بعثة المسيح عليه السلام . اضرب صفحاً عن هذا الاستدلال واقول ان كان التاريخ — على اختلاف مصادره — ناطقاً فيما يذكر ويثبت عن أصلية الاقوام الساكنين في التخوم المتوسطة بين الهند وفارس من جانب الشمال وان كانت الروايات تقول بذهاب توما الى تلك الجهات وان ثبت من بعض الآثار ان المسيح كان استصحب توما في رحلته الاخيرة وانه كان معه حيث

ذهب وبقي في صحبته طول العمر فلا ريب حينئذٍ في اننا قد نجحنا في تحديد دائرة الفحص وعثرنا على مفتاح الحلّ وباب عظيم للتحقيق وهذا الذي اريد ان اعالجه فيما يلي : —

يقول ايج دبليو بيلو (H. W. B e l l e w, C, S . I.) في كتابه المعنون اقوام افغانستان (The Races of Afghanistan)

The traditions of this people refer them to Syria as the country of their residence at the time they were carried away into captiviy by Bukhtanasar (Nebuchadnezzar) and planted as colonists in different parts of Persia and Media. From these positions they at some subsequent period emigrated eastward into the mountainious countries of Gore......... In corroboration of this we have the testimony of the prophet - Esdras to the effect that the ten tribes of Israel found refuge in the country of Arsareth, which is supposed to be identical with th Hazara country of the present day. It is also stated that in the time of the native Schamsahi dynasty, there was a people called Bani Israil living in that country and that some of them were extensively engaged in trade with the countries around."

وتعريبه ان روايات هذا القوم (الافغان) تنسبهم الى بلاد الشام التي كانت موطنهم الاصلي يوم استأسرهم بخت نصر (بنوكدنوزر الملك الكلداني) واسكنهم كالمستعمرين في الاطراف المختلفة من فارس وميديا . ثم من هنا بعد ذلك بزمن هاجروا شرقاً الى بلاد غور الجبلية وعندنا في تأييد هذه الرواية شهادة النبي ادريس القائلة بان اسباط اسرائيل العشرة استاؤوا في ارض ارساره التي يظن انها بلاد هزاره بعينها في يومنا هذا . وقد قيل ايضاً انه كان في عهد شمشاي

(وهي عائلة حاكمة من نفس سكان هذه البلاد) قوم يدعون بني اسرائيل يعيشون في البلاد المذكورة وان بعضهم كانوا يشتغلون بالتجارة الواسعة مع ما حولهم من البلدان » ويقول كولونل (امير اللوا) جي — بى — ماليسن سى — ايس — آئي في كتابه المسمى تاريخ افغانستان ما معناه أنّ فارىار — تبعاً لما يذهب اليه عبدالله خان وغيره من الكتّاب الافغانيين — يميل الى الاعتقاد بان الافاغنة هم الشعوب الاسرائيلية العشرة الضالة . . . . ولنذكر اسم السري وليم جونز المحترم (وهو البحّاثة الشهير) ايضاً في جملة اولئك الكتّاب الذين يرون هذا الرأي ونص العبارة كما يلي : —

"Following Abdullah Khan and other Afghan writers Ferrier is disposed to believe that Afghans represented the lost ten tribes......... Among other Writers concurring in this view may be mentioned the honoured name of Sir William Jones." History of Afghanistan by Colonel G. B. Malleson, C. S. I. A. K. Johnston quotes the following tradition of the Afghan: When Nadir Shah arrived at Peshawar, the chiefs of the tribes of the Yusaf Zais presented him with a Bible written in Hebrew, and several articles that had been used in their ancient worship which they had preserved; those articles were at once recognised by the Jews that followed the camp." Vide Dictionary of Geography.

اي يحكى اى . كي . جوهن سطن رواية الافاغنة الآتية : — لما وصل نادرشاه في بشاور ، قدّم اليه شيوخ العشائر يوسف زىء هدية انجيل مكتوب بالعبرانية و بضع ادوات كانت تستعمل في عبادتهم القديمة وكانت لا تزال محفوظة لديهم الى ذلك الحين . وتلك الادوات قد

عرفها فوراً اولئك اليهود الذين جاؤا في مؤخّرة الجيش، راجع كلمة الافغان في قاموس الجغرافية للمصنّف المذكور .

ويقول هذا الكاتب في نفس القاموس عن النساء الكشميريات انهنّ جميلات في خلق تام وبانف اقنى وسحناء تشبه سحنة اليهود » ونص المنقول كما يأتي :

"Full formed and handsome; with aquiline nose and features resembling the Jewish."

ومما يقول فرانسيس برنيار عن اهالي كشمير :

On entering the Kingdom (Kashmir) after crossing thePire Penjale mountains, the inhabitants in the frontier villages struck me as resembling Jews. Their countenance and manner, and that indescribable peculiarity which enables a traveller to distinguish the inhabitants of different nations all seemed to belong to that ancient people. You are not to ascribe what I say to mere fancy, the Jewish appearance of these villagers having been remaıked by our Jesuit Fathers and by several other Europeans long before I visited Kashmere"

See his travels by Archibald Constable, page 430

اي عندما دخلت مملكة كشمير بعد اجتيازي جبال بيربنجال تبين لي ان اهالي القرى المجاورة كأنهم يهود . انّ ملامحهم واطوارهم وتلك الميزة التي لا توصف — التي تمكّن السيّاح من التمييز بين الاقوام المختلفة — كل ذلك كان بادىء الرؤية من خصائص تلك الامة القديمة (اي اليهود) . ليس لك ان تعزو ما اقول الى الوهم الفارغ كلاّ بل ان مشابهة هؤلاء القرويين للسيماء اليهودية قد قال عنها آباؤنا اليسوعيين وعدّة من الكتّاب الاوربيين قبل ان زرت كشمير

بزمان طويل

وراجع مثل هذه الآراء في مماثلة الاقوام المذكورة لليهود في صورتهم وطراز معيشتهم واخلاقهم وآدابهم في الكتب الآتية اسماءها :
Cyclopaedia of India by E. Balfour, L. R., Cyclopaedia of Geoqraphy by James Buyce, M. A.F.G.S., Encyclopaedia Britannica.
والكتاب مخزن افغاني للخواجه نعمة الله الهراتي المؤلف سنة ١٠١٨ الهجرية ومجمع الانساب والطبري والكتاب مطلع الانوار .

اقتبس احمد المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام من الكتب المذكورة الشهادات القيّمة التي تثبت بلا ادنى شائبة من الريب ان الافاغنة والكشامرة من سلالة الشعوب الاسرائيلية العشرة الضالة .

راجع الصحيفة ٩١ — ١٠٥ من الكتاب « مسيح هندوستان مين » واني أُلخّص تلك المقتبسات فيما يلي بصورة موجزة .

١ — شهادة الروايات القومية : جميع القبائل الافغانية الكبرى متّفقة الكلمة في كونها من ذرية بني اسرائيل وعندهم جداول الانساب الطويلة يمتّونها الى برخياه وارمياه وطالوت وغيرهم من الاجداد الاسرائيليين . (انظر اى سائيكلو بيدياوف جغرافي — للكاتب بائيس والكتاب مخزن افغاني المترجم الانكليزي للاستاذ برن هارد دورن — الصحيفة ٢٢ — ٢٤) ثم لا تزال القبائل الساكنة في الجبال آلائي وكالاداكه والتي بين جلاس وكابل تسمّى بني اسرائيل وتنسب انفسها الى اسرائيل بكل افتخار .

٢ — شهادة الخِلقة الظاهرية . انّ الافاغنة والكشامرة

لا يشبهون مطلقاً الاقوام المجاورة لهم من الصينيين والهنود وانما يشابهون اليهود — جبهة بجبهة وعيناً بعين وانفاً بانفٍ وشعراً بشعر — تمام المشابهة (راجع انسائيكلو بيدا اوف جغرافي وانسائيكلو بيدا بريطانيكا)

٣ — شهادة الازياء — لا يزال الافاغنة والكشامرة يلبسون الجُبب والقمصان الطوال والعباءات المسترخية خلاف جيرانهم وعلى زيّ قديم من البسة اليهود المذكورة في التوراة .

٤ — شهادة العوائد : يقول سرتوماس هالدل Thomas - Holdiel في مقالته المنشورة في سول ملتري غازيت (Civil Military Gazette نوفمبر ٢٣ سنة ١٨٩٨ ما نصه :

Still more difficult it is to account for certain observances, such for instances as the keeping of the East of the Passover or for the persistance with which the best educated Afghans maintain this tradition, with out some original basis of truth for it

E. Balfour, L. R. Author of the Cyclopaedia of India writes: The Afhgans look like Jews....... In one custom, that of the younger brother marrying the widow of the elder, the Afghans follow the Jewish people .... He (Dr. Mason) alludes to some customs in the tribes holding the Khaiber Pass who wear locks of hair in the manner common to oriental Jews."

اي « ايضاً اصعب منه بكثير تعليل بعض العوائد كمثل الاحتفال بعيد الفطير او تعليل الصرامة التي يحافظ بها احاسن الافغانيين ثقافة على الاثر المذكور — بغير ان يكون هناك من وراءه للاساس الاول من حقيقة . ويقول اي . بل فور ، ايل . آر . مؤلف سائيكلو بيديا اوف انديا ما معناه ان الافغان يشبهون اليهود . . . . يقلد الافاغنة الامة

اليهوديــة في عادة هي زواج الاخ الصغير ارملة الاخ الكبير ....
ويشير الدوقتور ماسن الى بعض العادات الموجودة في القبائل المستولية على بوغاز خيبر — الأئي يرسلن ذوائب الشعر على طراز اليهود الشرقيين وكذلك كانوا يختتنون قديماً قبل ان يعتنقوا الاسلام كما اخبر بــه الدوقتور مور عن القبيلة شوزن التاتارية اليهودية الاصل

٥ — شهادة الاطباع الموروثة : ان الاقوام المذكورة اكثرها كمثل اليهود ثقة نزقة أثرة متمرّدة أميــة عاتية شرسة سفّاكة عنود صلبة المرأس خدعة عوجاء قاسية القلب شكسة الاخلاق . لا سيما الافغان منهم .

٦ — شهادة الاسماء الاعلام : ليس فقط بانهم يدّعون الانتساب الى بني اسرائيل بل وان اسماء قبائلهم وجبالهم وانهارهم ووديانهم كذلك على اسماء انبياء اسرائيل المقدسين وفيما يلي انموذج من هذه الاسماء :

١ موسى خيل ومعناه قبيلة موسى
٢ تخت سليمان يعني عرش سليمان
٣ كوه ماري اي جبل مارى
٤ كوه سليمان اي جبل سليمن
٥ سليمان زئي يعني قبيلة سليمان (الكلمة زىء عبرانية المأخذ)
٦ داوُد زئي (قبيلة داوُد)
٧ يوسف زئي (قبيلة يوسف)
٨ درهٔ خيبر (مضيق خيبر) ومعلوم ان خيبر كانت وطن اليهود

قديماً في الشمال الغربي من جزيرة العرب ·

٩ طورى : اسم قبيلة نسبةً للطور ·

١٠ سليماني : اسم قبيلة نسبة لسليمان ·

١١ سوري : اسم قبيلة نسبة لسور ·

١٢ شمشائي سبط من اسباط اسرائيل

٧ — شهادة اسماء القرى والمدن في كشمير وافغانستان : من الاتفاق العجيب ان كثيراً من القرى والمدن في كلتي الخطتين لها اسماء القرى والمدن الاسرائيلية القديمة المذكورة في اسفار اليهود · ولا يخفى ما في هذه الوحدة الاسميَّة من البرهان المقنع على وحدة الاصل · من الطبيعي ان القوم اذا ما اضطروا لمغادرة اوطانهم واستوطنوا ارضاً غير ارضهم نزع بهم العرق الدسَّاس الى وطنهم المحبوب وراوغ انفسهم على رؤية بديل عنه مثله فجعلوا منازلهم الجديدة على غرار مساكنهم المهجورة وسموها بتسميها الاولى حرصاً على استدامة ذكري عهدهم القديم وتسلية لأنفسهم عن مضيض الهجرة · ونجد في اقطار اميركا ارض المهاجر انطق مثال للنزوع الوطني المذكور فانه لما هجر اليها الاوربيون واستقرُّوا فيها وعمروها سموا مستعمراتهم باسمائهم الوطنية الاولى · فلا غرابة ان قد فعل مثله الشعوب الاسرائيلية الضالة لمَّا وجدت لها في ربوع كشمير وروابي افغانستان قراراً وموردًا عذباً بعد ان ذاقوا مرارة الاضطهاد الطويل وقاسوا عناء السفر البعيد · وهاكم فيما يلي جدول الاسماء المشار اليها مع الاسماء العبرانية المضاهية لها :

الرقم	اسم البلدة في افغانستان وكشمير	الموقع الجغرافي: عرض البلد	الموقع الجغرافي: طول البلد	اسم البلدة في سوريا	الموقع الجغرافي: العرض	الموقع الجغرافي: الطول	السند التاريخي
١	كابل	٣٤٫٢٩ شمالاً	٦٩٫٠٥ شرقاً	كابول	٣٢٫٠٥١ شمالاً	٣٥٫١٢ شرقاً	ودعاها ارض كابول الى هذا اليوم — الملوك الاول ٩ : ١٣ ولا تزال تدعى كابول وهي على نحو ١٠ اميال من عكا بين الرق˝ والجنوب الشرقي
٢	زيدا	على الحدود	الهندية	صيدون صيدا اليوم	٣٣٫٣٤ شمالاً	٣٥٫٢٢ شرقاً	هانذا عليك يا صيدون حزقيال ٢٨ : ٢٢
٣	حمس حمس	قرب	لداخ	حمص حماة	٣٥٫١ شمالاً	٣٥٫١٣ شرقاً	تحت جبل حرمون الى مدخل حماة : يشوع ١٣ : ٥
٤	كلكت	٣٦ شمالاً	١٢ — ٧٤ شرقاً	جلجثة كلكال كلكال	٣١٫٠٤٧ شمالاً ٣٢؛٩ شمالاً ٣١٫٠٥٠ شمالاً	٣٥٫١٦ شرقاً ٣٤ : ٥٩ شرقاً ٣٥٫٣٠ شرقاً	الى موضع يقال له جلجثة متى ٢٧ : ٣٣ — يشوع ٤١ : ١٩ قضاة ٢ : ١ وصعد ملاك الرب من الجلجال الى بوكيم هي الان تليلة [illegible]

الرقم	اسم البلدة في افغانستان وكشمير	الموقع الجغرافي: عرض البلد	الموقع الجغرافي: طول البلد	اسم البلدة في سوريا	الموقع الجغرافي: العرض	الموقع الجغرافي: الطول	السند التاريخي
٥	تبت	٣٢ شمالاً	٨٩ شرقاً	١ طبحة ٢ طباة			(١) اخبار الايام الاول ١٨ : ٨ ولا تزال تدعى طبحة بين حلب وتدمر (٢) قضاة ٧ : ٢٢ وهي الان طبقة الفحل شرقي ضفة الاردن مقابل بيسان
٦	لاسه	٢٩.٣٠ شمالاً	٩٢٠١ شرقاً	لايشَ	٣٣٠١٧ شمالاً	٣٥٠٤٠ شرقاً	ذهبوا لتجسس ارض لايشَ : قضاة ١٨ : ١٤—٩١ وهي اليوم العَيسويّة .
٧	فنش	٥٣ . ٥٢ شمالاً	٧٤٠١٣ شرقاً	فينيشيا فينيقية	٣٣.٣٠ شمالاً	٣٥٠٢٥ شرقاً	قضاة ١ : ٣١ و ٣٢ ومرقس ٧ : ٢٦ ويشوع ١٣ : ٤
٨	لدّاخ	٣٤ شمالاً	٧٧٠٣٠ شرقاً	لعده			نحميا ٧ : ٣٧ و ١١ : ٣٥ عزرا ٢ : ٣٣ وهي اليوم قرية لدّ على بعد ٩ اميال الى الجنوب الشرقي من يافا

الرقم	اسم البلدة في افغانستان وكشمير	الموقع الجغرافي: عرض البلد	الموقع الجغرافي: طول البلد	اسم البلدة في سوريا	الموقع الجغرافي: العرض	الموقع الجغرافي: الطول	السند التاريخي
٩	ليح	٣٤٠١٢ شمالاً	٧٧٠٣٩ شرقاً	لحي			قضاة ١٥ : ٩ وهي الان مستعمرة يهودية تدعى رآيشون وبها عيون قارا
٠	سورو	٣٤٠١٠	٠ — ٧٦	شور	٥٥ — ٣٠ شمالاً	٣٣ شرقاً	التكوين ١٦ : ٧ الملوك الثاني ١١ : ٦ (سور) وهي الجفار اليوم
١١	سوكت	٣٠ — ٣١	٠ — ٧٧	سكوت	٥١ — ٣٢ شمالاً	٣٥٠٣٦ شرقاً	التكوين ٣٣ : ١٧ — الملوك الاول ٧ : ٤٦ — توجد الان خربة تدعى سكوت على نحو ٣ اميال غربي ضفّة الاردن
١٢	لاسه	عاصمة تبت	الأسار لارسّا				التكوين ١٤ : ١ وهي اليوم سنكيرة الواقعة بين الفرات والدجلة شرقي ارك
١٣	ميرهوم	غربي اسلام	ميزوم				يشوع ١١ ٠ ٥ وهي الان الحولة شمالي

وزد على ذلك ان الكشميريين يُدعون كاشر بلغتهم الكشميرية الدارجة وان اسم كشمير كاشير عندهم . ولا يخفى ان اشير كان سبطاً من اسباط اسرائيل (راجع لذلك يشوع ١٩ : ٢٤ حيث نجد ذكره كما يلي وخرجت القرعة الخامسة لسبط بني اشير الخ) كما انه اسم اشيريا (Assyria) المتغير الشكل وان الكاف فيه حرف التشبيه فعلى هذا يكون معنى كاشير كمثل ارض أشيرياء هي اشور القديمة والعراق الحالية . يرى من هذه المقارنة الاسميّة المختصرة أنّ المشاكلة الموجودة بين اسماء القرى والمدن الكشميرية والافغانية والسورية ليست من الصدفة في شيء وانما حصلت تبعاً لوحدة الاصل ويزداد هذا الامر وضوحاً وجلاءً اذا ما اعتبرنا معه الشهادات السابقة الذكر . ان تسمية الجبال باسماء الانبياء الاسرائيليين والقبائل باسماء اسباط اسرائيل والقرى والمدن باسماء القرى والمدن العبرانية القديمة وان المشاركة في الاخلاق والطبائع والعوائد والتزيّ بالازياء اليهودية القديمة والمشابهة في التكوين الجسماني ووجود التسلسل النسبيّ وادّعاءهم انفسهم انهم الاقوام الاسرائيلية الضالة وان بقايا التقاليد والروايات بينهم الدالة على اصلهم القديم — كل ذلك مما يؤيد آراء المؤرخين القدماء والبحّاثين المعاصرين في كون الافاغنة والكشميريين من بني اسرائيل وهو هذا الامر الذي كنت اردت الافاضة فيه ليكون القراء الكرام على بصيرة ان توما الحواري وغيره من تلاميذ المسيح لم يتجشّموا خطر الاسفار الشاقة الى ربوات الهند الشمالية الا لان هذه

الربوات كانت معمورة بالشعوب الاسرائيلية الضالة وكان مفروضاً على المسيح وتلاميذه ان يقيلوا عثرة هولاء الشعوب ويهدوهم سواء السبيل وكان معلوماً لديهم انهم هنالك في شمال الهند كما يظهر من مطالعة التاريخ القديم وقد نقلت فيما تقدم عن يوسيفاس المؤرخ الشهير الذي افادنا عن احوال بني اسرائيل في تاريخه المكتوب حوالى سنة ٩٣ ب ٠ م ٠ قوله انه لا يوجد في آسيا واوربا الأسبطان من اسباط اسرائيل تحت سيطرة الرومانيين واما العشرة الباقية فهي ماوراء النهرين في عصره ذاك وتوجد هنالك بكثرة لا تحصى ٠ يرى من مثل هذه الشهادات القديمة ان وجود هولاء الشعوب في تلك الاقطار ما كان امراً مخفياً في زمن المسيح عليه السلام وما يليه من القرون ٠ ويخبر القديس جيروم الذي كان في القرن الخامس العيسوي بان الشعوب المشار اليها كانت متفرقة في بارسيا (فارس) ٠ لذلك فلا يظنن احد انه اذا جهل هو اخبار هجرة هولاء الاقوام في تخوم فارس والهند كان المسيح ومعاصروه ايضاً يجهلونها ٠ كلا ان مجيء المسيح الى نصيبين خاصة مع توما وغيره من التلاميذ وان وصول توما وبرثولماوس الى حدود الهند الشمالية لهما دليلان مستقلان على انهم كانوا يعلمون بوجود الشعوب الضالة في هاتيك النواحي ٠ وفي سفر أستير قصة طويلة يُرى منها ان اليهود المنفيّين من بابل جاؤا الى الهند وتفرقوا في اكنافها واقاموا بها — راجع أستير ٢ : ٦ و٣ : ٨ ٠ بناءً عليه فان كنا نتوخى البحث عن المسيح المفقود الخبر والتتبع لآثاره المطموسة بعد واقعة

الصليب فوجب علينا ان نفتش عنه في نجود الهند الشمالية حيث ذهب تلميذاه المذكوران وحيث كانت الشعوب العشرة الضالة قاطنة اذ ذاك ولقائل ان يقول لماذا لا نبحث عنه في بلاد غير البلاد المذكورة مثل تاتار وما حولها فان الدوقتور مور الرحّالة المعروف يقول ان القبيلة التاتارية چوزن يهودية الاصل وهي لا تزال محافظة على بعض العوائد القديمة كالاختتان، كما ان برسرجان ملك تاتار يذكر في مكتوبه الى الكسيس كام نى نس قيصر قسطنطينيه انه توجد القبائل الاسرائيلية في بلاده ما وراء النهر آمون ويقول . إي بل فور في الجزء الثالث من كتابه سائيكلو بيديا اوف انديا ايسترن وسدرن ان اليهود منتشرون في وسط آسيا وشرقها وجنوبها وانهم كانوا قديماً في الصين وكان لهم في يه جو (عاصمة الولاية شو) معبد . فما دامت الروايات تقول بوجود الشعوب الاسرائيلية خارج الهند، لماذا — يا ترى — نخصّ التخوم الهندية الشمالية بالبحث فيها عن المسيح عليه السلام دون سواها من الخطط الآهلة بامثالها من الاقوام الاسرائيلية ؟

نختار خطة الهند الشمالية لابحاثنا هذه ثلاثة اسباب مهمّة اولها ان يوحنا يخبرنا فيما يخبر عن رحلة المسيح الاخيرة اي رحلته عن ارض اليهودية بعد واقعة الصليب ان توما تبعه وان التلاميذ ظنوا بحياته الابدية كما ظنوا بحياة المسيح عليه السلام زعماً منهم انهما معاً صعدا الى السماء . واقل ما يستنتج من هذه الرواية ان توما صاحبه في السفر الى آخر حياته — مهما تكن نوعية هذاك السفر — هذا ويرى

من روايات روضة الصفا ان توما هذا كان مع المسيح عند ما وافى ارض نصيبين . والسبب الثاني هو اننا نقرأ عن اسفار المسيح البعيدة كلاً عن مصادر مستقلة وفي كتب لا علاقة فيما بين بعضها مع بعض كما ذكرت في الجزء الثاني من كنز العمال ايضاً روايتين — الواحدة عن ابي هريرة قال اوحى الله تعالى الى عيسى ان يا عيسى انتقل من مكان الى مكان لئلاّ تعرف فتوءذي والثانية عن جابر قال كان عيسى ابن مريم يسيح فاذا امسى اكل بقل الصحراء وشرب القراح وفي لسان العرب ايضاً انه انما سُمي المسيح لانه كان سائحاً في الارض لا يستقرّ وقد لقّبه امامَ السائحين ابو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي في كتابه المعروف سراج الملك في الصحيفة السادسة من الطبعة المصرية وقد سبقتُ فذكرت اعتماداً على الاسانيد الصحيحة ان عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة وتعلمون ان حضرته لم يتجاوز الاربعين عند واقعة الصليب فلا بدّ والحالة هذه ان يكون حضرته قد قضى معظم حياته الباقية في السياحات البعيدة التي لقّب من اجلها المسيح وامام السائحين . فاذا اضفنا روايات رحلته هذه الى رواية يوحنا القائلة بانه استصحب توما في اسفاره وانه كان معه طول عمره والى الروايات القائلة بأن توما هذا زار الجهات الشمالية من البلاد الهندية ثم قارنّا بعضها ببعض واستنطقنا مدلولاتها بالنظر الى وصيته لتلاميذه في خراف بيت اسرائيل الضالة ومحبته الشديدة ومصاحبته الدائمة لتوما يحق لنا ان نظن بانه في غالب

الامر اختار الاطراف الهندية الشمالية دون سواها بل ونكون على يقين منه اذ نقرأ في رقيمات البوذية القديمة شبه اسم المسيح بصورة مى شى هو (مشيا) وبكوا مشيّا (اي مشيّا الابيض) ويسا (يسوع) وراحولتا (الكلمة العبرانية بمعنى روح الله) كما نقرأ مع اسمه ذكر امّ راحولتا واسم المرأة مكدليانا (مريم المجدلية) ويعتقد البوذيون الشماليون ان (مى شى هو) هذا كان بوداً (لقب معناه متنور حكيم) من بوآدّهم (الحكما العارفين) تقمصت فيه روح ساكيا منيا كوتم بود الاكبر على حسب عادتها في التقمص والحلول من وقت لآخر تخليصاً للناس من آلام الحياة الدنيا . ولقد حكى لنا الرّحالة الروسي نكولس نوتوج في كتابه المسمى the unknown Life of Jesus Clhrist (حياة المسيح المجهولة) انّ المسيح جاء في الهند في حداثة سنه واقتبس من العلوم الهندية حظًا موفوراً وتربّى بين علماء الهنود احسن تربية حتى بلغ المقام الأعلى وفاق جميع اقرانه فلما أتمّ تحصيله قام ينتقد البراهمة العتاة اعمالهم ويزجرهم عن غيّهم وحامى عن الاقوام المرذولة واثار به خلافه شحناء القوم وعداوتهم لم يستطع مقاومتها ففرّ من وجه الاعداء اخيراً الى وطنه حيث نزل عند اليهود على صدر رحب وفال ميمون ولكن لاقى العذاب الأليم والموت الفظيع من ايدي الرومانيين . واليكم نصّ العبارة من الصحيفة ١٦١ حيث ينقل ماجرى من المحادثة بينه وبين لاما دير حمس عاصمة لداخ في تبّت : —

«In a visit which I recently made to Gnopa, one of the lamas told

me of a prophet or as you call him a buddha, by the name of Isa. Could you not tell me anything of him. »

« The name Isa is very much respected among the Buddhists » he replied, «but he is only known by the Chief Lamas who have read the scrolls relating to his life .... Our Gnopa, among others, possesses already a great number which I read in my leisure time. Among them are the memoirs of the life and acts of the Buddha Isa who preached the same doctrine in India and among the sons of Israel, who was put to death by the pagans, whose descendants, later on, adopted the beliefs he spread.» pp.142-143.

In what language are written the principle Scrolls bearing the life of Isa." I asked." The original Scrolls brought from India to Nepal, and from Nepal to Thibet relating to the life of Isa, are Written in the Pali language and are actually in Lhassa; but a copy in our language — I mean the Thibetan—is in this convent." pp. 145 — 146

. . . .

At length, yeilding to my ardent insistence, he brought me two big books, the large leaves of which were of paper yellow with age and from them he read to me the biography of Isa, which I carefully transcribed in my travelling note—book according to the translation made by the interpreter. This curious document is compiled under the form of isolated verses which,as placed, very often had no apparent connectiod with or relation to each other." p.152.

وخلاصة المنقول ان الرّحالة المذكور اجتمع بأحد الرهبان البوذيين في اثناء رحلته وسمع منه ذكر نبي اسمه ايسا فاراد ان يستوثق الخبر المذكور من لاما (راهب) دير حمس فسأله عنه فاخبره هذا الراهب انّ اسم ايسا (عيسى) محترم بين البوذيين غاية الاحترام وان عند رؤساء الرهبان مدارج من الورق تحتوي ذكر حياة بود ايسا وعند رئيسه (غنوبا) ايضاً عدداً كبيراً من تلك القراطيس الملفوفة يقرأ منه هو نفسه في اوقات فراغه وبين هذه الطوامير تراجم حياة بود

ايسا واعماله — بود ايسا الذي وعظ في الهند وبين بني اسرائيـل والذي قتله الوثنيون . وهذه المدرجات باللغة التبتية وكانت في الاصل باللغة البالية وقد كان أُوتي بها من الهند الى نيبال ومنهـا الى تبّت والنسخة الأصلية لا تزال في لاسه حتى اليوم .

ثم يخبر الرحّالة المذكور كيف تمكّن من استحضار الصحيفة المذكورة بالحاح شديد واستمع محتوياتها بواسطة المترجم ويقول انها بصورة قِطَع منظومة منفصلة لا علاقة بين واحدة منها وأُخرى . وممّا تحكي هذه القراطيس عن اسباب هجرة بود ايسا لوطنه في صغر سنه انه كان ابواه يريدان زواجه كرهاً منه فغاب عن البيت مستتراً ولحق بقافلة من قوافل التجارة القاصدة تلقاء الهند فجاءها بطريق السنده « قصد ان يكمل نفسه في معرفـة كلمة الله ودرس شرائع البوّاد (جمع البواد اي الحكماء العارفين) العظام . وبعد التحصيل ست سنوات استطاع عيسى الذي اجتباه البودلكي ينشر كلمته المقدسة ان يشرح ويفسر الكلمة بتمامها . فغادر نيبال والجبال الهماليه وتوجّه نحو الغرب وكان اينما ذهب يعظ الناس وينصح لهم ويدعوهم الى الكمال الغائي المقدّر للبشر . » راجع الصحيفة ١٥٢ و ١٦٦ « ذاع صيت ايسا وشهرت مواعيظه في جميع البلاد المجاورة ولما دخل فارس خاف الكهّان من فتنته ومنعوا الناس ان يسمعوا له . . . . . » ١٧٤ — ١٨٢ ومما جاء في القراطيس المشار اليها

"Isa went from one city to another strengthening by the word of God the courage of the Israelites, who were near succumbing under

their weight of woe, and thousands of the people followed him to hear his teachings. p. 192

اي تنقّل ايسا من مكان الى مكان ، يبعث بكلمة الله من شجاعة بني اسرائيل الذين كادوا ان يخوروا تحت اثقال الشقوة الوف من الناس تبعوه ليسمعوا منه تعاليمه . (الصحيفة ١٩٢)

"But the chiefs of the cities were afraid of him and they informed the principal governor,residing in Jerusalem, that a man called Issa had arrived in the country, who by his sermons had arrayed the people against the authorities and that multitudes, listening assiduously to him, neglceted their labour, aud they added, he said, that in a short time they would be free of their invader rulers."

The pilate, the Governor of Jerusalem, gave orders that they should lay hold of the preacher Issa and bring him before the Judges. In order, however, not to excite the anger of the populace, Pilate directed that he should be Judged by the priests and scribes, the Hebrew elders, in their temple."

When the priests and the elders heard Issa, they decided among themselves not to give Judgement against him, for he had done no harm to anyone, aud presenting themselves before Pilate, who was .... they spake to him thus: we have seen the man whom thou chargest with inciting our people to revolt; he is our country man ."

The governor thereupon became very angry, and sent his disguised spies to keep Watch upon Issa and report to the authorities the least word he addresed to the people."

Issa — whom the Creater had selected to recall to the worship of the true God, men sunk in sins — was 29 years old when he arrived in the land of Israel." 192—214.

والخلاصة ان عيسى—طبقاً للرواية المذكورة—رجع الى يورشليم وهو في التاسع والعشرين من عمره . وانه لما رأى الحاكم بيلاطس انه يهيج الشعب خلاف الحكومة امر بالقبض عليه وطلب محاكمته

بواسطة القضاة العبرانيين حذراً من ان يحصل في الناس شغب اذا ما حكم عليه هو نفسه · غير ان هؤلاء القضاة برّأوه ثلاثاً واغضبوا به الحاكم بعملهم هذا ·· فلما أيس بيلاطس من فقهاء اليهود وفرّيسيه حكم عليه بالصلب نفسه ولم يُصغ الى احتجاج اليهود خلاف حكمه فصُلب عيسى مع اثنين من قطاع الطريق ····· الخ ص ٢١٨

انّ رواية البوذيين المذكورة في القراطيس المشار اليها تتفق في جميع تفاصيلها مع رواية الاناجيل الاّ في امور ثلاثة · اوّلها انه بينما الاناجيل تبرّئ بيلاطس من دم المسيح وتمتدح شأنه وتذكر سعيه لانقاذه وتجعل التبعة كلها على اعداءه اليهود فالقراطيس البوذية بالعكس منها تماماً تلقي اللوم على بيلاطس وتذمه وتذكر مساعي اليهود لانقاذ المسيح من الصليب · بناءً عليه فرواة الانجيل والرقيم البوذي المكتشف حديثاً على طرفين نقيضين تماماً بالنظر الى حادثة الصليب والامر الثاني هو ان التاريخ البوذي يروي عن زيارة المسيح للاقطار الهندية هرباً من الزواج وبغية التعليم ويخبر ان عمره اذ ذاك كان ١٦ سنة ، لبينما تاريخ المسيحية ساكت عن سفره هذا كل السكوت والامر الثالث هو ان الانجيل يقول عن قيامه من القبر بعد ثلاثة ايام ويلمح بسفره خفية مصحوباً ببعض تلاميذه ولكن الرقيم البوذي ساكت كل السكوت عن هذا السفر وذاك القيام · والحق بين بين · وتفصيل هذا الاجمال كما يلي :—

سافر المسيح عليه السلام الى بلاد بعيدة جداً متوارٍ متنكراً وقضى حياته كلها بين الشعوب الاسرائيلية الجاهلة الضالة ولم يعلم به احد من مواطنيه الاعداء فانسدل الحجاب على غيبته هذه وعلى الحياة التي عاشها في الاقطار السحيقة المعتزلة بسبب الاخفاء المتعمّد والبعد والاعتزال · لذلك لا نجد في تاريخ وطنه القديم لسفره هذاك وحياته الباقية من اثر جليّ يعتمد عليه واما الذي نعالج استقراءه اليوم في الاساطير القديمة إنْ هو الاّ عبارةٌ اخيلةِ حالمٍ نسي عهد الحلم فيحاول في غبش الطيوف الطارقة الغادية ان يعيد الى ذهنه ذكراها، هذا حال سفره وحياته المجهولة عندنا نحن · واما الهنود البوذيين منهم فهم بينما يعلمون ان عيسى جاء الهند واقام بين ظهراني الهنود مدة ووعظهم و بني اسرائيل وصار لمواعيظه وتعاليمه في قلوبهم وقع عظيم ولكنهم لا يذكرون الا مختلاً مخدوشاً سوانح حياته الاولى التي وقعت في بلاد نائية عنهم · والسبب في ذلك راجع اولاً الى بعد مكان الحادثة بعداً عظيماً ووعورة المسالك وندرة المواصلات وثانياً الى غرابة اللغة وثالثاً الى طريقة تناقل الاحاديث في الزمن القديم وعدم الضبط في النقل وخامساً الى زمن التدوين المتأخر وسادساً الى سوء التصرف الحاصل من قبل البوذيين الشماليين في نقل التراجم، يقول الرحالة الروسي المذكور : —

It must be remembered, in this connection, that in antiquity as in our own days the whole public life of the Orient was concentrated in the Bazaras. There the news of the foreign events was brought by the merchant caravans and sought by the dervishes,

who found, in their recitals tn the temples and public places, a means of subsistence. When the merchants returned home from a journey, they generally related fully during ths first days after the ir arrival, all they had seen or heard abroad. Such have been fhe customs of the Oriént, from time immemorial, and are today." P P. 224.

"The two manuscripts," he says, "from which the Lama of the convent Himis read to me all that had a bearing on Jesus, are compilations from diverse copies written in the Thibetan language translated from scrolls belonging to the liberary of Lhassa and brought about 200 years after Christ, from India, Nepal and Maghdha to a convent on mount Marboor near the city of Lhassa, now the residence of the Dalia Laama.

The scrolls were written in Pali which certain Lamas study even now so as to be able to translate into the Thebitian·

The chroniclers were the Budhists belonging to the sect of the Budha Gotama. The details concerning Jesus given in the chroniclers, are disconnecteed and mingled with the account of other contemporaneous events to which they bear no relation."

P. P. 225 — 226.

اي انه مما جدير بالذكر ان حياة الشرقيين العمومية قديماً — كما في ايامنا هذه — كانت محصورة كلها في الاسواق حيث كانت قوافل التجار ترد باخبار البلاد الاجنبية فيتلقفها منهم الدراويش الذين اتخذوها ذريعة المعاش فكانوا يتلونها على الناس تلاوة في المعابد وامكنة الاجتماع العمومية . كلما قفل التجار الى اوطانهم من سَفَر قصّوا بالتمام جميع ما رأوه وسمعوا عنه في الايام الاولى من قدومهم هكذا كانت ولا تزال حتى اليوم عادة الشرقيين منذ القديم . . . . .

« ان المخطوطَين اللذين تلا عليّ منهما لاما دير حمس جميع

ما له علاقة بالمسيح لم يكونا الاّ مجموعاً من نسخ متفرقة مكتوبة باللغة التّبتيّة كانت قد نقلت من مدرجات مكتبة لاسّا وجيء بها بعد المسيح بمائتي سنة تقريباً من الهند ونيبال وماغدها الى دير بجبل مار بور الواقع بالقريب من مدينة لاسا وهو الآن مسكن دالائي لاما. كانت المدارج هذه مكتوبة باللغة بالى التي لا يزال بعض من اللوام (جمع لاما) يدرسونها اليوم ايضاً لكي يستطيعوا ترجمتها الى اللغة التبتية.. والمؤرخون (الذين دوّنوها اولاً) كانوا البوديين من شيعة البودا غوثاما والتفاصيل المروية عن حياة المسيح في تواريخ البوديين مفقودة التسلسل مخلوطة باخبار الوقائع المعاصرة مما ليس لها بها من علاقة» ص ٢٢٦ — ٢٢٥ وزد على ذلك ما يشوّه به النقل عموماً سيما اذا كان المنقول عن احوال زمن بعيد وبلاد نائية وكان طريق التناقل شفاهياً من غير تسطير او كتابة وكان الناقلون غرباء بعضهم عن بعض باعتبار اللغة والجنس وبعد الظروف الزمنيـة والمكانية وغيرها وخصوصاً اذا كانوا هم ممن يتعمّد التصرف في النقل لغاية يريدها او وطر يقضي قضاءه.

إنه لمن المحقق الاكيد انه كلما اتسعت دائرة النقل وتكاثر الناقلون وتعددت واختلفت اللسنة المنقول بها وكلما ازداد بعد المسافة بين امكنة الرواة وانفسح الفراغ بين زمان وزمان، بمقدار ذلك وبنسبته تزداد الاخبار المنقولة تغيّراً عن هيئتها الاصلية وترى مجسّمة مختلة والمشهور عن البوذيين سيما الشماليين منهم (الصينيين والتبتيين) انهم

حرّفوا في اسفارهم القديمة كثيراً وصاغوا مضمونها طبقاً لاهوائهم وان ما يدّعون لتواريخهم القدامة والصحة مكذوب مردود بما اكتُشف الان لدى اخوانهم الجنو بيين اهالي سيلون من الاسفار القديمة يقول ايس · بيل في هذا المعنى :

But from what we do know, it would appear that Northern school possesses a collection of works under this head unknnown elsewhere. I refer to the books called Prajana Paramita, which are named by Mr. Hodgson as taking a conspicuous place in the Napalese collection, which occupy a similar place in China.......These works are unknown in the South. They represent the Abhidharma class of books in Nepal, they occupy similar place in China; but they are evidently late compilations, and can claim no consideration in the examination of the genuine division of the sacred books .... These are treatises (Sastras) written by men of distinction in the Budhist Community during various periods and for different aims and purposes. Now, all these, though classed as Abhadharma, are interpolations or intrusions into the primitive Canon."
Budhism in China pp. 37—39.

وخلاصة الاقتباس انه عند الطائفة الشمالية من البوذيين مجموعة من المؤلفات بهذا الاسم (اي ابهى دهرم معناه علم المعقولات) لا توجد في مكان آخر — ولها بين المرقومات النيباليّة والصينية مقام معروف غير انها لا توجد في الجنوب اي في سيلون وبرما وهي — كما هو ظاهر — مصنفات الازمنة المتأخرة ولا تستحق ان تُعدّ بين الكتب المقدسة · ان هي الاّ مقالات نمّقها افاضل البوذيين في ازمنة مختلفة لأغراض ومقاصد شتّى وهي كلها — مع انها تسمى علم المنقولات —

ملحقات وزوائد على اصول الديانة وتداخل فيها غير مشروع .»

ويقول كي . ايس . ميكد انلد ايم . اي في مقدمة الكتاب برلام وجوزافيت التي بحث فيها مفصّلاً عن تواريخ البود ساكيامنيا المزعومة واسفار الديانة البوديّة ما معناه ان البوذيين لم يهتموا باسفارهم قط وما صانوها من الالحاق والتحريف وتطرق الفساد الى متنها ولذلك — في رأيه يصعب — جداً التمييز بين الاصل والمزيد فيه . ويقول ان بودغوتاما لم يكتب نفسه شيئاً ولا نعلم مطلقاً عن كتبة الاسفار البوذيّة من كانوا واين ومتى كانوا حتى ولا نعلم ماذا كانت اسماءهم بل وانها كتبت في زمن وارض كان علم التاريخ فيهما مجهولاً بالكلية . وفي رأي العلاّمة اللوذعي اولدن برغ في الصحيفة ٢٨ في كتابه «Life of Budha» ان اسفار البوذية التي باللغة بالى ليس في متونها اقل ذكر عن سوانح البودغوتاما ولا هناك اثر يفهم منه انه كان يوجد تاريخ عن حياته في القديم . والقول الراجح ان اقدم تاريخ عن حياة البودغوماتا عند البوذيين الشماليين دُوّن بعد المسيح فيما بين القرن الاول والقرن السادس ويقول الدكتور ايتل (Dr. Eitel) وهو ثقة في هذه الامور — انه لا يوجد البتة خبر موثوق به عن اسفار البوذية واصليتها وان كل ما يُروى من القصص والحكايات في للت بستار (تاريخ البوذ المستند المعتبر عند الشماليين) تلك التي لها مساس بالحوادث الواقعة قبل المسيح لم تكن معروفة قبل القرن الخامس او السادس المسيحي —

ويحكي ميكس مولر البحاثة الشهير (في كتابه المعروف بعنوان كتب الشرق المقدسة Sacred books of the East) عن كاتب بودي من اهالي نيبال انه انشأ اربع قطعات كانت مفقودة من « بودجرت » (اي حياة البود لأسواغوشا وهي اقدم سيرة من سير البودغوتاما ألّفت حوالى سنة ٢٠ ب) وادخلها في الكتاب . راجع الصحيفة ٢١ من الجزء ٤٩ . ويقول مؤلف الكتاب دبواناسا ما تعريبه «ان رهبان المحفل الكبير قلبوا لدين رأساً على عقب وصحّفوا في تعليم الخمس نكّياس ومغزاها ونبذوا بعضاً من سوّت ووناياوا بتدعوا شبيهما . يغيرون هذا الى ذلك» راجع حكايات ميلاد البود (Budhist Birth stories)

ان المحفل الكبير (مهاسنگه كاس) المشار اليه هو احد الحزبين الذين انقسم فيهما البوذيون بعد وفات البود بمائة سنة ونيف وكان متّهماً كثيراً بالتحريف والتبديل وانه هو هذا الحزب المظنون الذي اصبحت رواياته واقاصيصه مصدر الثقة والاستناد والاخذ والرد عند البوذيّة الشمالية التي نحن باحثون عن صحة تاريخها .

ومن يطالع تاريخ البوذية بامعان ويقابل الروايات المختلفة بعضها ببعض لا يشك في انه مخدوش مضطرب جداً وانه اضيف اليه شيء كثير من بعد تبعاً لمساق التقليد ومماشاة للجيل المتجدد . اننا نجد فيما نقرأ عن سوانح البودغوتاما شيئاً كثيراً يشابهه بالتمام ما نقرأه عن حياة المسيح عليه السلام حتى ليتخيل للقاريء ان

البوذغوتاما والمسيح كانا رجلاً واحداً او ان اتباع الواحد تقلدوا اتباع الآخر في وصف نبيّهم وبوذاهم · خذوا مثلاً القاب النور والمعلم (ساستا) والمبارك (سُكَتَ) وابن الملك (راج كمار) والملك (مهابرجابتي) والازلي الابدي (اميّ تابها) ملجأ التعبان (اسرّن سرّن) والمرجو او رجاء الامم (سد هارثا) والمنجيّ (مكتى داتا) والحكمة والمحبة والرحمة وامثالها فانها قد اختصّ بها البوذ والمسيح كلاهما على السواء وانهما يتشابهان فيما بينهما بالنظر الى مـا يروى عن سوانحهما والامور المشتركة في حياتهما بعبارة العلامة ايتيل وبرائس وغيره انه نزل ساكيامنيا والمسيح من السماء وولد كل منهما من عذراء جاءتها (*) الملائكة بالبشرى من قبـل الولادة وتفاءل بمولدهما الكهنة وجيء بهما في هيكل تبركاً واعتمدا بالماء قبل ان اعتمدا بالنار وكان كلاهما يُدهش الكهنة والحكماء بعقله واجوبته المملوءة بالحكمة واعتزلا في البرية حيث صاما اربعين يوماً وبعد ان جرّبهما الشيطان قاما يعظان في الناس بالامثال وكلمات الحكمة المتشابهة معنا ولفظاً وكان كل منهما صديق الأئمة والعشّارين وتجلّى كلاهما على الجبل كما انهما نزلا في الجحيم واخيراً صعدا منها الى السماء · ولمـا ان اسلما روحهما تزلزلت الارض كلها واظلمت الشمس والقمر وخلاصة القول انه لا توجد في تاريخ حيـاة المسيح لا ولا ميزة واحدة من الميزات لا توجد هي في سير البوذاغوتاما المتناقلة اليوم ·

(*) راجع سيرة البودغاتاما للكاتب اسواغوشا

اللهم الا اذا استثنينا منها واقعة الصلب ويقول آر. سى . دت في كتابه Ancient India (الهنـد القديمـة) في فصل المعنون البوذية والمسيحية :—

«we find in the Buddhist books parables of exactly the same tone and the same character as the Gospel parables .... The morae precepts and teachings of Buddhism have so much in common with those of Christianity, that some connection between the two systems of religion has long been suspected.»

اي اننا نجد في كتب البوذيين من الامثال ما تضارع امثال الانجيل تماماً في النغمة والدلالة ..... وان البوذية والمسيحيـة تشتركان في المواعيظ والتعاليم الاخلاقية اشتراكاً عظيماً مما جعـل العلماء يظنون منذ زمن بعيد بانه لا محالة توجد بين الديانتين من رابطة ما . وبناءً على مثل هذه المشاركة والمماثلة يرى الكتّاب كمثل دي بُنزن ودت وميسرزللي ان المسيحية اقتبست من البوذية وذلك بانها وُجدت بعد البوذية بخمس مائة سنة تقريباً غير ان هذا الرأي غير ناضج ويردّه العلاّمة ايتل الاختصاصي في تاريخ البوذية بقوله :

"It can be proved that almost every single tint of this Christian Colouring, which Buddhist tradition gives to the life of Buddha, is comparatively of modern origin. There is not a single Buddhist MS in existence which could vie, in antiquity and undoubted authenticity, with the oldest codices of the gosyels. Besides ,the most ancient classics contain scarecly any details of Buddha,s life, and none whatever of those above mentioned."

اي انه بالامكان ان يُثبَت ان وميض الصبغة المسيحية الذي يلمع من خلال سوانح البود انما هو من الانشاء الحديث لا يوجد

بين المخطوطات البودية حتى ولا مخطوط واحد يناظر اقدم نسخ الاناجيل في الصحة والقدامة وعدا هذا فان المؤلفات القديمة خالية عن تفصيل ما عن حياة البودا . دع عنك ما ذُكر منه فيما مرّ »

ويقول العلاّمة اولدنبرغ في كتابه حياة بوذا('Life of Buddha

"No biography of Budhha has comə down to us from ancient times from the age of Pali texts and we can safely say that no such biography was in existence then."

اي انه لم تصل الينا سيرة من سير البودا من العصور الخالية من عصر المتون (البالية) ويمكننا ان نقول بكل ثقة انه لم تكن كهذه السيرة اذ ذاك في الوجود . ويرى كرأيهايم . رينان الذي معروف في العالم المسيحي بكونه قد فضح المسيحية أيما فضاحة بانتقاداته المرّة ولا يسلّم قطعاً بان المسيحية كانت المنتخلة لتلك التعاليم والامثال والمواعيظ ويسئل العلاّمة بل مستغرباً مستخبراً :

Whence come these ideas in the legend of the North. for we must repeat, the legend is known nowhere else in its completeness but in northern records............ we have already indicated that such traditions might have existed among the holy or pious families of that far East, and from there have passed into the history of Buddha, the great sage of the sakya race."

Buddhism in china : p. 71.

اي من اين جاءت هذه التصورات في اسطورة الشمال البوذية خاصة؟ وذلك لان الاسطورة (المروية عن حياة البودا المشار اليها) — يجب ان نكرّر القول — لا توجد لا في مدوّنات الشمال او في تطبيقات الجنوب للمدوّنات الشمالية ... واذ بيّنا آنفاً ان

مثل هذه الروايات يمكن وجودها بين العائلات الطاهرة المقدسة في الشرق الاقصى (يعني ارض فلسطين وما جاورها من البلدان) ثم انها منها تسربت في تاريخ البودا الحكيم العظيم سليل الشعب ساكيا . » راجع الصحيفة ٧١ منه

ويقول احمد المسيح الموعود بعد المقارنة في الامور المشتركة بين البودغوتاما والمسيح وتعاليمهما الاخلاقية : (اب غور كرنا جاهيئي كه اخلاقى تعليم اور يه طريق وعظ يعني مثالون مين بيان كرنا — يه تمام طرز حضرت عيسى عليه السلام كي هي . جب هم دوسرى قرائن كو ابنى سامنى ركهكر اس طرز تعليم اور اخلاقى تعليم كوديكهتي هين تومعاً همارى دل مين گزرتاهي كديه سب باتين حضرت مسيح كى تعليم كى نقل هين جبكه وه اس ملك هندوستان مين تشريف لائي اور جابجا انهون نى وعظ بهى كئي توان دنون مين بُده مذهب والون نى ان سى ملاقات كر كى انكو صاحب بركات پاكر ابني كتابون مين يه باتين درج كرلين بلكه انكو بده قرار ديديا، كيونكه يه انسان كى فطرة مين داخل هى كه جهان كهين عمده بات پاتاهى بهر طرح كوشش كرتاهى كه اس عمده بات كولى لى ..... الخ » الصحيفة ٧٦ من الكتاب « مسيح هندوستان مين »

اي انه ينبغي ان ننظر الآن ان هذا التعليم الاخلاقي وطريقته هذه في الوعظ اعني ضرب الامثال — كل ذلك من طراز المسيح عليه السلام . اذا لاحظنا التعليم الاخلاقي واسلوبه بالقياس الى القرائن

الاخرى فلا نلبث الاَّ ويخطر ببالنا معاً انَّ جميع هذه التعاليم انما هي نسخة من تعاليم المسيح منتحلة — قد ادرجها البوذيون في اسفارهم لمّا اجتمعوا بالمسيح وعرفوا كونه من ارباب الكرامات (الخوارق) ايام جاء حضرته في الهند والقى المواعيظ حيثما ذهب. بل وانهم عدُّوه بوذّاً (عارفاً — حكيماً متنوراً) من بوادّهم وذلك شأن الجبلّة البشرية بان الانسان يحاول — كيف ما كان — ان يلتقط الحكمة حيث وجدها» الصحيفة ٧٦ من الكتاب «المسيح في الهند.» ويقول في الصحيفة ٨٤ منه ما تعريبه: — ولكن لا نستحسن اصلاً من الباحثين (*) الاوربيين طريقتهم تلك في البحث اي محاولتهم في العثور على اثرٍ من الآثار يستدلون بها على نفوذ الديانة البوذية في ارض فلسطين في عهد المسيح عليه السلام. أتأسّف لِمَ يلتمس هؤلاء المحققون هذه الطريقة العوجاء ويبحثون في فلسطين عن آثار البوذية والحال انَّ في اسفار البوذية القديمة اسمَ المسيح وترجمة حياته! فهلاَّ يقصّون آثاره المباركة في كشمير وتبت ونيبال؟»

ان الامر المحقق بان البوذيين لهم حسن الاعتقاد بالمسيح وانهم يعدونه مظهراً جليلاً من مظاهر البوداغوتاما حلت فيه روحه حلولها في غيره من العباد الصالحين وانهم لا يزالون يقرؤن في اسفارهم «ان ايسا» اقام في الهند وانه تلمذ لاحد البوذيين برهة من الزمان

(*) يشير حضرته الى ما كتبه العلامة ميكس ملر في المجلة المسماة Nineteenth Century اي القرن التاسع عشر في اكتوبر سنة ١٨٩٤

حتى اقتبس من انوار البودا العظيم و« تبدّه » على مثاله اي صار مثله في الاستنارة والعرفان وانه قام بعد ذلك يتنقل من مكان الى مكان في ارض الهند وجعل يعظ اهلها من الهنود وبني اسرائيل حتى ذاع صيته في عرض البلاد وطولها · ان هذا الاعتراف الموجود في الاسفار البوذية القديمة من قِبل البوذيين الشماليين لوحده يكفي ان يثبت ان قيامه ذاك في بلاد الهند لم يكن ابداً قيام تلميذٍ حدَثٍ يقضي بضع سنين من عمره ثم يمضي لسبيله فاذا بالبوذيين في قلوبهم عظمته كعظمة البوداغوتاما وفي عيونهم دهشة كالدهشة التي اخذتهم من جراء حكمة البودا العظيم · هل سمعتم بمثل هذه الاحدوثة ان "غريباً في حداثة سنّه جاء من اقصى الارض الى قطر مترام الاطراف يجهل اهلُه لغته وهو يجهل لغة اهله مكث بين اظهرهم ست سنين فقط يدرس منهم علم اللاهوت حتى بلغ في اثنائها الشأو الاقصى والغاية المنتهى مما يستطيع ان يبلغ مثله الاذكياء في مدة تتراوح فيما بين الثلاثين والاربعين عاماً ثم تأخذه الشفقة على الاقوام المرذولة وينال منه الهم العظيم من اجلاهم فينهض لمساعدتهم ولخلاصهم من ظلم الكهنة (*) والبراهمة فيعلو بصوته ضد مفاسدهم ويقيم النكير على مظالمهم وتقوم الحرب بينه وبينهم فاذا به ينهزم في جهاده هذا

(*) طبقاً لما نقله نكولاوس نوتووش الروسي عن الروايات البوذية الشمالية عن بودا ايسا راجع الصحيفة ١٦—١٧٣ و١٨٢ — في كتابه The unknoun Life of Jesus Christ

ويفرّ بوجهه من تلك البلاد الى بلاد فارس حيث يلاقي ما لاقاه في الاولى ثم يهاجر هذه ايضا فى نوبتها ويقبل على وطنه الاول حيث يقاسي اشد الالام ويشرب كأس المنون . ثم يُطوى ذكره كطيّ السجل وينتسج حوله حجاب النسيان وجميع هذه الحوادث العظام تتوالى بسرعة غريبة وتنتهي في بضع سنين . ثم لما بعثرنا مدرجات الرقيم العتيق فاذا بذلك الغريب ماثلاً على قمة المجد الاثيل على قمة البودغوتاما واذا بحياته حياتُه وشأرته وشارته هذا في ذاك وذاك في هذا . كلاّ ان ادراك هذه المكانة العليا في قلوب البوذيين لا يمكن البتة بتلك النزالة التي يقال ان المسيح نزلها في نعومة اظفاره ولا هو مستطاع بجهاد بضعة اشهر يقال ان المسيح قام به بين البراهمة عند ما اكمل دروسه . ألا ان الصوغة التي صاغ فيها المسيحُ البوذيةَ الشمالية وتاريخها القديم لتدلّ دلالة صريحة على مقدار القوة التي ابذلها حضرته بين الاقوام الضالة الشمالية وعلى مدى السنين الطوال التي قضاها هنالك بين الجبال وفي الاودية المنقطعة عن باقي المعمور في ذلك العهد البعيد المظلم .

ثم إنّ عكس القضية كلها رأساً على عقب (اي مجيء المسيح الى الهند للتحصيل ونشوءه بين البوذيين واقتباسه من انوار البودا وتمثله به وتبليغه الرسالة في الاقطار الهندية قبل غيرها ثم فراره من وجه

البراهمة الى فارس وإقامته هنالك برهة من الزمان ثم هربه(*) منها مخافة الاضطهاد الكهنوتي ثم دخوله في وطنه فلسطين ومشايعة اليهود له ومعاندة الحاكم الروماني ومراقبته اياه بالجواسيس وشفاعة القضاة العبرانيين فيه وخيبتهم في تخليصه وانصراعه الاخير على خشبة الصليب بمشيئة ذلك الحاكم واصراره وعلى كرهٍ من اليهود وخلاف احتجاجهم الشديد) لامرا متعمداً ودفينة من التاريخ ثمينة لا تخفى ماهيتها على المتبصرين . مما لا ريب فيه ان البوديين الشماليين (اولئك الذين في تبت وكشمير ونيبال والصين) تصرفوا في ديانتهم وانهم انتحلوا لبوداهم ما كان لبودا عيسى وانهم خاطوا بين سوانحهما او إنْ احسنّا الظن فقلنا انهم عندما اخذوا في تدوين سوانح البوداغوتاما بعد ثمانية مائة سنة من وفاته او بعد مائتي سنة من بودا عيسى لم يروا بأساً ان يقتبسوا من تعاليم « بودا ايسا » وحياته ما راقهم وان يدمجوا المثيل في الاصيل اعتقاداً منهم انهما شيء واحد .

ولكي لا تظهر هذه الثنوية ولا يتضح ذلك الانتحال ولاجل ان تبقى الوحدة ماثلة بهيئتها قالوا باقتباس المسيح انوار البوذية وجعلوا مكثه بينهم اقل ما يمكن وختموا حياتـه في اقصى الارض ورفضوا القول أن اليهود تعنتوه او اجترموا الجريمة الشنيعة ، لما قد شاهدوا من اقبال شعوب اسرائيل الشمالية عليه واجابتهم لنداداته اجابة حسنة

(*) طبقاً للرواية البوذية المشار اليها — راجع الصحيفة ١٨٢ من الكتاب حياة المسيح المجهولة

واقلّ ما تدل عليه الرواية البودية الشمالية التي نقلها لنا السيّاح الروسي هو اننا اذا اردنا التتبع لسفر المسيح الهائم على وجه الارض وجداً على الشعوب الضالة فعلينا ان نبحث عنه بين الجبال الشمالية الهندية في ربوة من ربواتها — ذات قرار ومعين . واذا ما عثرنا هنالك على اثر مستند من آثار « بودا ايسا » النبيّ بصورة رواية او قبر او كتاب ، فهنالك القول الفصل في القضية المعكوسة التي عرضتها علينا الاساطير البوذية والتي فحصتُ من شأنها طويلا في بطون التواريخ لأَرى اصليتها واصلية روايات البوديين الشماليين عند علماء التاريخ الثقات وقد عرفتم منها شيئاً غير يسير وها اني باحث الآن عن آثاره عليه السلام في البقعة الشمالية من ارض الهند لتكونوا على بصيرة تامة مما سبق في شأنه من القول .

بلغ احمدَ المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام انه يوجد قبر لنبيٍّ في زقاق خان يار بمدينة سرى نكر في ولاية كشمير فانبعث حضرته يستكشف عن تاريخه وتاريخ المدفون فيه فكتب الى بعض من اصحابه من اهالي كشمير فورد الرد هاكم تعريبه :—

« من عبدالله الى حضرة المسيح الموعود : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — قداستكم ! اني وفقاً للامر الذي تفضلتم به ذهبت الى سرى نكر حيث موقع المزار الشريف مزار شاهزاده (ابن الملك) يوزآسف نبي الله عليه الصلاة والسلام وتفحصت عنه بجهد الامكان وسألت ايضاً الشيوخ المعمّرين واستنشأت الخبر بجميع الوجوه عند

المتولين ١(*) والجيران .

سيدي فالذي عرفته عند التحقيق هو ان المزار — لا شك — لحضرة يوزآسف نبي الله عليه الصلاة والسلام وانه واقع في محلة المسلمين لا يسكنها من الهنود ٢(*) من احد ولا لهم هنالك من جبانة وظهر لي من شهادة الثقات ان المزار المشار اليه منذ ١٩٠٠ سنة تخميناً وان المسلمين يعتبرونه كثيراً بنظر الاحترام العظيم ويزورونه .

والظنون عامة ان الضريح المذكور يضم في داخله نبياً عظيماً كان قد جاء الى كشمير من غير الارض يريد نصيحتهم ويقولون انه كان بست مائة سنة قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . غير انه لما ينكشف للآن لمَ جاء في هذه البلاد وقد اصبح من المحقق الثابت وبلغ الامر الى درجة اليقين المنتهى — بناءً على شهادة التواتر — أنّ صاحب الضريح الذي جعل الكشميريون يسمونه يوزآسف هو نبي وابن ملك . وليس له بين هنود هذه الضواحي لقب آخر مشهور كمثل لقب راجا او اوتار او ريشى او منى او سده وغيرها من الالقاب الهندية وجميعهم يلقبونه بكلمة النبي ومعلوم أنّ هذه الكلمة مشتركة فيما بين المسلمين وبني اسرائيل وبما انه لم يأتِ نبي بعد نبينا ولا يمكن ان يأتي ، يرى مسلمو كشمير بالاتفاق انه كان قبل الاسلام ولكن لم يصل المسلمون الكشميريون منه الى نتيجة معلومة من انه ما دام اللفظ « نبي » مشتركاً بين الامتين المذكورتين

١ (*) سدنة القبر ٢ (*) اي المجوس والبوذيين

فقط اي المسلمين و بني اسرائيل وما دام لا يبعث بعد خاتم النبيين من نبي تقرر لازماً انه كان نبياً اسرائيلياً ، لان اللفظ المذكور لم يُستعمل قط بلسان آخر . ثم إن شهادة التواتر التاريخي — وهي ان النبي المذكور كان قبل نبيّنا بست مائة سنة — تزيد في قوة الاستدلال وتميل بالقلوب الذكية الى الاعتقاد بان حضرته هو المسيح عليه السلام لاغير وذلك لانه هو النبيّ الاسرائيلي الذي مضى عليه ست مائة عام قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم يزداد الامر وضوحاً اذا ما امعنا النظر في تسميته بابن الملك فانه لم يشتهر غير المسيح بهذا اللقب في اثناء المدة المذكورة . وعدا عن ذلك تدل عليه المشابهة اللفظيّة بين يوز ويسوع . ثم ظهر لي دليل آخر عند معاينة موقع المزار وهو ان القبر — كما يرى من خريطة المقبرة الملحقة . واقع شمالاً جنوباً ويظهر انّ الرأس جهة الشمال وقدميه جهة الجنوب وإنّ هذه الطريقة في الدفن مخصوصة باهل الكتاب والمسلمين . وهناك دليل آخر — مؤيد لما سبق وهو انه يوجد بالقرب من الضريح المذكور — على مسافة غير بعيدة — جبل معروف اسمه كوه سليمان . وهذا الاسم يدل على انه لابد ان قد جاء (*)

(*) ان المكتوب المذكور اشاعه احمد المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في كتابه « رازحقيقت » و بازاء الاستدلال المذكور حاشية هذا تعريبها : لا يستلزم ذلك ان المراد من سليمان « سليمان النبي » بل ويظهر ان الجبل غالباً اشتهر باسم امير اسرائيلي اسمه سليمان . من عادة اليهود الباقية حتى اليوم انهم يُسمّون باسماء انبياءهم . وعلى كل فان اسم الجبل دليل ايضاً على ان شعباً من اليهود مرَّ بكشمير ... الخ

هناك بنيّ اسرائيليّ ومن الجهالة في غاية عظيمة ان يقال عن هذا النبي انه من الهنود · لعمري ان ذاك الخطأ فاحش نحن في غنى عن دحضه بين ايدي هذه البراهين النيّرة · كلا لا توجد الكلمة (النبي) في السنسكريت ابداً · بل انما تختص هي بالعبرانية · وليس الدفن طريق الهنود بل انهم يحرقون موتاهم · ثم ان هندسة القبر ايضاً تقطع باليقين انه لنبيّ اسرائيلي · في القبر من جانب الغرب فتحة يحكي الناس ان الرائحة الزكية كانت تفوح من داخلها · وهذه الفتحة واسعة بعض السعة ، تصل داخل القبر واليقين انها انما فتحت لقصد هامّ · ولعل بعض الاشياء من اشباه الرقيم دفنت فيه · يظن العوّام ان فيها خزينة وهذا الظن لا صحة له غير ان وجود هذه الفتحة في القبر هو خلاف المعمول في جميع البلدان ويخال منه انها لا تخلو من سرّ · ومن عجب العجائب بقاءها على حالها منذ مئات السنين · ويقول الشيعة ايضاً — من اهالي هذه المدينة — ان القبر لنبي جاء من قطر آخر قصد السياحة وكان يلقّب ابن الملك · اراني الشيعة كتاباً اسمه عين الحياة في الصحيفة ١١٩ منه قصة طويلة مروية على سند ابن بابويه الدين واتمام النعمة وهي كلها خرافات لا معنى لها غير ان الكتاب واكمال كمال الدين فيه من الحق هذا القدر فقط وهو اقراره بان النبي يوزآسف كان سيّاحاً وابن ملك ورد في كشمير من الخارج وبأن القبر واقع في الشارع (بل يمين) اذا ما جئته من المسجد الجامع جدار المقبرة الأيسر وراءه شارع والى الطرف الأيمن منها مسجد

عتيق . يظهر انه انما بُني هنالك تبركاً في اقدم الازمان » .... الى آخره . راجع الصحيفة ١٦ من الكتاب « راز حقيقت ». هكذا بدأ احمد المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام يستنشيء الاخبار واحداً فواحداً حتى بلغ الى غاية الايقان فاعلن بين الناس في نشرة اسمها « رازحقيقت » ان المسيح ابن مريم الذي توفي فيمن توفى من الانبياء والرسل — مدفون في ربوة كشمير وان هذه الربوة عينها التي ورد ذكرها في القرآن المجيد في الآية : — وآويناهما (المسيح وأمه) الى ربوةٍ ذات قَرار ومَعين وذلك اولاً لان كشمير وحدها تجمع في ارضها كونها مرتفعة ذات قرار ومعين

وثانياً لان يوزآسف المدفون في كشمير وهي البقعة من البقاع الشمالية من الهند حيث — كما تقول الروايات على اختلاف مصادرها — جاء توما وغيره من الحواريين والمسيح نفسه ان هذا المدفون في هذه الارض بين الشعوب الاسرائيلية الضالة هو يسوع عينه وذاته لا غير فانه هو وحده النبي الاسرائيلي الذي تجشم الاهوال الجسام وركب على سفائن الاخطار واستقبل صرد الليل وعراء المبيت وحر الهجيرة ومضلة الطريق وذاق ضورة الجوع وغلة العطش وقاسى لفحة الرمضاء وجفوة الاجتواء وقطع المفاوز وجاب الجبال حتى وصل الى شمال الهند ينشد ضالته من خراف بيت اسرائيل . وناهيكم — عدا هاتين القرينتين — القرائن والدلائل الكاشفة للسر المكنون من الشهادات التاريخية والاثرية واللغوية والمماثلة التعليمية مما عثرنا عليه في الكتب

القديمة ومما يمكننا ان نستنبطه بطريق المقارنة والموازنة برعاية القياس الصحيح والمنطق المستقيم واليكم فيما يأتي بيان كل ذلك مفصلاً :—

الشهادة التاريخية

جاءَ في «تاريخ كشمير عظمى» في اثنـاء تذكرة السيد نصير الدين الذي مرقده بجانب ضريح يوزآسف النبي ما نصه : —

درجوار ايشان سنگك قبرى واقع شده درعوام مشهوره است كه آنجا بيغمبر آسوده است كه درزمان سابقه در كشمير مبعوث شده بود . اين مكان بمقام بيغمبر معروف است — در كتابى ازتواريخ ديده شده كه يكى از سلاطين زاد هـا براه زهد وتقوى آمده رياضت وعبادت بسيار كرد — برسالة مردم كشمير مبعوث شده در كشمير آمده بدعوة خلائق اشتغال نمود وبعد رحلت درمحله انزه مره آسود — دران كتاب نام آن بيغمبررا ايوزآصف نوشت — انزه مره خانيار متصل واقعه است — الصحيفة ٨٢ وتعريبه : — بجواره (اي بجوار السيد نصير الدين رحمه الله) رجمة مشهور عنها بين العوّام انه في المكان هنالك نبي راقد كان قد بعث في كشمير في غابر الزمن وهذا المكان معروف بمقام النبي وُوجد في كتاب من كتب التواريخ ان بعضاً من ابناء السلاطين سلك سبيل الزهد والتقوى وتجرد للنسك والرياضة حتى بعثه الله رسولاً الى اهل كشمير فقام بدعوة الخلائق وبعد الوفاة دفن في المحلة انزه مره واسمه في ذلك الكتاب يوزآصف والمحلة المذكورة متصلة بخانيار . (في سرى نكر)

ومثل هذا الخبر في الكتاب تحائف الابرار في ذكر اولياء الاخيار روايةً عن خواجه اعظم مصنف تاريخ كشمير المذكور إلا انه جاء ايضاً برواية اخرى كما يلي : — « يوزآسب كه از احفاد حضرت موسى كليم الله على نبيّنا وعليه السلام بود نزدسلطان زين العابدين بطريق رسالت مامورساخت . » والمعني أن يوزآسب الذي كان من احفاد موسى كليم الله على نبيّنا وعلية السلام بعث مأموراً على طريق الرسالة عند السلطان زين العابدين . ثم اتبع المصنف المذكور هذه الرواية بثالثة هي : در كتاب سوانح عمري كه درعربى است كه يوزآصف مذكور (*) راجه‌زاده بودسا كن مقام شولابت—از وطن مالوف خودسير كنان در كشمير رسيده بعد توقف در آنجا انتقال نمود ودر محله آنزمره مدفون شد ومحله آنزمره از محله خان ياراست . » اي ورد في سيرة عربية ان يوزآصف المذكور كان ابن راجا (لقب هندي معناه عاهل) من اهالي الولاية شولابت خرج من وطنه المألوف تنزّهًا حتى دخل كشمير وبعد مدة توفّي هنالك ودُفن في زقاق آنزمره . وهي جزء من محلة خان يار . »

وبعد سردهذه الروايات المتعارضة يقول صاحب الكتاب المذكور :— «هر گاه كسى از روىء قطعي ويقيني گويند كه در مقبره مذكور پيغمبر از پيغمبران يابغينه حضرت عيسى روح الله على نبينا وعليه الصلاة

(*) ليلاحظ القراء هنا ان راجا لقب خاص بملوك المجوس والمجوس كما هو معلوم لا يدفنون موتاهم بل يحرقونها

والسلام مدفون است بگمان اینکه ترجمه عیسی بزبان سریانی یوزآصف ست محض کذب وافتری و بهتان صریح است . »

اي من يقول على يقين انه مدفون في تلك المقبرة احد من الانبياء او عيسى روح الله بعينه زعماً منه ان مترادف الاسم عيسى في اللغة السريانيـة يوزآصف . فقـد افترى كذباً وبهتاناً . راجع الصحيفة ٣٤ منه .

لم اطّلع حتى الآن على سند مكتوب يُرى منـه ان صاحب القبر المذكور ظُنّ فيه يوماً من الايام انه عيسى بعينه قبل اعلان احمد المسيح الموعود عليه صلوات الله وسلامه . على انه بلغني من بعض الوافدين من كشمير ان المزار قـد سُمّي ايضاً قبر « عيسى نبي » والذين يسمونه بالاسم المذكور هم من الزوّار المعمّرين من اهل القرى الذين يجتمعون حول الضريح مرة في كل سنة تيمناً ببركات المدفون وكذلك قرأت في تاريخ العلاّمة الطبري قصة طويلة جاء فيهما نصه:— ثم دخل علينا اناس من اهل ماه من الفرس (فارس) يبتغون الخَرَز فقلت هل من كتاب فقالوا نعم فاخرجت اليهم الحجر فاذا هم يقرءونه فاذا هو بكتابهم — هذا قبر رسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام — الى اهل هذه البلاد فاذا هم كانوا اهلها في ذلك الزمان مات عندهم فدفنوه على رأس جبل » راجع الصحيفة ٧٣٩ من الجزء الثاني من مطبوعات Brill بالمانيا .

ان اقلّ ما يُتبين من هذه الرواية هو ان اهلَ فارس قـد

بلغهم يوماً من الايام عن وفاة عيسى ودفنه في جبل من الجبال ايّاً كان ذلك الجبل لا يعرف من الرواية المذكورة باليقين واما السيرة العربية التي اشار اليها مؤلف تحائف الابرار فهي الكتاب المشهور باسم بلوهر ويوزآسف واسمه في المترجم اليوناني واللاتيني والانكليزي وغيره من الالسنة الاوربية برلام وجوزف او جوزافيت وهذا الاسم — كما يصرّح الاستاذ كى · ايس · ميكدانلد — مأخوذ من الاسم العربي المذكور، يقول فيه ما نصه : —

The Christain author of the story got his Buddhistic material most likely through Arabic: and Bodist in Arabic is Yudastf, and this to a Creek Ghristian, well versed in his old Testament, would. readily change into Joasaph , and that into josaphat . p. 54

ان الكاتب المسيحي (يوحنا الدمشقي) اقتبس المواد البوذية من العربية في الغالب الارجح · وبودست في العربية يوداآسف وهذا عند المسيحي اليوناني الخبير بالعهد العتيق جوزف وهذا الاسم الاخير يتبدل سريعاً في جوزافيت · راجع الصحيفة ٥٤ من الكتاب جوزافيت وبرلام · ونجد اسم الكتاب المذكور في كتاب الفهرست للعلامة الشهير ابن نديم في جملة اسماء الكتب الهندية التي نقلت إما من السنسكرتية رأساً او بالواسطة من اللغة البهلوية (الفارسية القديمة) وكما ذكرت سابقاً ان اسم صاحب المزار المعروف في كشمير هو يوزآسف وفي الفارسية يوزآصف او يوزآسب · وسنبحث عن الاسم الحقيقي في ما بين هاتيك الاسماء والحقيقة بنت البحث · وقبل ان استعرض

رؤوس المواضيع المشتمل عليها هذا الكتاب ارى مناسباً ان افيد القراء الكرام بشيء من تاريخ تدوينه وإشاعته في العالم ·

اثبت الاستاذ لائي [1] بريخت والاستاذ ميكس [2] مولران الكتاب المذكور كان في الاصل بالسنسكرتية عند البوذيين الشماليين ولم ينتبه احد الى كونه من المصدر البوذي يوماً من الايام في اثناء جميع القرون الطوال اللوائي مضين منذ اشاعته الاولى الى منتصف القرن التاسع عشر الاخير عندما اشاع العلاّمة لابولائي [3] اكتشافه عنه في «الباحث [4]» في يوليو سنة ١٨٥٩ · يقول الاستاذ كيوهن [5] ان العرب اعتنوا شديداً بنقله الى العربية وحفظه · وهو اليوم موجود فيها بصور ثلاث مختلفة اقدم نسخة منه هي التي توجد الان في العربية باسم بلوهر ويوزآسف والتي تطابق الترجمة اليونانية في شيء كثير والصورة الثانية هي القصة المندرجة في الكتاب اكمال الدين واتمام النعمة (من كتب اهل التشيع) وكلا الكتابين بين يديّ قرأتُهما مراراً · يظهر من مطالعة الكتاب الثاني ان الشيعة رغبوا في مواضيع رغبة شديدة حتى انهم نسبوه الى علي بن حسين بن علي عليه السلام واختلقوا لاجلها روايات عديدة من جملتها الرواية الثانية اي رواية السلطان زين العابدين المنقولة من تحائف الابرار فيما مضى ·

والصورة الثالثة في شكل احاديث جمعها ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمّي الذي كان في القرن الرابع الهجري ·

---

1 Liebrecht 2 Max Muller 3 Laboulaye. 4Debates. 5 suhn.

ان يوحنا الدمشقي طبيب ابي جعفر المنصور نقل الكتاب بلوهر وبوداسف الى اليونانية في القرن الثامن العيسوي ومن النسخة العربية المعروفة تُرجم الى الفارسية والحبشية والارمنية والعبرانية ومن النسخة اليونانية نقل الى اللاتينية والالمانية والفرنسوية والايطالية والهولاندية والسكانديناوية والاندلسية والانكليزية والبوهيمية والبولاندية والآئيس لاندية والتكلية (لغة الجزائر فلبائن) — فهي اليوم توجد في اهم لغات العالم ولها عند البوذيين والمسيحيين وفريق من المسلمين مقام مقدّس — يظن البوذيون ان المواعظ والامثال المندرجة في الكتاب المذكور من كلمات بوداتاما ويقول الشيعة انها من فيوض الفصاحة العلويّة ويعتقدون المسيحيون انها من نفحات الحكمة المسيحية حتى انهم اعتبروا يوزآسف وبرلام من قدّيسيهم وجعل بعضهم — اي اليونانيين — السادس والعشرين من شهر آغست عيداً للقديس ايساف (Josaph) ابن اب نر (Abner) ملك الهند ودشّنوا اليوم المذكور فيما بين السنة ١٣٧٠ — ١٤٠٠ ب٠م وكرّس بعضهم السابع والعشرين من نوفمبر عيداً باسمها (اي بلوهر وآسف) معاً فيما بين السنة ١٥٨٥ — ١٥٦٠ ٠

يقول الاستاذ كي — ايس ميكدانلد ايم — اي حكاية عن الاستاذ راي داود : —

„ when and where the were first canonised I have been unable, inspite of much investigation, to ascertain. The oldest lists of saints in which we find the name is that of Petrus de Natalibus, Bishop of Equilium 1370—1400. In the Greek Church their day is August, 26 th. In its Manual of Worship Joasaph is described as the holy Josaph, son of Abner, King of India. Barlaam, who is

not recognised as a saint in th Greek Church, is not even mentioned. But the Abyssinian Church has canonised both Barlaam and his ass."

see pp. Liii, Introduction to
BARLAAM & JOASAPH.

خلاصة القول المنقول انه لم يعرف حتى الآن متى وأنّى قُدّس يوزآسف وبرلام اوّلاً في الكنيسة المسيحية وان الكنيسة اليونانية لا تعدّ برلام من قديسها حتى ولا ورد ذكره في كتبها خلاف كنيسة الاحباش فانها قدّست برلام مع حماره (واظن انها انما فعلته زعماً منها انه بلعام المذكور في الاصحاح الثاني والعشرين من السفر الرابع من العهد العتيق . « بلعام الذي ارسله الملك بالاق صفّور ليلعن بني اسرائيل ولكنه باركهم خلاف مشتهاه » . وزد على ذلك ان المسيحيين والرومانيين ايضاً اتخذوهما قديسين وجعلوا اليوم السابع والعشرين من الشهر نوفمبر عيداً وفيما بين السنة ١٥٦٠ ب . م اجاز البابا سكستس الخامس (Sixtis the Fifth) استعمال تاريخ الشهداء الذي ألّفه ألكاردينال بارونس (Cardinal Baronius) في الكنائس الغربية جميعها . نجد في هذا التاريخ اسمَي بلوهر ويوزآسف مع اسماء جملة القديسين الذين يُعيّد باسمهم في نوفمبر السابع والعشرين وهذا عنوانهم فيه:

The Holy sanits Barlaam and Josaphat of India on the borders of Persia Whose wonderful acts Saint John of Damascus has scribed. p. 177 of the edition of 1873

اي البارّين القديس برلام وجوسافت الهنديين على حدود فارس الذين روى اعمالها العجيبة القديس يوحنا الدمشقي . » الصحيفة ١١٧

من طبعة السنة ١٨٧٣ ·

هذا وقد بلغ الهوس من بعض الشعوب المسيحية مبلغاً غريباً حيث انهم بنوا كنيسة باسم جوزافت في بالرمو مدينة من مدن سسلى وحتى ان عدداً كبيراً من كتّابهم الّفوا الكتب الضخمة محاولة منهم ان يثبتوا ان برلام ويسافيت لم يكونا الاّ من تلامذة المسيح عليه السلام واما المعتدلون منهم في الرأي يرون ان يوزآسف هو بوداغوتاما نفسه : يقول كى · ايس · ميكدانلد في مقدمة الكتاب برلام و بوسافيت : —

The discovery that Joasaph or Joasaphat of our story was none other than Buddha was made at the same time and independently of one another, by French, German and English scholars. The writer himself admits that The story came from India. Any one can recognise it as none other than that of Buddha as told in the Làlita Vist-ara. Suffice it to say that the identity of Buddha and St. Josaphat can not be questioned Etc. .... p. Lii.

خلاصته أن يوزآسف والبودا هما شخص واحد وهي حقيقة اكتشفها الفرنسيس والالمان والانكليز في وقت واحد. وكل على حدتهم · وان الدليل على شخصيتهما الواحدة هو المماثلة التامة بين سيرة البودا المذكورة في للت بستار وسيرة يوزآسف المشار اليها ·

وجدير بالقراء الكرام ان يعلموا شيئاً عن لالت بستار هذه · يقول كى ايس ميكدانلد ما لفظه :

The other most popular work in the Northern Canon is Lalita Vistara, which is extant in various forms and renditions and in various languages. The Sanskrit, translated by the late Dr. Rajen-

dra Lalla Mitra, and one of the Chinese version translated by Mr. Beal under the name of «The Roman Legend of which Chinese version is itself a translation of an enlarged edition of an older form of Lalita Vistara—all these differ very largely from one another. Buddhists do not seem to have ever hesitated to add to or subtract from their sacred books when ever it occured to any one of them to do so. As none of the many versions we possess can be traced up to a time anterior to the formation of the Christian canon they are of no use for our purpose." Introduction XXV.

تعريبه أنّ لالت بستار كتاب آخر من اشهر ما يكون بين المستندات الشمالية (البودية) وهو موجود الان في اشكال متنوعة وتراجم مختلفة وبألسنة متعددة . إن النسخة السانسكريتية التي ترجمها العلاّمة راجندرالالا متر واحدى التراجم الصينيّة التي نقلها الى الانكليزية بيل بعنوان الاسطورة الخرافية — وهذه الترجمة الصينية في نوبتها منقولة من ترجمة مبسوطة لأقدم شكل من اشكال لالت بستار — جميع هذه التراجم تختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً — وكما يظهر — لم يتردّد البوديون قط بان يزيدوا في اسفارهم المقدسة او ينقصوا منها متى ما خطر ببال احد منهم . وبما انه لم تكن ولا واحدة من هذه التراجم قبل المسيح فلا تفيد غرضنا . » راجع في مقدمة الكتاب المشار اليها الصحيفة ٢٥ .

ويقول نفس الكاتب في لالت بستار ما حرفه : :

The Lalita Vistara is frequently quoted or referred to as an authoritative life of Buddha, yet it is not in the Canon: though as one of the Nine Dhammas, it has authority with the Northern Buddhists. It was not in existence when the founders of the Southern Buddhists separated from the Northern and carried all the sacred books with them to Ceylon. As to its date authorities differ. The late Dr. Rajendra Lalla Mitra who translated a good part of it into English............ and some others are inclined to

believe that it was in China in 69 or 70 A. D, A Tibetan version is believed by Foucax to have been made not earlier than the sixth century of the Christan era, and Rhys Davids adds that it is "quite uncertain" how much older than the Tibetan version "the present form of the sanscrit work may be"; in a later work he dates it "any time from the first to the sixth century after Christ.."

p. XIX, Introduction.

وتعريبه : — كثيراً ما يقال أنّ لالت بستار كتاب مستند في حياة (بوداغوتاما) ولكنه ليس من الاسفار المقدسة (اي التي تسمى تري بتكا — الزنابيل الثلاثة) على انه احد الكتب التسعة التي يقال لها دهام وهي موثوقة بها عند البوذيين الشماليين . لم يكن (لالت بستار) في الوجود يوم انفصل البوديون الجنوبيون عن الشماليين وحملوا معهم الى سيلون جميع الكتب المقدسة . ان العلاّمة راجندرلالامتر الذي نقل الى الانكليزية جزءاً كبيراً منه . . . . . والبعض الآخر يميلون الى الاعتقاد بان الكتاب كان في الصين سنة ٦٩ او ٧٠ ب . م . ويرى فوك ان النسخة التبتية لم تترجم الا بعد القرن السادس المسيحي ويقول رائي داود انه غير متحقق كم قبلا كان المؤلف السان سيكرتى من الترجمة التبتية ولكنه — في تصنيف آخر — يؤرّخ الكتاب المذكور فيما بين القرن الاول والقرن السادس بعد المسيح . » وقد سبقتُ فذكرت — استناداً على آراء الثقات كمثل اولدن برغ وغيره — ان جميع السوانح البودية أُلّفت من بعد المسيح عليه السلام بمدة واننا اذا وجدنا في تلك السوانح ما يشابه المسيح فلا عجب ولا غرابة اذا هي كانت قد تسربت فيها بطريق المجاز او الاستعارة او الانتحال في جملة الاشياء التي دخلت في البودية

من بعد البودا . يقال ان لالت بستار يروي عن حياة البوداغاتاما نفس السوانح التي يرويها الكتاب «بلوهر ويوزآسف» عن يوزآسف ويتخذ هذا القول حجة وبينة يستدل بهما على شخصيتهما الواحدة وكان بالامكان ان يجوز علينا هذا الاستدلال المزخرف ويجعلنا نسلم باستقامة القياس لولا فقدنا لالت بستار عند البوذيين الجنوبيين كما فقدنا في كتب هؤلاء آثار الحياة المسيحية والآسفية وتعاليمهما ومواعيظهما وامثالهما مما نجدها في طوامير البوذيين الشماليين خاصةً . لماذا يا ترى يروي الشمال عن حياة البوداغوتاما ومواعيظه ما لا يرويه الجنوب ؟ هذا سؤال عويص حلّه الا اذا قلنا في جوابه ان ما يرويه الآن الشماليون عن البودا لم يكن في الوجود عند ما انفصل عنهم الجنوبيون واخذوا معهم ما اخذوا من الاسفار المقدسة قبل المسيح بمائة عام تقريباً (*) وانه اُختلق او انتحل فيما بعد وبما انه يلوح لنا من

(*) راجع لذلك علاوة على ما ذكرت سابقاً الصحيفة ٣٥ من الكتاب ديانات العالم (*The religions of the world*) حيث يقول الكاتب اي . وي برائس ما نصه :

As one result of this Council (i. e. the third couucil) which was held at Patna under the auspices of Asoka a number of missionaries were despatched to proclaim the doctrine of Buddha in various countries, as China, Thibat, Japan and Ceylon, where subsequently, about 100 B. C. the three Pitakas (baskets) or collection of treaties, which form the original Bible of the Buddhist, were translated into Singhalese. In Ceylon the Buddhist faith has preserved its earliet form and purity more than in any other country where it is professed." وخلاصته ان البوديين في الصين حافظوا على ديانتهم وتاريخها اكثر من اخوانهم في الشمال او غيره

خلاله مخائل الحياة المسيحية والآسفية لا يبعد ان قد ادمجت هذه في تلك على سبيل اقتباس الأحسن . ولنا دليل آخر ادحض للقياس المذكور وهو قبر يوزآسف الموجود في المحلة خان يار ووجود القلل الثمان التي تحتوي رميم البوداغوتاما الذي ما كان دفن بل احرق على عادة الهنود القديمة . يقول اى . وى برائس في كتابه The religions of the world (ديانات العالم) :

Gautama died at the ripe age of eighty, and the remains of his bones after cremation were deposited as precious relics in eight great topes, or mound shaped monuments, in various parts of India, and became objects of the greatest veneration."

p. 30

اي مات غوتاما كامل السن في الثمانين من عمره واستودعت بقايا عظامه بعد الحرق كذُخر قيّم في ثماني قلل عظيمة او رواميس بشكل آكاميّ في نواحي الهند المختلفة وصارت شعائر اعظم احترام» الصحيفة ٣٠ . هذا واما رُجمة يوزآسف المعروفة فهي اشبه شيء برجام بني اسرائيل بجميع حدودها واوصافها وهي لم يتخذها البوديون قط مشعراً من مشاعرهم حتى نظن بمدفونها انه البوداغوتاما . نسلّم ولا ننكر ان يكون قد سُمّي صاحب الرجمة الكشميرية ايضاً بلقب بودا بمعنى الحكيم العارف كما قد لقّبوا كهنتهم الابرار بذلك اللقب مثل بودا سِنتها وكما لقبوا ابن مريم وقالوا بودايسا ولكننا لا نسلّم ان بوداآسف هو البوداغوتاما نفسه وعينه الذي جاء ذكره في لالت بستار الذي أُحرق بعد الممات وذهبوا برفاته شذر مذر واودعوه رواميس آكامية الشكل —

لا فقط من اجل ان جدثه مختلف الهندسة من اجداث البوداغوتاما المخروطيّة وان مزاره لا يزال في ملك الشعوب الاسرائيلية المسلمة لا تفتأ تزوره على خلاف عادة البوديين في زيارتهم لمزاراتهم — بل وايضاً من جراء ما نحن نقرأه من الشهادات المناقضة للزعم المذكور في نفس الكتاب المنسوب الى بلوهر و يوزآسف ·

ومن هذه الشهادات الداخلية خطاب جينسر لبوذا آسف الذي يحاول به اقناعه بمذهبه وردعه من مسلكه في النسك والزهد · يعدّد جينسر في خطابه هذا اجداده الاول ومحاسنهم ويصف تمسكهم بدين البودا العظيم — بدءاً من جدّه الاول بيسم المعاصر للبود الاكبر ويقول « واني لأجري من ذلك على رأي وثيق واثر سابق من قول البدّ لجدنا بيسم انزل الولدان ولدك ومسنّات النساء امهاتك · · · · ·

ثم استخلف البدّ بيسم حين مضى فلم يكن به نقص عنه في علم ولا حكمة ثم كان شبهني ابن بيسم من اعدل ملوك الهند سيرة · · · · ثم كان فلنطين بن تلذين وهو ابي الذي ولدني الزم الناس بطريقة البد واقومهم على سنته حتى تفرقت السبل باتباعه فحدثت فيهم البدع ودخلت عليهم الشبهات فالهم الرشاد وعصم من الزيغ وثابت اليه العقول وانتهى الى رأيه الشيخ الاعظم من اتباع البد ولم يخالفه الا شقي محجوج · · · · · ولم يكلفهم البدّ اكثر من ذلك ولم يرَ عليهم نقصاً في لزوم الملك ولا لهم فضلاً في تركه اذا اقاموا العدل ولزموا منهاجه فما الذي ابتلينا به منك في خديعة نصبها الشيطان لك على لسان هذا

الساحر (بلوهر) ‥‥‥ » فيرد عليه يوزآسف ويقول للملك جنيسر : سكّن روعك ايها الملك وابصر رشدك واعلم انه لم يبق احد من اهل الارض يحقق ما تدّعي من موافقة البد بهديه وفعاله ‥‥‥ ثم اضطراري اياك بما لم ينكر من سيرة البد الى الاقرار بانّا اولى بالبد ولزوم هديه ممن خالفنا ‥‥‥ الى آخر المجادلة التي حصلت بينه وبين الملك جنيسر المزعوم ابوه ومن والاه من حزبه — راجع الصحيفة (١٩٥ — ٢٤٠)

يرى، من هذا الحوار اولاً ان يوزآسف هو غير البدغوتاما وانه كان في زمن تغيرت فيه الديانة البودية الاولى كل التغير وتطرق اليها الفساد من كل جانب وهو بدء العصر المسيحي وان يوزآسف لو كان خلف اباه جنيسر في عرشه وملكه لكان خليفة البودا السادس كما كان ابوه خليفته الخامس · هذا اذا اعترفنا بان القصة المروية في الكتاب المذكور واقعة صحيحة كلها لا يشوبها ادنى الغلط ولا داخلها شيء من مختلف الرواة — الامر الذي سنستوضح عنه فيما بعد واقل ما يعتمد عليه من المحاورة المذكورة هو ان بوذآسف هذا لم يكن البوداغوتاما وانه كان فيما بين القرن الرابع والخامس بعد البودا اذا اعتبرنا السبعين معدل العمر في الجهات الشمالية الهندية وان زمنه كان من تلك الظروف المظلمة التي تقتضي الوحي والنبوة والاصلاح بعد الفساد · يظهر ذلك جليّاً من اعتراف جنيسر لابنه المزعوم بتسرّب الفساد العظيم في ملّته البوذية كما يُرى ذلك من مَثَل الملك والصاغة

والخزنة الذي ضرب له بوذآسف في الجواب واستدلّ به على حلول أَوان النبوة قائلاً له افليس ايها الملك من الرأي لذلك الملك والحق عليه ان يوجّه الى تلك البلاد من يجمع الى تلك الخزانة ما أُنتهب من حكمة البودا ومن ينكل باهل المعصية ‥ ‥ ويستأنف صنعتها من العقيان الذي لا شائبة فيه، او ليس من العدل ان يفعل ذلك. قال جنيسر ان ذلك من العدل. قال بوذآسف فان ذلك كائن فهل ترى ايها الملك لأهل تلك البلاد ان يبادروا المراجعة قبل مجيء رسل الملك للتنكيل بهم ويعترفوا بذنوبهم ويبعثوا بما قبلهم ويقيموا وظيفتهم قال جنيسر لا أرى الا ذلك ... »الصحيفة ٢٣٢—٢٣٣.

وكذلك يظهر ذلك من مَثَله الثاني الذي ضربه بوذآسف للبهون اي مثل التاجر والطاوس والغراب قائلاً في تأويله: اما التاجر فالبد واما وزير الملك الذي دأَّس عليه الغراب على اسم الطاوس فهم ائمة عبدة الاوثان واما الطاوس فدين الله واما الغراب المخضوب فالبدعة التي لوّثت ائمتكم يشبهونها بالدين فاجبتَ اليها انت ونظراؤك من اهل الرغبة في الخير وقد جاء من يغسل عن البدع ما موّهت به من صواب الكلام حتى يظهر به فحشها وفضوحها وتبرز الحكمة بتمام صورتها ويظهر للناس حسنها وكرمها فارتاع البهون — وقال انت صاحب الطاوس يا ابن الملك قال انا صاحبه» الصحيفة ٢٦٨. يتضح اوضح الوضوح من مطالعة الجزء الاخير من الكتاب المذكور ان بوذآسف جاء بعد البوداغوتاما في زمن البدع الفاحشة والفساد الكبير ولم يكن

ليكون هو نفسه البوداغوتاما كما زعم بعض الكتاب الاوربيين زعماً خاطئاً جداً ولا ارى لخطإهم هذا سبباً الا انهم اعتمدوا على تراجم الكتاب بلوهر و يوداسف في السنتهم وهي كما نراها ظاهراً بمقابلة المترجم العربي ممسوخة الشكل في غايته مسلوخاً عنها ما كان يرجع الى ديانة البوداغوتاما وحياته مصبوغة بالوان الديانة المسيحية(*) المستعارة من اولها الى آخرها حتي وقد نزع عنها الاسم الصحيح وهو يوزآسف وُجعل محله ايسافيت او جوزافيت بخلاف المترجم العربي فانه اصح التراجم كلها مما بين ايدينا واحفظه منهـا على الاصل المنقول منه . ولخطإهم ذلك سبب آخر وهو ما وجدوه من بعض المشابهة بين سوانح البوداغوتاما المروية في لالت بستار وبين سوانح بوذآسف المروية في الكتاب المذكور فقالوا انهما شخص واحد تخيّلا منهم ان كلتي الروايتين أُدليت الينا من غير تصرّف فيها من قِبل الرواة . والحال انه لم يتصرف فيها البوذيون وحدهم على حسب هواهم بل قد تصرف فيها الناقلون المسيحيون والشيعيون ايضاً على عمـد منهم وعلم بانهم عاسفون فيما فاعلون بل وقد تزايدوا عليهم في التصرف بان حذفوا منها شيئاً كبيراً مما خالف معتقدهم وملأوا الفراغ وزخرفوه من عندياتهم

(*) اقرأ لذلك شهادات بعض الكتّاب الاوربيين ايضاً مثل أريس ماس وغيره ان شئت واني لأستغني عن ايرادها ههنا بما قمت بـه من التفحص والمقارنة الممتعة مستقلاً عما قاموا به هم ومتمازاً عن طريق استدلالهم ولك فيما يأتي من الابحاث شاهد قنعان .

يُعذر الروة الأولون بانهم — لما شرعوا في تدوين الروايات المتناقلة بين عامة الناس بعد بضعة قرون مضين منــذ وقوع الحوادث — لم يستطيعوا ضبطها بالحق الواقع والتبست عليهم الامور بعضها ببعض كما يحصل ذلك عموماً في النقل المتقادم عهده المتداول بين القوم مشافهة من غير كتاب او ترقيم كما اومأت اليه من قبل وسأُثبته عن قريب باستعراض مواضيع الكتاب بودا آسف ان فيه من التلميع شيئاً محسوساً ملموساً · نعم يُعذر الرواة الاولون لعذر معقول ولكن لن يعذر الناقلون المتأخرون من مسيحيين او شيعيين فيما ارتكبوه من التصرف المتعمد · يقول المسيحيون (*) انهم وجدوا في الكتاب المذكور من الامثال والمواعيظ وكلمات الحكمة مما لا يُتصور نسبته الى البودا غوتاما او الى رجل آخر بودي لمعارضته الديانة البودية بالصراحة مبدءًا ومعتقداً والذي هو اقرب الى المسيحية منه الى غيرها · لذلك فهم محقون فيما فعلوه من الحذف والتشذيب ومَلء الفراغ والتصحيف ووضع الكتاب في قالب جديد ملائم للصورة المتمثلة في خيالهم · نعم ان الامر لكذلك · فكما سوّلت للمترجمين المسيحيين انفسهم ان يصوغوا الرواية على هيئة مخصوصة موافقة لمذهبهم مغائرة لما كانت عليه لا يبعد ان يكون قد سوّغ لانفسهم ايضاً الكتبة البوذيون ذلك لعلة او حجة لا تقل اهمية عندهم عن اعذار المسيحيين في نظرهم · ومن يمعن

(*) راجع في مقدمة الكتاب جوزافيت و برلام الصحيفة ٢٢، ٢٦، ٣٢، ٤٢، ٤٧، ٥٢، ٥٣ ·

النظر في النسخة العربية منها ويتأمل في ديباجتها ويتدبر نسيج الرواية وحياكتها ويوالي اجزاءها بعضها عن بعض يتبين لا محالة ان سداها قصة مختلفة على اسلوب القصص التي ينشئها الروائيون عموماً ويُعنون بها لقصد سام من ابلاغ في الموعظة الحسنة او تسهيل في الفهم او تشخيص لعبرة من عبر الدهر او صيانة لنوادر التاريخ وسوانحه وأنّ لُحمتها حقيقة راهنة من حقائق الدهر الجُسام قد ألبست لباس القصة الآشّيه واشربت من التلميع الوان شتى ·

اما انها قصة مختلفة يظهر ذلك بجلاء من ان ترتيب الحوادث غير طبيعي وانها مفقودة التسلسل الضروري وان فيها تناقضاً بيّناً وتعارضاً محسوساً مما لا يُتصور وجوده في سراد صحيح · لا اراكم الاّ عالمين بان (بود) او (بوذ او بوذا بالعربية) لقب من الالقاب معناه العارف او المستنير او الحكيم يعطي لمن يحصل على حالة نروانا (اي الاطمئنان الكامل وهو اكبر معراج عند البوديين) بعد الرياضات والمجاهدات وبود مترادف للنبيّ او الرسول في مفهومه · فكما لا يلقب المولود نبياً مهماً تفرّس في مخائله وقيل في عظم مستقبله كذلك لا يلقّب احد بوذا عند ولادته ولكننا نقرأُ في كتاب بوداسف عن ولادته « وُلد للملك في تلك الايام بعد اياس منه من الذكور غلام لم يرَ الناس مثله مولود قط حسناً وجمالاً وضياءً فبلغ السرور من الملك بابنه مبلغاً كاد ان يسرف على نفسه وسمّاه بوداسف » الصحيفة ١٨ فهذه التسمية على خلاف العادة المألوفة · ثم انك اذا استقرأْت

المحادثة الاخيرة التي جرت بين آسف وبين ابيه المزعوم من ردّ وقدح وطعن وتشنيع ، علمت منه انه يخاطبه كما يخاطب الاغيار بعضهم بعضاً لا كما يخاطب الابن اباه وانه انما متّ الى ملك هندي لغايــة واضف الى ذلك تفحص بوذآسف الغلام عن النساك بداهة من تلقاء نفسه من غير ان يسبق اليه من ذكرهم او علمهم من شيء . (الصحيفــة ٣٤) ثم لما ان سمع عن النساك من الحاضن طال اهتمامه وحزنه وكان كالرجل الملتمس ضالته التي لا بد له منها وشاع خبره في الآفاق وشهر بجماله وكماله وعقله وفهمه وزهادته في الدنيا وهوانها عليه (وهو بعد في نعومة اظفاره . الصحيفة ٣٧) فبلغ خبره الى رجل من النساك (البوديين) من اهل سرنديب يقال له بلوهر فجاء اليه متنكراً بزىّ التجار فاخبره الحاضن بحضور تاجر يريد ان يعرض عليــه بضاعته فأحسّ قلب بوذآسف انه قد اصاب ضالته فقال له عجّل عليّ بادخاله وليكن ذلك ليلاً في سر مكتوم فانه لا يُتهاون بمثل هذا . (ص٣٩) فهذا الاحساس واليقين وتدبير الملاقاة ليلاً من غير سوابق المعرفــة به والاستفسار عن حاله كل ذلك غير طبيعي

ومما جرى بينه وبين بلوهر من المكالمة : انا الرجل الذي طلبتَ ولك عندي الدليل والمعونة قال بوذآسف صدقتَ وانت الضالة التي كنت اطلبها فصف امر (*) الآخرة فاما الزهادة في الدنيا فاني لم ازل فيها زاهداً ولها قالياً وبها مستخفاً ولم يزل امرها عندي حقيراً

(*) ليلاحظ القراء الكرام ان البوذيين او المجوس لا يعتقدون بالآخرة

مشنوءًا (ص ٥٢) ٠٠٠٠٠ قال بوداسف أرأيت هذا الامر الذي تدعوني اليه أهو شيء نظر الناس فيه (اي الزهد) بعقولهم واختاروه على ما سواه ام له اصل غير ذلك ٠٠٠٠٠ وقال ما الذي جعلكم اولى بالحق منهم وهل اتاكم هذا الامر الغريب في الدنيا الا من حيث اتاهم (ص ٥٨—٥٩) وقال هل لاهل التقصير في هذه المنازل حظ ٠٠٠٠ (٢٠) وقال قد اضطررتني الى الايمان بالله وبما جاء من عنده من الثواب والعقاب فعُد لي الى التزهيد في الدنيا (ص ١١٢) ٠ ثم ان احرازه صفة الزهادة منذ الحداثة واستغناءه عن استماع ذكرها ثم ارتيابه في امرها واستنغاءه عنها ايضاً مما هو غريب في بابه ومغائر للتسلسل الطبيعي ٠ ثم ان مجيء بلوهر البودي من اقصى الارض ووقوفه بين يدي آسف موقف المعلم وطريق المكالمة التي تجري بينهما واستكماله العلوم في بضعة ايام — كل ذلك من الغرابة بمكان عظيم ٠ يسئله بوداسف من غير سبق الاشارة الى شيء من مَثَل الزرع ونباته او الى غير ذلك من مواضيع المكالمة قائلاً الآن قد ايقنت وجدان حاجتي فزدني مثلاً مثل الزرع ونباته (ص ٤٤) ٠٠٠٠٠٠ فاضرب لي مثلاً في معنى الدنيا وغرور اهلها بها (٤٧) ٠٠٠٠

صف لي امر الآخرة ٠٠٠٠ (٥٢) اخبرني أبالقدر يصيب الناس ما يصيبهم ام بالعمل ٠٠ واخبرني ما امر الله وما امر الشيطان ٠٠ وهلمّوا جرّا ٠٠٠ من مثل الاسئلة التي يسألها عن اصول الدين والاخلاق الفاضلة فيجيب عليها بلوهر على البداهة ٠ ان هـذا الطريق

في غاية من التصنع ويدل على ان ظاهر الرواية خياليّ محض كما هو ضعيف جداً باعتبار فن الرواية المعروف اليوم . يتضح هـذا الامر بمزيد الوضاحة من ان يوذآسف بطل الرواية — هـذا الذي جُعل تلميذاً لناسك بوذي بضعة ليالي فقط — هو طافح بنور الحكمة والمعرفة من حداثة سنه الى سن المراهقة ومن قبل تتلمذه لبلوهر ومن قبـل فراغه من التحصيل وفي اثناء تنسّكه الى حد بلوغه درجـة الـكمال النهائي ومن بعده الى آخر الانفاس وانه كان يدعو الناس الى دين الله قبل ان يتلقى الوحي والامر في ذلك . طالع الصحيفة ٢٦٢ و٢٦٨ و ٢٧٠ واقرأ علاوةً على ذلك جوابه لأَبيه المزعوم عند ما طلب منـه ابوه ان يذبح شاة تبعاً لاشارة بعض المنجمين الذين قالوا له « ايها الملك ان هذا الغلام لن يتعلق بشيء من الدنيا حتى يهريق دماً ،» ترمن جوابه ذاك رسوخه في العلم والعرفان . يقول بوداسف لابويه : اعفياني من هذا فاني ارق واجزع منه وآثم فقال له ابواه ليس عليك في هذا اثم نحن نحمل عنك اثمه وانت بريّ من وزره فلما ألحّا عليه قال الغلام أما اذا ضمنتما لي انكما تكفياني وزره فسافعل ذلك لرضاء كما واخذ السكين وأضجع الشاة ثم ضرب بالسكين كأنه يريـد الشاة بشماله فنفذ السكين في كفه وخرّ مغشيّاً عليه فلما افاق ونزعوا السكين من يده قال يا ابتِ اني مجهود فروّح عني ما انا فيه من الألم والكرب ، قال له ابوه يا بنيّ اصبر فانك تبرأ عن قريب ويذهب عنك ما تجد من الوجع . قال يا ابتِ فاحمل عني بعض ما اجده من الوجع

قال لا اجد الى ذلك سبيلاً . فضحك الغلام وقال ايها الملك فلا تغرّني بقولك انك تحمل عني اثمه ووزره وانت في ملكك تعجز ان تشفيني من ألم سكين صغير فكيف تقدر على ان تؤخر عني ناراً موقدة وجهنم مسجّرة اذ كنت فريداً وحيداً قد سلبت مملكتك وخلفتها لغيرك وبطل سلطانك . . . . . . الى آخر الكلام « وقد قيل ان جميع ما نال اهل الدنيا الى انقضاءها من اللذات لا تعدل ساعة من عذاب النار المعدّة لاهلها في الآخرة » . وهكذا اذا استعرضت جميع اقواله التي فاه بها في ظروف مختلفة تبين لك أنما قيل فيه من تلقّنه العلم والحكمة من بلوهر البودي ان هو الا حشو زائد جيء به على قصد أن يظهر للناس أن آسف النبي إنما تلقى الاستنارة الروحانية من انوار البوذية كما زعم البوديون مثل ذلك التلقين والاستنارة في بوذا عيسى وفي غيره من ارباب الكمال . وكذلك من الحشو الزائد جميع ما ورد عن اوائل حياته من ميلاده العجيب وتكهّن المنجمين في مستقبله واتفاقهم على انه ذو الدرجة الفاضلة والمنزلة الرفيعة مما لم يبلغه ملك قط في جميع ارض الهند ومن اختلافهم في كونه يحصل على شرف الدنيا او شرف الآخرة . من القول البتّ من اوثق المنجمين في انه يصير إماماً عظيماً من ائمة الدين ثم من هواجس الملك ومخاوفه على زوال عرشه وضياع مملكته بايدي السبا وتخيّره لولده من الثقات من الحضان والظوءرة والخدام واسكانهم في مدينة منعزلة عن العمران وتقدمه اليهم بان لا يذكروا فيما بينهم موتاً ولا حياة ولا آخرة ولا

دنيا ولا نسكا ولا فناء ولا زوالا ولا شيئاً مما يتخوف ان يستقر في قلبه فيكون داعياً الى الاهتمام بالدين والنسك ومن امره لهم بان من عرض له منهم شكوى او علة ان يعجلوا اخراجه عن المدينة حتى ينقطع عن افواههم عادة ذكر الاشياء التي نهاهم عنها ثم من ملول الغلام وسآمته وكآبته من الحياة المسجونة والرقابة الشديدة التي كانوا يحيطونه بها واشتياقه الى روءية العالم والنزهة فيه طليقاً حرّاً واخيراً من سماح الملك له بالركوب في انحآء المدينة بعد اتخاذ الحيطة اللازمة في تبعيد كل منظر سوء عن طريقه والاعداد له بالملاهي والمعازف والزينة والقينات الحسان ومن مروره في يوم من ايام ركبته على رجلين من السوءلة احدهما مورّم قد تزيّل لحمه واصفرّ جلده وذهب ماوءه وفحش منظره والآخر اعمى يقوده قائد وفي يوم آخر على شيخ كبير قد حناه الكبر وابيضّ شعره واسودّ لونه وتقبّض جلده وقصر خطوه واسترخت اعضاءه ثم من عثور بوداسف من ههنا على غير الدهر وفظاعة الموت في الناس واهتمامه بالسعادة الحقيقية وانصراف نفسه عن الدنيا وشهواتها ومن تزويج الملك اياه باجمل البنات رغم انفه وولادة الغلام له وفراره الاخير من اهل البيت خفية وتنسّكه في البراري وعلى قمم الجبال حتى فاز بالمرام من الحياة الابدية وصار مأموراً بدعوة الخلق — كل هذه السوانح المروية عن حياة بوداسف في الكتاب المذكور حشو زائد لانها — كما نعلم — سوانح البوداغوتاما ساكيامنى . إن بين يديّ بضعة موءلفات من سير البوداغوتاما واخص بالذكر منها Life of the Buddha

(حياة البودا) للمؤلف بهكشو سلاكار العالم البوذي فاذا طالعت سيرة من هذه السير تجد فيها جميع ما ذكر عن آسف فيما فوق وقد سبقت فاثبت من نفس الكتاب بوداسف أن البوداغوتاما كان قبل آسف بمدة تتراوح بين اربع مائة وخمس مائة سنة وأنما قيل عن شخصيتهما الواحدة غلط فاحش مردود بنفس ما يحتج به الزاعمون. يقول بوداسف لابيه المزعوم مشيراً الى غوتاما « إنّ البد لما ادى الى الهند وصية الله التي اشربها قلوبهم على لسانه خرج يسيح في الارض . . . وهكذا ذكره سبعة وعشرين مرة في اثناء المحاورة التي جرت بينه وبين الملك جنيسر ابيه المزعوم . وكل هذه المحاورة من اولها الى آخرها تدل دلالة واضحة على انه هو غير البوداغوتاما » (الصحيفة ١٦٦— ٢٧٠). فانظر راعك الله كيف خلط الرواة بين سوانحهما وجعلوها عيناً بعين في حياة كلى الرجلين وابويهما الذين يفرق بينهم بعد المكان وبعد الزمن وبينونة المولد والابوة — انه لعمري اضحوكة من الاضاحيك ان يولد للملك جنيسر غلام يشارك سدهاتا (اسم البدغوتاما) في سوانح حياته الاولى فيبتلى ابوه الملك جنيسر بما ابتُلي به ابوه الملك سدودانا من الاوهام فيشد على ابنه المراقبة ويقمطه باشد القماط كما فعل سدّودانا بابنه ويتوسل بجميع الوسائل التي اتخذها هو في اقامة السدّ المنيع بين ابنه وبين الرغبة في الدين فلا ينجح في مراده كما لم ينجح هو ويفاجئ بما فوجئ به من الحوادث نفسها ، كما إنه لمستحيل ولا يعقل البته ان تقع الحوادث عينها وذتها ومع ادقّ تفاصيلها

الواحدة النوعية في حياة مصلحين بينهما مسافة بضعة قرون ويوءثر عنهما تعاليم متباينة متمايزة بعضها عن بعض في كثير من الامور · يتلقن بوداسف فيما يتلقن من بلوهر البودي الايمان بالله وتوحيده ووحيه وكلامه ورسالته وكتبه ورسله وانبياءه وملائكته والايمان باليوم الآخر والثواب والعقاب والجنة والنار ويتعرف منه مواقع التقوى والبر والاحسان (٧٥ — ١٢٠) ويتلقن منه على سوءال كأنه عليم بحقائقها بصير بدقائقها من قبل اجتماعه باستاذه البودي وكل هذا — ايها القارىء اللبيب — يزيد البرهان قوة على ان القصة في ظواهرها خيالية اكثر من كونها حقيقية قد مزج بها مختلف (*) العناصر وادمج فيها ما لم يكن له ادنى علاقة بحياة آسف النبي وأنما أفترض من تتلمذه لبلوهر المعلم البودي لا صحة له البتة وان الامر الواقع فيها هو ان آسف النبي كان لا ريب على جانب عظيم من التقوى والزهد والورع والصلاح والعلم والعرفان وانه كان لاشك يعتقد بالمبادىء المذكورة وكان نبياً من انبياء القرون الاولى ····· الى غير ذلك

(*) علاوة على ما ذكرت من الشواهد على كون سوانح بوداسف ليست متسلسلة متسقة الاوصال وانما هي من مجموعة من روايات مختلفة ناهيكم من امثلته مثال الدنيا وغرور اهلها بها برجل خرج من مفازة يسعى اذ حمل عليه فيل مغتلم فانطلق الرجل هارباً مولياً عنه واتبعه الفيل حتى غشيه الليل فاضطره الى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفيرها · ·· (ص ٣٧) تجد هذا المثال بعينه في آخر باب برزوية من كليلة ودمنه · وكذلك رواية ذبح الشاة المذكورة فيما مضى مستعارة من مصدر آخر ·

من الاوصاف التي يصفه بها الراوي خاصة في الجزء الاخير من الكتاب والتي هي وحدها الحكم الفاصل والمحك الصادق والمعيار الحق يمكننا ان نتبين بواسطتها بكل سهولة من كان هذا الآسف . فمن خصوصياته الموصوفة به دعوته الناس الى ملكوت السموات وتبشيرهم بنيلها قائلاً لهم اعلموا انه لا ينال ملكوت السماء احد ولا يدخلها الاّ بعد العلم والايمان وتمام عمل الخير فقوّوا ابدانكم لعمل الخير واجتهدوا فيه لتدركوا الراحة الدائمة والحياة التي لا تنفد ومن آمن منكم بالدين فلا يكن ايمانه طمعاً في حياة الجسد او رجاء اهل الارض وطلب مواهب الدنيا وليكن ايمانكم بالدين لطمع ملكوت السماء ورجاء خلاص النفس ...... واصلحوا التبّع و كونوا لهم اعواناً وآزروهم باعمالهم لتنزلوا ملكوت السماء .. (الصحيفة ٢٧٧ — ٢٧٩) وبهذه الدعوة خرج سائحاً لا يدخل مدينة الا اجابه اهلها لا يمتنعون من علمه (ص ٢٨٥) وخصوصيته الثانية انه بُعث لجمع الرعية المتبدّدة . يقول لتلميذه ابابيد في وصيته الاخيرة اني قد علّمت واظلات واحسنت البيعة ووضعت فيها مصابيح من مضى وجمعت رعية الاسلام (*) التي كانت متبددة واليها ارسلت فقد دنا ارتفاعي من الدنيا وخلع روحي من الجسد ... (ص ٢٨٥) وخصوصيته الثالثة انه لا يتكلم الاّ

(*) لم يظهر الاسلام الا بعد ست مائة سنة بعد يوزآسف هذا الذي كان فيما بين القرن الخامس والسادس بعد بوداغاتاما ، لذلك يري منه انه انما تحريف او تصرّف في التعريب ليس الاّ .

بالامثال ولكم ما شئتم من الشهادة الناطقة عليه في مكالماته المندرجة في كتابه بوداسف وبلوهر . وخصوصيته الرابعة انه يسمي دعوته وكلامه بالبشري .

يقول الراوي « ان بوداسف مشى وتقدم نحو الخربى حتى بلغ فضاءً واسعاً فرفع بصره فرأى شجرة عظيمة على عين ماء اكبر ما يكون من الشجر واحسنه غصوناً وفروعاً واطيبه نمواً وحلاوة فرأى جميع البهائم ومن الطيور ما لا يحصى عددها فسرّه ذلك المنظر وفرح وتقدم اليها حتى دنا منها فجعل يعبّرها في نفسه ويفسّرها فشبّه الشجرة بالبشري الذي يدعو اليه وعينَ الماء بالحكمة والعلم والطيورَ بالناس الذين يجتمعون حوله ويقبلون منه الدين» (ص ٢٧٦) . . . .

ويقول بوداسف للناس فيما يعظهم به : — «وقدّموا الاعمال الصالحة واقبلوا البشري التي اتيتكم بها واعلموا انه كما لا يقدر الطير على الحياة والنجاة من الاعداء الا بقوة البصر والهادي والرجلين فكذلك الأنفس لا تقدر على الحياة والنجاة الا بالعلم والايمان واعمال الخير الصالحة . . . . » (٢٧٩) وخصوصيته الخامسة ان لسانه يفيض بالحكمة فيضاناً متدفقاً ويردّد كلمات الحكمة والملكوت والبشري مرة بعد أُخرى حتى ليخيل للقارىء ان الكلمات الثلاث هي وحدها محور دعوته ووعظه ورسالته وخصوصيته السادسة « انه كان من رسل الله الخالية في القرون الاولى وانه ساح في بلاد الهند داعياً الى دين الله حتى انتهى الى

كشمير وكان ذلك اقصى اثره واتاه بها اجل » ..... (ص ٢٨٥)
وخصوصيته السابعة ان الناس زعموا فيه انه عُرج به الى السماء فعاين الغيب وسمع الوحي من الملاء الأعلى ثم أعيد الى الارض. وخصوصيته الثامنة ان آسف كلمة عبرانية معناها الجامع وإن يوز في اللهجة الفارسية هو يسوع يقول فيضى الشاعر الفارسي المشهور : اي كه نام تو يوز وكرستو : ومعناه يامن اسمك يسوع المسيح (راجع الشعر الاول من كتابه سبلص نامه)

وها اني واضع الامور الثمانية المذكورة موضع التطبيق في حياة المسيح عليه السلام فانه هو وحده يمتاز بها من بين انبياء القرون الاولى فاما الخصوصية الاولى فيقول الانجيل عنها : وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلّم في مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت . (متى ٩:٣٥) ويقول لهم ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل ارادة ابي الذي في السموات « متى (٧ : ٢١) ويكرّر هذه الكلمة في مواعيظه بالكثرة حيث يوقن الانسان انها هي المقصد الوحيد والمثل الأعلى من دعوته وقد طلب حضرته من تلاميذه ان يدعوا للملكوت في صلواتهم قائلاً لهم : فصلُّوا انتم هكذا ابانا الذي في السموات ليتقدّس اسمك ليأتِ ملكوتك ... (متى ٦ : ٩) فكأنه جعل ملكوت السماء نصب عينهم كما جعلها بوذآسف النبي لتلاميذه . واما الخصوصية الثانية فيقول المسيح نفسه فيها : « لم أُرسل الاّ الى خراف بيت اسرائيل الضالة (متى ١٥ : ٢٤ و١٠ : ٥) وتفتيشاً عنها

خرج يسيح في مشارق الارض ولاقى الصعب في سبيلها . واما الخصوصية الثالثة فيقول رواة الانجيل عن المسيح عليه السلام بعد الالمام بنبذة من امثاله : هذا كله كلّم به يسوع الجموع بامثال وبدون مثل لم يكن يكلمهم . (متى ١٣ : ٣٤) وكان حضرته يكثر من التمثيل بحيث استغرب شأنه هذا تلاميذه وقالوا له لماذا تكلمهم بامثال فاجاب وقال لهم لانه قد أعطي لكم ان تعرفوا اسرار ملكوت السموات واما لاولئك فلم يعط . . . (متى ١٣ : ١٠) وهذا الجواب على ايجازه ليشبه جواب بلوهر المفصّل لبوداسف معنًا ولفظًا . (راجع الصحيفة ٦٣—٦٦) واما الخصوصية الرابعة فقد سمّي المسيح عليه السلام دعوته وكلامه باسم الانجيل والانجيل معناه البشري وحيثما ذهب هو بشّر الناس باقتراب ملكوت السموات كما فعل آسف النبي . ومثل ذلك الخصوصية الخامسة فقد اصبحت الحكمة رضاب فمه العذب واما الخصوصية السادسة فقد ذكرتُ نبذة من الرواية البودية المكتشفة حديثًا أن المسيح عليه السلام ساح في الديار الهندية ايضًا داعيًا للناس الى سبيل الرشاد واما الخصوصية السابعة اي ذهاب آسف النبي الى ارض كشمير ووفاته فيها فظاهر تطبيقها في حياة المسيح من معنى كلمة الآسف العبرانية كونه الجامع واما الخصوصية السابعة وهي زعم الناس بعروجه الى السماء والخصوصية الثامنة وهي تسميته بيوز فكلتاهما موجودة في يسوع المسيح الذي خرج يبحث عن شعوب اسرائيل

الضالة المعتصمة في جبال افغانستان اللاجئة الى ربوات كشمير— الذي مرّ في طريقه ببلاد وطاف (*) بالاقطار البنجابية وسمّي يوز ويوز ويسو وايسا باللهجات الفارسية والكشميرية والتبتية ولقّب عند البوديين بلقب بودا وعند الكشامرة بالنبي واضف اليها معتقداتها الواحدة واسلوب التمثيل الواحد . فبناءً على هذه الوحدة في الاسم ١ واللقب ٢ والسياحة ٣ وقصد ٤ السياحة وارض ٥ السياحة والتعليم ٦ السامي السمات والمثل ٧ الأعلى وطريقة ٨ التمثيل وفي عنوان ٩ رسالته ومأموريته في المناداة باسم البشري والملكوت وبالقول ١٠ الحكيم نقطع بالحكم في ان يوزآسف النبي هو يسوع المسيح بعينه واني اذكّر القراء بالرواية الفارسية القائلة بان يوزآسف ١١ النبي كان من احفاد موسى النبي كما اذكّرهم بانه كان فيما بين القرن الرابع ١٢ والخامس بعد البوداغوتاما وهو تاريخ بعثة المسيح على التقريب اذا ما (*) ٢ اغضينا البصر عن الخطأ الغالب في تقويم الازمنة الغابرة وكذلك الفت نظرهم ايضاً الى الخطاب ابن ١٣ الملك او ابن الاملاك -- الذي يُخاطب به

(*) ١ راجع لذلك الصحيفة ١٦٧ من الكتاب The unknown Life of Jesus Christ (حيات المسيح المجهولة)

(*) ٢ اما ماورد من ذكر الثلاث مائة سنة في قصة البهون المذكورة في الصحيفة ٢٦٨ من كتاب بوداسف فلا اعتبار به فانه مثل كل تقويم قديم يحتمل الخطأ والغلط وزد على ذاك ان العدد الثلاث مائة قد يقصد به ابعد الغاية الزمنية = يقول بلوهر لآسف «ويفارق اهله واحباءه ويذل عزه ويمحي سلطانه وابعد الغاية لما يخلق ثلث مائة عام حتى يصير ما جمع متفرقاً الخ» ص٩٥

بوداسف كثيراً في اثناء جميع المحادثات التي تجري بينه وبين غيره وذلك لان المسيح عليه السلام ايضاً خوطب بالكنية الملكية وقيل «لعل هذا هو ابن داود» (متى ١٢ : ٢٣) . ارحمنا يا ابن داوٗد (متى ٩ : ٢٧) ارحمنا يا سيد ابن داوٗد (متى ٢٠ : ٣٠) هو ذالك ملكك يأتيك وديعاً راكباً على آتان ، اوصنّا لابن داوٗد مبارك الآتي باسم الرب(متى ٢١ : ٥ — ٩) وكذلك كما قيل عن يوزآسف قيل ايضاً عن بودا ايسا انه هرب من اهل بيته اتقاء ١٤ الزواج واختار التبل والعذوبة ١٥.

When Issa was thirteen years old, the age at which an Israe-lite is expected to marry.
The modist house of his industrious parents became a meeting place of the rich and illustrious who were anxious to have as a son—in—law the young Issa, who was already celebrated for the edifying discources he made in the name of the All—Powerful. Then Isa secretly absented himself from his father's house, left Jerusalem, and in a train of merchants, journeyed toward the Sindh, with the object of perfecting himself in the knowledge of the word of God and the study of the laws of the great Buddhas Fame spread the name of the narvellous youth along the northern Sindh, when he came through the country of the Five Streams

pp.165—167 The Unknown life of Jesus Christ.

وخلاصة النص المنقول ان عيسى غاب عن اهل بيته مستخفياً لما اراد ابواه تزويجه وهاجر الى بنجاب الواقعة في الهند الشمالية ويقول بوداسف يعرّف نفسه : «انسان من اولاد الاحرار كنت ذا عزّ في اهلي وكرامة عليهم . . . . حتى صرت رجلاً ثم آتوني بصنوف من البهائم من ذبابها وقردتها (يشير الى القينات الحسان) فكلفوني سفادها

ونكاحها فأبيت نكاحها واقشعرت من ذلك نفسي فاستشنعته فلم اقدر عليهم فاستعفيتهم فأبوا ان يعفوني ارادة ان يتعلّقوا مني بنسل يكون رهينة في ايديهم يمنعني الرأفة بهم من الحرب منهم واللحاق بعشري .... فسعيت هارباً منهم ملتمساً لمن يحل وثاقي » (ص ١٧٥ — ١٧٦ من كتاب بوداسف)

وكذلك كما قيل عن بوداسف انه كان ينطق بالحكمة ١٦ في صغر سنّه قيل ايضاً عن بودا ايسا وكما قيل عن بوداسف انه تلقّن الحكمة من ناسك بودي ّ قيل ايضاً عن بودا ايسا انه تتلمذ ١٧ لناسك بودي . راجع لذلك في الكتاب « حياة المسيح المجهولة » الصحيفة ١٦٦ و١٧٤ فهذه سبع دلالات اخرى — علاوة على ما ذكرت من قبل — تؤذن بان بوداسف كان بودا ايسا نفسه وعينه لا غير ولا يبرحنّ الذاكرة ههنا انّ الروايات الخمس الاخيرة مع الرواية القائلة عن سياحاته في الهند الشمالية لا فرق أكانت هي عن بوداسف ام كانت عن بودا ايسا — جميعها من مصادر بودية تتوافق فيما بينها كما تؤيدها الاناجيل في بعض . واما الخصوصيات الثمان الاولى فهي — على اختلاف مصادرها وتباين اسانيدها — متّفقة كل الاتفاق متحدة غاية الاتحاد في تعريف شخصية واحدة وهي لذلك لا تترك ادنى مجالاً للريب لمن يريد الوصول الى نتيجة حاسمة لكل نزاع في القضية . وكذلك لا تقلّ الروايات السبع البودية المذكورة عنها اهمية اذا ما لاحظنا انها وصلت الينا زاعمةً ان بوداسف و بودايسا كان كل منهما فرداً بذاته البائنة

وشخصيته المستقلة والحال أنما تحكيه عنهما يحمل في ضمنه جرثومة الشخصية الواحدة . واذا اضفنا هذه السبع الى الثمان الاول من المماثلات واعرنا لوحدة المعتقدات واسلوب التمثيل نظر الاعتبار انجلت الحقيقة من تلقائها وظهر الغموض كله واستبان الامر في صاحب الضريح يوزآسف النبي . وتلك — ايها القرّاء الافاضل — سبع عشرة شهادة تاريخية ودلالة اثرية وقرينة لغوية وبيّنة من التسمية الواحدة وبرهاناً من المماثلة التعليمية كل واحدة منها تنطق من غير ابهام بان بوذآسف ويوزآسف ويوزآسف ويسو (*) آسف وبوذايسا آسف وعيسى آسف (بمعنى الجامع) ويوز المسيح ويسوع المسيح هي أسام لمسمّىً واحدٍ هو صاحب الانجيل والبشري وصاحب الهجرة السياحات الطوال .

وقبل ان اختم الموضوع يجدر بي ان اصقله بمزيد الجلاء واقيم المقارنة بين الامثال الواردة في كتاب يوذآسف والتي جاء ذكرها في كتاب يسوع عيسى في الانجيل فعسى المقارنة تجلو عما بقي من غمّة الامر . يسئل بوذآسف بلوهر وهلةً من غير سابق ذكرٍ من احدهما «فزدني مثلاً مثل الزرع ونباته» قال بلوهر (ان احسن العلم ما يدل على معرفة الله تعالى والعمل بالخير فتفهم ما اقول لك إن الزارع يخرج ببذره الطيب ليبذره فلما ملأ كفّه منه فنشره وقع بعضه على حافة الطريق فلا يلبث شيئاً حتى التقطه الطير ووقع بعضه على صفا قد اصابه ماء وندى وطين فنبت حتى اذا اهتزّ صارت عروقه الى يبس

(*) الاعجام لا يستطيعون النطق بحرف العين .

الصفا فيموت ووقع بعضه في ارض ذات شوكة حتى سنبل وكاد ان
يثمر خنقته الشوكة فاماتته ووقع القليل منه في ارض طيّبة منقاة فسلم
وزكا وطاب ونما وتفسير هذا يا بن الملك ان الزارع هو حامل الحكمة
واما البذر الطيب فصواب الكلام فاما ما وقع منه على حافّة الطريق
فتخطّفه الطير فذلك ما لم يجاوز السمع حتى مرَّ صفحاً واما ما وقع منه
على الصفاة الندية ثم يبس حين بلغت عروقه الى الصفاة فذلك ما
استحلاه صاحبه ساعة عند السماع بفراغ من قلبه وعرفه بفهمه ولم يعقد
عليه بمحافظة ولا نيّة ولا عقل واما ما نبت منه وكاد ان يثمر
ثم اهلكته الشوكة فهو ما وعاه صاحبه وعقله حتى اذا كان عند العمل
الذي هو ثمرته خنقه الشهوات فاهلكته واما ما وقع منه في الارض
الطيبة وسلم وزكا وطاب ونما فهو ما اجتناه البصر ووعاه السمع وحفظه
القلب وانفذه العزم على قمع الشهوات وتطهير القلب من الدنس والعمل
به · الصحيفة ٤٤) راجع هذا المثل بعينه في الاصحاح الثالث عشر من
الانجيل متّى وفي الاصحاح الرابع من مرقس والاصحاح الثامن
من لوقا ·

وقايس بين مثال الشجرة المذكورة في الصحيفة ١٠١ من كتاب
آسف وبين مثالها الذي ورد في الاصحاح الثالث عشر من الانجيل
متى وهو : يشبه ملكوت السموات حبّة خردل اخذها انسان وزرعها
في حقله وهي اصغر جميع البزور ولكن متى نمت فهي اكبر البقول
وتصير شجرة حتى إنّ طيور السماء تأتي وتتآوى في اغصانها · وورد

ذكرها هذا المثال في رؤية بوداسف المذكورة في الصحيفة ١٣٧— التي لما سال الملك عن تعبيرها قال راكس في الجواب ليست ايها الملك هذه الرؤيا ولكنها رأى عين وهو الامر الذي كنت تحذر ان يكلف به ابنك من امور الدين . (الصحيفة ١٣٨) وكذلك جاء مثال شجرة الحياة وشجرة الموت والبستان في الأمثلة التي ضربها بلوهر لآسف راجع الصحيفة ٦١ و١١٤ من كتابه .

ومما ضرب المسيح من الامثلة في ملكوت السموات هو قوله :— من اجل ذلك كل كاتب متعلم في ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء (متي ١٣ : ٥٢) راجع هذا المثال الموجز مفصلاً في الصحيفة ٢١١ من كتاب آسف . يقول في آخره « فصاحب الكنز هو البدّ والكنز هو الدين وانواع الجوهر كلام الحكمة .... الخ » ومما يقول المسيح :— الانسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات والانسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور (متى ١٢ : ٣٥) ويقول في معناه : تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام اموات وكل نجاسة الخ (متى ٢٢ : ٢٧) واقرأ في معناه ذكر التوابيت الاربعة الوارد في كتاب بوداسف - اثنين مملوئين ذهباً وفضةً وآخرين مملوئين جيفا وعذرة . يقول في آخر المثل هذا مثل القوم المتزينين بظاهر الكسوة والحلية واجوافهم مملوّة جهلاً وغلاً . . . وذاك مثل الذين ازدريتم لباسهم وظاهر حالهم وهم مملوؤن علماً وحكمةً الخ (ص ٤٣) وكذلك

مثل المملكة الارضية في عين من يعرف الملكوت الدائمة كمثل المزبلة المضروب في الصحيفة ٧٣ منه ·

ويضرب بوداسف مثل رجل كان له كنز من صنوف الجواهر فائتمن الناس على طائفة منه وامرهم ببذله في وجوه منافعه واستيداعه اهل الصدق والنية ······ فضاع الجوهر بايدي اهل الغدر والخيانة فكسبوا به التجارات وحلوا به البغايا ···· حتى جاء صاحب الكنز وكشف عن غشهم وغدرهم وفضح دناءتهم ولؤمهم ···· الصحيفة ٢١١ — راجع ما يقارب هذا المثل في المعنى في الاصحاح الخامس والعشرين من متى حيث يقول المسيح كان انسان مسافر دعا عبيده وسلمهم امواله ····· وبعد زمان طويل اتى سيد اولئك العبيد وحاسبهم ····· الخ وايضاً يشبه مثال آسف المذكور معناً مثال انسان رب بيت غرس كرماً واحاطه بسياج ······ وسلمه الى كرامين وسافر ··· فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل باولئك الكرامين (الخونة) · قالوا له اولئك الاردياء يهلكهم هلاكاً الخ · (متى ٢١ : ٣٣) ومن كلمات الحكمة المروية عن بوداسف : - كل شيء لا ترضوه لأنفسكم اذا اتى اليكم فلا تأتوه الى احد وكونوا مطهري قلوبكم صادقي النيات · (ص ٢٨٠) ومن وصية بلوهر استاذه البودي المزعوم الى بوداسف لا ترضى للناس ما لا ترضاه لنفسك ··· من دان الناس بمثل ما ان دين بمثله هلك فدينه دين الشيطان ··· (ص ١٠١) ويقول المسيح عليه السلام في معناه : فكل ما تريدون

ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم . (متى ٧: ١٢) ولا تدينوا لكي لا تدانوا لانكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم (متى ٧ : ١) ومما يوصي به المسيح لتلاميذه من الزهادة في الدنيا : لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . . . . لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون . . . (متى ٦ : ١٩ — ٢٥) ويقول لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ولا مذوداً للطريق ولا ثوبين . . (متى ١٠ : ١١) وهذه هي وصية بلوهر لآسف بعينها في الذهب والفضة والمأكل والملبس والزاد (راجع من كتابه الصحيفة ١٢٦—١٣٤ وكذلك الصحيفة ١٨٧) وبه قد وصى بوداسف الناس في نوبته راجع الصحيفة ٢٧٩ منه

ومما يوصي به بلوهر بوداسف : واما عهدي اليك فما بقيت لك منزلة احثك على اجتباءها والترقي اليها الا اللين فعليك باللين والرأفة والمودة حتى يتم الله بك ما ابتعثك له من حياة دينه في هذه البقعة التي نال الشيطان منها حظاً واستولى عليها من زمان وقد دنا بوار ذلك وانقضاءه بقوة الله على يديك (فكأنه يعلم الغيب عن بعثته . . . ١١) راجع الصحيفة ١٩٠ ويقول المسيح : اني اريد رحمة لا ذبيحة . . . (متى ٩ : ١٣) احبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيكم .

(متى : ٤٤) .. لا تقاوموا الشرّ بل من لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر ايضاً ... (متى ٥ : ٣٨)

ومما يوصي به كتاب بوداسف في الاخوّة العامة : « ليس احد منا فوق احد في الغنا والعز والشرف ولا احد منا دون احد في الفقر والذل والضعة ... (ص ١٤٥) ويقول المسيح واما انتم فلا تدعوا سيدي لان معلّمكم واحد المسيح وانتم جميعاً اخوة . واكبركم يكون خادماً لكم فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع .. .. (متى ٢٣ : ٨)

يوصي كتاب آسف في الزهد والتبتل والعذوبة ويقول المسيح في معناه : يوجد خصيان خصَوْا انفسهم لاجل ملكوت السموات من استطاع ان يقبل فليقبل . (متى ١٩ : ١٢) ويعرّف كتاب آسف الدينَ بكونه معرفة الله ومحبته والعمل لرضاه والرأفة والرحمة (ص ٨٧ ، ٩٤) وقال الانجيل : اثقل الناموس الحق والرحمة والايمان (متى : ٢٣ ٢٣) وعلّق الناموس كله بوصيتين ألا وهما محبة الله ومحبة القريب (متى ٢٢ : ٣٨) . .. وهلمّوا جرّا من جميع العقائد والمبادئ العالية والاخلاق الفاضلة — التي يتسّم بها دين ابراهيم الحنيف والتي توارثها ذريته كابراً عن كابر — نجدها في كتاب بوداسف بصبغتها الاصلية كما نجدها في الاناجيل شبهاً بشبهٍ . انها هي هذه المماثلة التامة التي تمثلت للمسيحيين بصورتها الحقيقية حتى جعلوا يبنون الكنائس باسم بوداسف ويعبدونه كاحد تلامذة المسيح القديسين والحق انه لم

يكن الاّ يسوع المسيح نفسه ما احد من تلامذته لُقّب او دُعي باسم يوزاو بالنبي الآسف (الجامع) يوماً من الايام او خوطب بخطاب ابن الملك او زعم الناس في مشارق الارض ومغاربها بانـه عرج به الى السماء اوادّعى الوحي وسمّى رسالات ربه باسم البشري والانجيل او دُعي مسيحاً لاجل سياحاته او نطق بالحكمة العيسوية والتمثيـل المسيحي ارتجالاً وبداهة من غير حفظ ولا تقليد فان كان بين تلاميذه من انتحل لنفسه ما كان للمسيح حقيقة فهو الدجّال الكذّاب لا ريب وما هو بقدّيس اصلاً والاّ فلا بد من التسليم بان صاحب الضريح يوزآسف النبي المهاجر السيّاح، العبراني الاسم، العيسوي السمات هو يسوع المسيح الجامع لشتات بني اسرائيل وان كتاب بوداسف — على ما فيه من مختلط العناصر — هو تذكرة حياة بودا عيسى الاسرائيلي وليس سيرة بوداغوتاما الهندي والشاهد الناطق على ذلك هو الرُجُم الماثل في مدينة سرى نكر الذي اضطجع تحت ثراه يسوع آسف بعد افضاء الوصية الاخيرة قائلاً « فقد دنا ارتفاعي من الدنيا وخلع روحي من الجسد فاحفظوا فرائضكم ولا تزيغوا عن الحق وخذوه بشكر وليكن ابابيد لكم رأساً » — الصحيفة ٢٨٦ ويقول الكتاب بوداسف في الختام «ثم امر بابابيد ان يسوي له مكاناً ثم بسط رجليه واضطجع ومدّ رأسه الى الغربي ووجهه الى المشرق ثم قضى» ص ٢٨٦ وكان ذلك آخر عهده بالحياة الفانية في ربوة كشمير ذات القرار المعين ومن اقصى مهاجر الشعوب الاسرائيليـة الضالة — فصلوات الله

عليه وبركاته .

كان السؤال اين ذهب المسيح (عليه السلام) بعد النجاة من الصليب وماذا فعل ? وقلت في الجواب ينبغي ان نبحث عنه بين خراف بيت اسرائيل الضالة واظن اني لم اقصّر في استيفاء البحث من اكثر وجوهه واشعر مع ذلك شيئاً من الفراغ في ابحاثي هذه لا استطيع السبيل الى ملئه ألا وهو مسئلة التنقيب الأثري فيما حول الضريح المذكور وما عسانا ننتفع به ونحن نقرأ في تاريخ الطبري ان الحجر المكتوب عليه « هذا قبر رسول الله عيسى ابن مريم » بالخط الفارسي القديم قد نقل من مكانه الاول وضاع فيما ضاع من رقيم عهد العتيق — وزبدة القول ان المسيح الذي تنتظرون نزوله من السماء حياً بجسده العنصري فقد قضى على حياته هذه ونزوله المزعوم احمد المسيح الموعود (عليه صلوات الله وبركاته) بالحجج الدامغة والبراهين النيّرة وناب عنه في رعية الاسلام المتبدّدة كمثل نيابته في خراف بيت اسرائيل الضالة واعلن الملأ كله « نبي مجدد هذا الزمان ومصلح هذا الجيل وانني على مقام الختم من الولاية كما كان سيدي المصطفى على مقام الختم من النبوّة وانه خاتم الانبياء وانا خاتم الاولياء لا وليّ بعدي الا الذي هو مني وعلى عهدي واني أُرسلت من ربي بكل قوة وبركة وعزة وان قدمي هذه على منارةٍ ختم عليها كل رفعة . فاتقوا الله ايها الفتيان واعرفوني واطيعوني ولا تموتوا بالعصيان . واني انا المسيح الموعود نزوله من السماء واما المسيح الاسرائيلي فقد مات وخلا .

دعوة

والله صدقكم الوعد فاين تذهبون من وعده وتنحتون قصصاً شتى . واي فائدة لكم في حياة المسيح ايها النوكى — من غير انكم تنصرون به النصارى . افلا تنظرون الى الزمان وقد نزلت عليكم بليّة عظمى وتنصّر فوج من قومكم واحبائكم . وهلكت البلاد والعباد واهتز عرش الرحمن لما نزل فقضى ما قضى . ولو اراد الله ان ينزل من السماء كما زعمتم لكان خيراً لكم ان ينزل نبيّكم المصطفى . ما لكم تدوسون قول الله تحت الاقدام ، ألا تموتون أو تتركون سدى . وتذكرونني كما يذكر الكفّار وتقولون اقتلوه ان استطعتم وتكتبون الفتوى . وما كان لنفس ان تموت الاّ باذن الله، ان معي حفظة يحفظونني من العدا فاجمعوا كيدكم ثم انظروا هل يسقط الكيد الا على من جفا . وعسى ان تحسبوا رجلاً كاذباً وهو صادق فيما ادعى . فلا تميلوا كل الميل ومن ترك التقوى فقد هوى . أرأيتم ان كنت من عند الله وقد كذبتم فما بال من اعتدى . او نتم تكرهون ان يموت عبدالله عيسى ولا نفع لكم في حياته ولله في موته مآرب عظمى . أله شركة في السماء مع ربنا فلا يبرح مقامه ولا يتدلّى . فلا تحاربوا الله بجهلكم وصلّوا على نبيّكم المصطفى وهو الوصلة بين الله وخلقه وقاب قوسين او ادنى ، أسمعتم مني ما لم اسمعكم القرآن او رأيتم عيسى في السماء . فكبر عليكم ان تكذبوا اعينكم او ظننتم ظناً وان الظن لا يغني من الحق شيئاً وقد علمتم ان القرآن اهلكه وتوفى . فبأي حديث تؤمنون بعده وتكفرون بما انزل الله واوحى . أتتركون اليقين لظن اهلك

قبلكم قوماً واردـــے · فيا حسرة على الذين يقولون انا نحن العلماء ، انهم ما صاروا من انصاري · بل صاروا اوّل من اذى (١) ··· ···»

و يقول حضرته في كتابه تذكرة الشهادتين ما تعريبه:—«ألا انظروا لقد اتم الله عليكم حجّته اذ اقام لتصديقي الوفا من البينات واعطاكم فرصة التدبر في شأن الذي يدعوكم الى هذا الامر لتعلموا ما مبلغ عرفانه وكم من برهان يقدّم على دعوته وانكم لعمري لا يمكنكم ان تتهموني بكذب او افتراء او خداع في اوائل حياتي بينكم فتحسبون انه من كان هذا شأنه من عادة الكذب والافتراء لا يبعد ان يكون قد اختلق هذا الامر ايضاً من عنده · ألا فهل منكم من احد ينتقد شيئاً من شؤون حياتي · وما ذلك الاّ فضل منه انه اقامني على التقوى منذ نعومة اظفاري · ان في ذلك لآية للمتفكرين ·

وعدا هذا فانه تعالى بعثني على رأس المائة تماماً وابرز لكم جميع الأدلة اللازمة لتصديقي كما وانه اظهر لي سبحانه آيات ملأت السموات والارض وقد كان الانبياء باجمعهم تنبأوا عني من اولهم الى آخرهم لذلك فلو كانت هذه الدعوة من صنع الانسان لكان مستحيلاً ان تجتمع لها الدلائل بهذه الوفرة · ثم فوق ذلك فان كتب الله شاهد بان الله لا يمهل من يفتري على الله كذباً بل يهلكه بخزيٍ عظيم · هذا واما ان دعوتي بانني رسولٌ من الله قد تجاوزت ثلاثة وعشرين عاماً و يمكنكم ان تتحققوا ذلك بنظرة في الجزء الاول من

(١) المقتبس من خطبته الالهامية التي ارتجلها بالعربية صبيحة عيد الاضحى ·

البراهين الأحمدية . لا ريب ان العاقل ليستطيع ان يفهم ما اذا كانت سنة الله يوماً من الايام او هل كان قط منذ خلق الانسان انه تعالى عامل هذه المعاملة رجلاً خبيث الطينة محتالاً وقحاً افاكاً يظل يفتري على الله كذباً كل يوم مدة ثلاث وعشرين سنة فلا يطلع نهار جديد او يقبل ليل الا ويختلق من عند نفسه وحياً جديداً وقولاً محدثاً فيقول للناس اوحي الي كذا وكذا فاذا الله — عوضاً ان يهلكه — يؤيده من عنده بآيات بينات ويكسف لتصديقه الشمس والقمر طبقاً للنبإ المعروف ويحق القول ويري العالم ما سبق من وعده في الاسفار الاولى والقرآن المجيد والاحاديث النبوية وفي كتاب براهين احمدية من البعثة الموعودة فيبعثه على رأس المائة تماماً كما يبعث الصادق ويقيمه مع دعوته هذه في حينه زمن الغلبة الصليبية الذي كان يجب ان يأتي فيه كاسر الصليب والمسيح الموعود فيثبته في كل خطوة من خطواته ويظهر له ما يفوق مليون آية ويجله في العالم وينشر له في الارض القبولية ويحقق له مئات من انبائه ويرسله في الايام العصيبة التي كان عينها الانبياء لبعثة المسيح الموعود ويستجيب دعواته ويبث في كلامه روحاً من لدنه وهكذا ما برح سبحانه يؤيده من جميع الوجوه مع علمه — كما تزعمون — انه كذاب يفتري عليه عمداً بغير الحق — افرأيتم أن الله عامل مفترياً بهذه الرحمة وهذاك الفضل العظيم ?

«فيا عباد الله حذار لا تغفلوا ولا يوسوسنكم الشيطان واعلموا يقيناً انكم قد اوتيتم ذلكم الوعد الذي ما زال انبياء الله المقدسون يعدونكم

به منذ القديم . انه لا يم الحق آخر حرب بين المرسل الرباني وبين الشيطان وان ساعتكم هذه هي لتلكم الساعة الموعودة عينها وان هـذا الزمن هو ذلكم الزمن المعهود بذاته وقد كان اشار اليـه النبي دانيال ايضاً بالتخصيص . فيا حسرتي كنت جئت لاهل الحق كفضل عظيم ولكن استهزىء بي وكُفّرت وقالوا دجال وحسبوني من غير المؤمنين . وكان لا بد من كل ذلك لكي يتم النبأ المتضمن في الدعاء غير المغضوب عليهم، فقد آذن سبحانه بوعده المنضوي في الدعاء صراط الذين انعمت عليهم الخ انه لا محالة يكون في هذه الامة ايضاً فريق من العلماء يشابهون علماء اليهود الذين ارادوا صلب المسيح وكفّروه وقالوا بالحاده وتدجيله : ألا فتدبروا الى مَ يشير كل هذا؟ ألا ينبىء ان المسيح الموعود سيُبعث من هذه الامة نفسها كما يولد في زمنه في نفس الامة من يشابه اليهود ممن يسمّون مسلمين . ألا فاعلموا انهم حاملون في اعناقهم اوزار جميع المنكرين . إن هؤلاء لا هم انفسهم يدخلون مقامات الصدق ولا يدعون الاقوام يدخلون . ويلاهم كم وكم من مكر يمكرون ويا اوّاه كم وكم من نجوى يسرون فيما بينهم ولكن هل ظانون انهم غالبون الله مانعون لمشيئة القادر المطلق التي اظهرها من قبل على لسان انبيائه ؟ انهم يعتمدون على كبّار هذه البلاد الاشرار واغنيائها الاشقياء من اهل الدنيا ولكن أتدرون ما قيمة هؤلاء عند الله؟ إنْ هم الا ديدان ميته «يا ايها الناس اسمعوا كلكم اجمعون فانما هذا نبأ من الله الذي خلق الارض والسموات ، انه سبحانه لينشرن امره هذا في اقطار العالم كله

وليعطينه الغلبة على الجميع بقوة الحجة والبرهان . ان الايام لآتية بـل انها لقريبة اذ لا يذكر بالعزة لا امره . ان الله ليباركن هذه الدعوة وهذه الجامعة الى الغاية القصوى وفوق التصور وانه تعالى ليخيبن كل من يهم باستئصالها وانه لتبقين تلكم الغلبة ابد الدهر الى ان تقوم الساعة . لا ضير ان كانوا يسخرون مني فانه ما من نبي الا وقد سخر منه وكان لا بد ان يُستهزأ المسيح الموعود ايضاً كما يقول سبحانه وتعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون . فذلك علامة من الله بان الانبياء جميعهم يسخر منهم ويستهزأ بهم . فمن يا ترى يستهزىء بالمسيح الذي ينزل من السماء على مشهدٍ من الناس ومرأهم تصحبه الملائكة ! فلاعاقل يستطيع ان يفهم من هذا ايضاً ان الاعتقاد بنزول المسيح من السماء إنْ هو الا وهم باطل محض

«ألا إعلموا لن ينزل احد من السماء ابداً . ليموت جميع خصومنا الذين هم موجودون الآن بقيد الحياة ولا احد منهم يرى عيسى ابن مريم نازلاً من السماء ثم تخلفهم ذريتهم وهي ايضاً تموت ولا يرين احد منها عيسى ابن مريم هابطاً من السماء ثم يموت بنو ابناءهم وهم كذلك لا يرونّ ابن مريم ابداً ينزل من السماء . آنئذٍ يلقى الله في قلوبهم الفزع ويقول الناس ها قد انقضى عصر الغلبة الصليبية واكتسى العالم لوناً جديداً ولكنّ عيسى بن مريم لم ينزل بعد من فوق السماء . حينئذٍ يتضجر العاقلون من هـذا الاعتقاد ولا يأتي القرن الثالث —

بدءاً من (*) هذا اليوم — على آخره الاً ويقنط المنتظرون لعيسي — المسلمين والنصارى كليهما — ويعاف العاقلون الاعتقاد المذكور ولا يبقين في العالم الا دين واحد وهادٍ واحد . انما جئت لأبذر وقد زُرع البذر بيدي ولينمونّ هذاك البذر وليزهرن ولا احد يستطيع منعه (راجع في تذكرة الشهادتين الصحيفة ٦٢) ويقول في كتابه إزالة اوهام ما تعريبه : ايها الاحباب : استمعوا الآن لوصية لي أخيرة ، افضى اليكم بكلمة سر احفظوها جيداً . ولّوا الاعطاف عطفاً آخر في جميع ما يعرض لكم مع المسيحيين من المناظرات . برهنوا لهم أنّ المسيح ابن مريم قد مات لأبد الدهر . إنه لعمري هو هذا المبحث وحده الذي — اذا غلبتم فيه — تطوون بساط المسيحيه من فوق الارض كلها . ما لكم من حاجة قطعاً الى تضييع ساعاتكم العزيزة في المجادلات الطويلة غيره . انما شدّوا عليهم في مسئلة حياة المسيح بكل قوة وافحموا النصارى بالحجج الدامغة ومتى ما اثبتّم دخول المسيح في عداد الموتى ومكّنتم في قلوبهم ذلك ايقنوا يومئذٍ أنّ المسيحية تكون قدغادرت العالمَ اذ ذاك . وافهموا جيّداً أنّ المسيحيين لن يموت دينهم ما لا يموت إلههم قبلاً . عبث معهم المباحثات الاخرى كلها . إنّ لديانتهم ركناً

(*) أعلن حضرته النبأ المذكور في ١٦ اكتوبر سنة ١٩٠٣ ومضي عليه اليوم ٢٢ عاماً وقد بدأ يتحقق في النشأة المتعلمة من المسلمين والنصارى كليهما حتى وقام اخيراً بعد التي واللّتيا فريق من المشائخ ايضاً يتبرأون من الاعتقاد المذكور . فانتظر قليلاً ترى اي منقلب ينقلبون

واحداً وهو اعتقادهم بان المسيح ابن مريم لا يزال حياً بجسده قاعداً مقعده في السماء . فدكّوا هذا الركن دكاً دكاً ثم انظروا هل ترون المسيحية باقية في العالم ألا إن الله ليريد ان يهدّ هذا الركن من قواعده هدّاً كله وان ينشر في اوربا وآسيا نسيم التوحيد ، لذلك فقد بعثني واظهر عليّ بوحيه الخاص أن المسيح ابن مريم توفي وهذا وحيه « مسيح ابن مريم رسول الله فوت هوچكاهى . اوراسكى رنك مين هو كر وعده كى موافق توآياهى . وكان وعد الله مفعولاً . انت معي وانت على الحق المبين . انت مصيب ومعين للحق » اي مات المسيح بن مريم رسول الله وجئت انت بصبغته كما كانوا وُعدوا وكان وعد الله مفعولاً انت معي وانت على الحق المبين . انت مصيب ومعين للحق .

« ولقد بيّنت في هذا الكتاب موت المسيح وانضواءه في صفوف الموتى باقوى البراهين وابلغت في البيان الى حد الهدى بان المسيح ما عاد الى الحياة ولا رُفع الى السماء بجسده العنصري بل وقد ذاق الموت كجميع الانبياء وفارق الحياة الدنيا للابد . فان كان ممن يعبد المسيح فليعلم انه قد مات وانضم الي زمرة الاموات لآخر الدهر ...... ألا اني اقول بكل التحدّي والثبت بانني على الحق وسأغلبنّ الأجمعين في هذا الميدان بفضل الله عزّ وجل . واني كلما استقصيت الامر باقصى النظر ، اجد العالم طرّاً تحت اخمص صدقي وقريب ان افوز فوزاً عظيماً . وذلك لان من وراء لساني لساناً آخر ينطق في تأييده وأن هناك يداً اخرى تعمل في تقوية يدي لا يراها العالم واني لاراها . وانه

لتدوي في روح من السماء تمنحني الحياة في كل كلمة من كلامي وفي كل حرف من احرف منطقي . ولقد حدث في آفاق السماء جيش وهيجان فاهاب بي من قبضة التراب هذه واقامني كما يقام التمثال المتحرك . وكل من لم يُغلق دونه باب التوبة سوف يعلمنْ ما انا من تلقاء نفسي . فهل تكون العيون بصيرة يا ترى اذا هي لم تعرف الصادق ام هل يكون الحيّ من لم يتنبه لهتاف السماء !!(راجع الصحيفة ٢٣٢من إزالة اوهام)ويقول حضرته ما تعريبه:«وانا كذلك لا اقول إنّ مقام العيسوية خُتم بي وانطوى ولا يأتي مسيح بعدي كلا بل انني لاؤمن واقول مرّة بعد اخرى انه بالامكان ان يجيء اكثر من عشرة آلاف مسيح دع ذكر مسيح واحد فقط كما انه بالامكان ايضاً ان يجيء واحد منهم بظاهر الأبهة والجلال وكذلك من الممكن ان يكون نزوله بدمشق اوّلاً ولكن يا احبائي اعذروني اذا أبيت التسليم والايمان بان المسيح ابن مريم الذي تُوفي نازل من السماء بجسده العنصري . نعم إنّ الاسلام يصف الله عزّ وجلّ بكونه قادراً على الاطلاق ويرجّح قول الله وقول الرسول على احكام العقل ولكنه مع ذلك لا يريد ان يعطّل العقل تعطيلاً ويبطّله تبطيلاً . بل وان شريعة الله وكتابه لا يسمحاننا ابداً بان نحمل الامر الغير المعقول على الحقيقة (دون المجاز) — هذا اذا كان هكذا الامر يوجد في كتاب من الكتب الموحاة واذا تبيّنا بعد النظر في جميع وجوهه انه في الحقيقة خلاف العقل وليس فوق العقل . بل وإنّ القرآن المجيد ليأمرنا الامر الاكيد ان نكل الى سبحانه

وتعالى تأويل الآيات المتشابهات التي يستبهم مفهومها على العقل وان نؤمن بها ايماناً دون ان نصرّ على ظاهر الالفاظ وإنه لعمري تعليم من الله كامل يمكننا ان نتخلّص بفضله من عدد عديد من المشاجرات الناشئة اليوم عن الاقاصيص العتيقة او انباء الغيب . وذلك لان كل شبهة انما تحصل عن حمل المعاني الغير المعقولة على حقيقتها وما دمنا تركنا بتاتاً مثل هذا الاصرار (على التمسّك بظاهر الالفاظ) واتّبعنا ارشاد مولانا بان نؤمن بالمتشابهات ايمان إجمال وان نفوّض اليه حقيقتها المقصودة واتخذناه الاصل القويم في جميع الامور المشتبهة على العقل معناها ، فليس بالامكان البتة ان ينشأ هناك اساس للشبهة . مثلاً افرضوا انه ورد في حديث صحيح انه اذا أُضيفت عشرة الى عشرة يكون الحاصل خمسة عشر ولا العشرين . فما الحاجة يا تُرى ان نحمل مضمون الحديث على حقيقته ونكون هُزأَةً للاغيار من جرّاء التشدد الجائر الذي في غير محله . بل ان لنا من فضل تعليم الفرقان طريقاً مفتوحاً بان نُدخل الحديث في عداد المتشابهات ونجنّب انفسنا الفتنة . ولكن لو أُتيح لنا الرسوخ في العلم وهُدينا بالوحي سبيل الرَّشد مما يطمئن اليه الناس فلا ضرورة هنالك قطعاً ان نُبقي كهذي الآية او الرواية ضمن المتشابهات بل انقبلنّ بالشكر معناها المعقول المنكشف بالوحي» . راجع الصحيفة ١٢٣ منه

واقول في الختام اننا نذكر حياة المسيح الجسدية وبعثته الثانية من بعد موته الاولى — لا باننا نرى ذلك بعيداً عن قدرة الله الذي نؤمن من سويداء قلوبنا أنه سبحانه قادر على كل شيء فعّال لما يريد

كلا بل ننكره ونرفضه رفضاً بتاتاً لكونه اعتقاداً مغائراً لنصوص الآيات البيّنات ومخالفاً للواقعات الراهنة وفوق ذلك منافياً لقـدرة الله المتعال وذلك بان الاعتقاد برجوع المسيح عينه وذاته بعد دخوله الجنّة يعني الضعف والعجز لا القدرة فان القدرة مقتضاها ان يكون القادر مقتدراً على خلقٍ مثل المسيح واكبر منه متى ما شاء وحيث اراد كما يعبّر سبحانه عن قدرته الكاملة بقوله ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة يخلفون. (الزخرف ٥٧) . لذلك فما هي القدرة يا هذا ان يمسك الله المسيح سالماً محفوظاً بلحمه ودمه في طاقة من طاقات السماء مدة عشرين قرناً ليُدليه عند آخر الدهر كما انه ليس من القدرة في شيء ان يذهب به فوق السماء عند حدّة النضال واشتداد المحن وانما القدرة كما قال (كتب الله لأغلبن انا ورسلي) وقال (إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) — مهما اشتدّت الخطوب وكانت هائلة هولاً عظيماً وكذلك القدرة ان يخلق امثال ابن مريم اذا اقتضت حكمته ان يقيل عثرة امثال اليهود واشباه النصارى. أرأيتم يكون من العجز ام من القدرة الانسلال من ميدان القتال في حومة الوغى ام هل يكون عن الفقر او عن الغُنيان الضنُّ بالخرقة الواحدة البالية ولفُّها طيّاً في البقجة آملاً ان تُستعمل في البرد المقبل ؟ ام ماذا تظنون بالذي يستبسل في الهيجاء ولا يبرح مقامه ولو تنقض عليه السماء بشهبها وصواعقها وما رأيكم في الذي يفصّل لنفسه لباساً جديداً ملائماً لكل فصل من فصول السنة وزيّاً أنيقاً مناسباً لطبيعة اقليم من اقاليم الارض؟ أيفعلان ذلك عن مكنة وأيدٍ ام عن خور وضيق ذات يدٍ ؟

فان كنتم ممن يفهم هذا القدر من الفرق بين الضعف والعجز فلا إخالكم تذهبون مذهب من يعتقد اصعادَ المسيح في الحالة الاولى جدارة وابقاءه في السماء طول هذا الدهر حكمة وارجاعه من هنالك بلحمه ودمه قدرة كلا بل ذلك طعن شنيع في حكمة الحكيم ونقص عظيم في قدرة القدير اذ اصعده حين الخوف وحين لم يكد يبدأ دعوته وقد ابقاه عبثاً في السماء دهراً طويلاً . فان كان لا بد فاعلاً ذلك، لماذا يا ترى كلّفه على غير شيء مقاساة آلام هذي الحياة ومجابهة مكروهاتها ولمَا لم يؤَجّل مولده وبعثته لحين آخر و كفاه بذلك موءنة الحدثان وندامة الخيبة والخسران؟ أَتقولون إنه مُرجعه مرة اخرى لاصلاح الخلق كلّه وقد علمتم ما بضّتْ به يداه اوّل مرة وهل انتم تُوقنون أَن الرسول العربي هو خاتم النبيّين لا نبي بعده وانتم ذاهبون وراء النبي الاسرائيلي كل مذهب وعاقدون عليه آمالاً لا تكاد تسع كظّة السماء والارض . علم الله إنكم باعتقادكم هذا مهينون اهانة لوءم ختم النبوة المقدس وحكمة الله البالغة اذ تنفون الاهلية لحمله من بين الامة المنعمة عليها وتهينون الحكمة البالغة اذ تجوّزون العبث في فعل الله وتهينون القدرة الكاملة حيث تزعمون القدرةَ ما هو اقرب الى العجز منه الى القدرة . فلا وربكم ان تقولوا من بعد اليوم إنّا منكرون بزعمكم من حيث اننا ضعيفو الايمان بقدرة الله . كلاّ بل الحق عكس ذلك وإنّا لا نرى رأيكم لكونه ناقضاً للختم مخالفاً للحكمة مغائراً للسنّة منافياً للقدرة وفوق ذلك منبوذاً بالفرقان الحميد ومرفوضاً بالعقل السليم — هذا الذي نراه ونعتقد به من صميم افئدتنا وندافع عنه بقوة

البراهين النيّرة وذلك الذي رأيتموه انتم فلا قدرتم الله ولا الرسول حق قدرهما اذ جعلتم القدرة ناقضة للحكمة والحكمة ناقضة للقدرة وازدريتم بختم النبوة من حيث ظننتم انه تكرمة له ·

—: تمّ :—



فهرس الكتاب

الفصل الاول

الفصل الثاني

الفصل الثالث : المبحث التاريخي



تصحيح بعض الاغلاط

الصفحة	السطر	الغلط	الصحيح
٢٦	٦	بسبب لانها	لانها
٣٢	٨	تكافرت	تكاثرت
٥٠	٢	قط	فقط
٥٦	١٤	معهداً	معهذا
٦٤	٥	رافعه	رافقه
٦٥	١٠	كاذبون	كاذبين
٧١	٢٠	عرَّج	عُوج
٧٢	١٢	الغجراني	الغجراتي
٧٦	٩	ادلنه	ادلاه
٧٧	٢	ضرة	ضمرة
٩٠	١٨	الواحده لشار اليها	الوحدة المشار اليها
١٠٥	١٠	للاجماع الامة	لاجماع الامة
١٠٦	١٧	زين ابن المنير ان	زين ابن المنير انه
١٠٨	١٣	ثلاثة عشرة	ثلاثة عشر
١١٧	١	وحض	دحض
١٣٨	١٥	ثلاثة اسباب	لثلاثة اسباب
١٤٢	١٤	ان يشرح	ويشرح

الصفحة	السطر	الغلط	الصحيح
١٥٧	٧	وشأرته	وشارت
١٦٠	٥	منذ ١٩٠ سنة	منذ ١
١٦٢	١٦	ابن بابويه الدين	ابن بابويه وا
١٦٢	١٧	واكمال	كما
١٦٩	١٨	The were	ere
١٧٣	٢١	ما يشابه المسيح	مايشابه
١٧٤	٩	حلّد	
١٧٦	٢	المسلّمة	ال
١٧٩و١٨٤،١٩٦	١٢،٣	يودآسف	
١٨١	٧	الآشيّه	
١٨٨	الحاشية ٢	هي من مجموعة	
١٩٨	١	ذكرها هذا المثال	ذكر
٢٠٦	١٤	العصبيّة	
٢١٣	١٢	الخطوت	
٢١٣	١٥	الواحد:	

***

